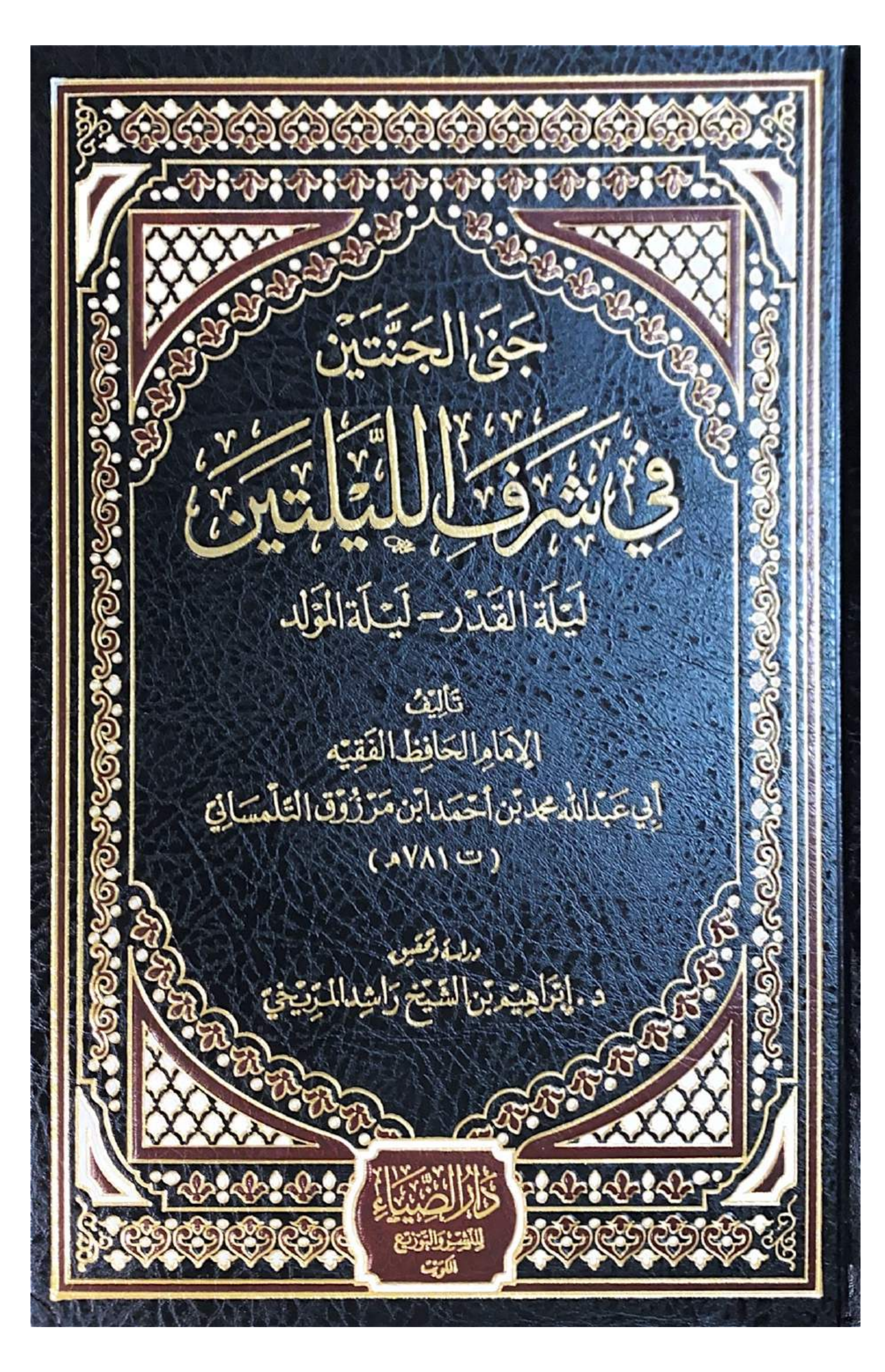
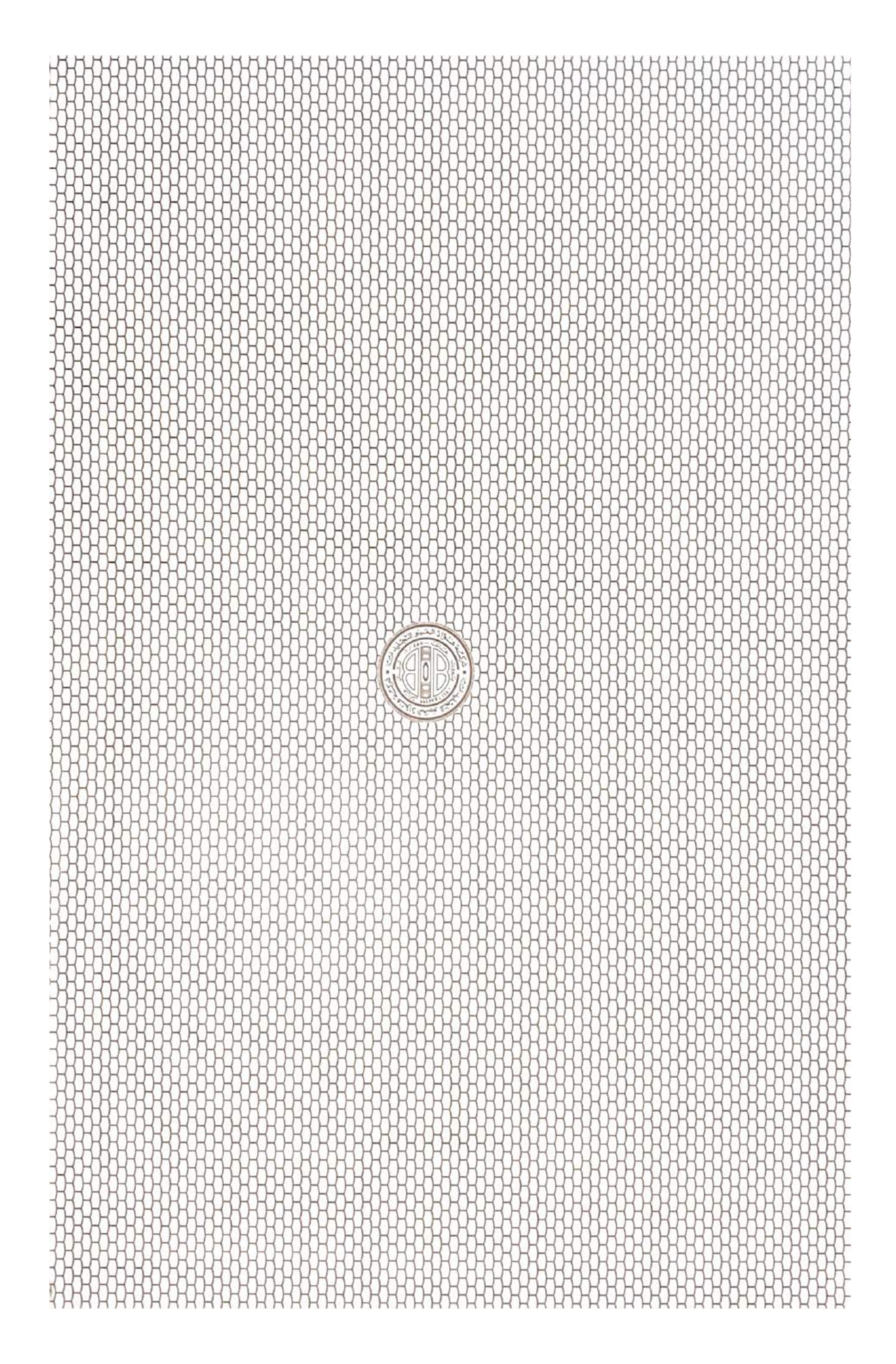
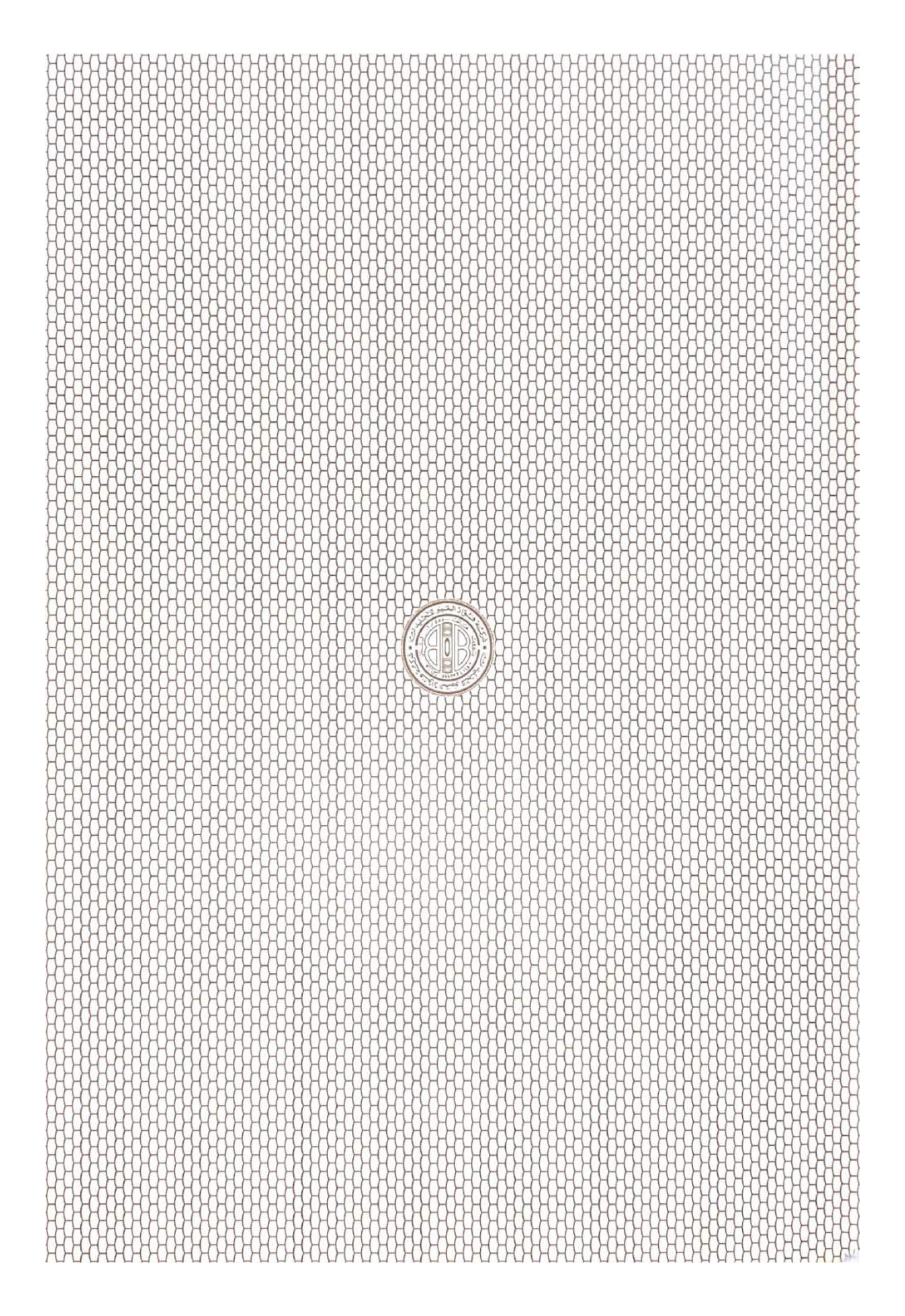

جنى الجنتين
في شرف الليلتين
ليلة القدر - ليلة المولد
تأليف
الإمام الحافظ الفقيه
أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن مرزوق التلمساني
(ت ٧٨١هـ)
دراسة وتحقيق
د. إبراهيم بن الشيخ راشد المريخي
دار الضياء
للنشر والتوزيع
الكويت



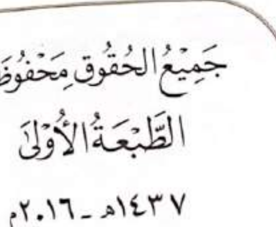




جنى الجنتين

في شرف الليلتين

ليلة القدر – ليلة المولد



الطَّبعَةُ الأُولَى

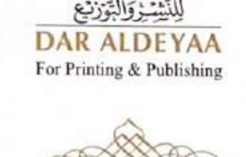
١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

التَّجلِيدُ الفَنِّي

شركة فؤاد البعينو للتجليد ش.م.م

بَيْرُوت - لبْنَان





DAR ALDEYAA

For Printing & Publishing

دار الضياء

للنشر والتوزيع

الكويت - حولي - شارع الحسن البصري

ص.ب: ١٣٤٦ حولي

الرمز البريدي: ٣٢٠١٤

تلفاكس: ٠٠٩٦٥٢٢٦٥٨١٨٠

نقال: ٠٠٩٦٥٩٩٣٩٦٤٨٠

www.daraldeyaa.com

info@daraldeyaa.com

الموزعون المعتمدون

دولة الكويت:

دار الضياء للنشر والتوزيع - حولي — تليفاكس: ٢٢٦٥٨١٨٠ — نقال: ٩٩٣٩٦٤٨٠

المملكة العربية السعودية:

مكتبة الرشد - الرياض — هاتف: ٤٣٢٩٣٣٢ - ٢٠٥١٥٠٠٠

دار التدمرية للنشر والتوزيع - الرياض — هاتف: ٤٩٢٥١٩٢ — فاكس: ٤٩٣٧١٣٠

دار المنهاج للنشر والتوزيع - جدة — هاتف: ٦٣١١٧١٠

الجمهورية التركية:

مكتبة الارشاد - اسطنبول — هاتف: ٠٢١٢٦٣٨١٦٣٣/٢٤ — فاكس: ٠٢١٢٦٣٨١٧٠٠

الجمهورية اللبنانية:

دار إحياء التراث العربي - بيروت — هاتف: ٥٤٠٠٠٠ — فاكس: ٨٥٠٧١٧

شركة التمام - بيروت - كورنيش المزرعة — هاتف: ١٧٠٧٠٢٩

الجمهورية العربية السورية:

دار الفجر - دمشق - حلبوني — هاتف: ٢٢٢٨٣١٦ — فاكس: ٢٤٥٣١٩٣

جمهورية مصر العربية:

دار البصائر - القاهرة - زهراء مدينة نصر — تليفاكس: ٠٢٢٤١١١٤٤١ — محمول: ٠١٠٠٢٤٣٦٢٦٣

الجمهورية السودانية:

دار الأصالة - الخرطوم - شارع المطار — هاتف: ٠٠٢٤٩٩٠٠٤٣٥٧٩

المملكة الأردنية الهاشمية:

دار الرازي - عمان - العبدلي — تلفاكس: ٤٦٤٦١١٦

دار محمد دنديس للنشر والتوزيع - عمان — هاتف: ٦٤٦٥٣٣٩٠ — تلفاكس: ٦٤٦٥٣٢٨٠

الجمهورية اليمنية:

مكتبة تريم الحديثة - تريم — هاتف: ٤١٧١٣٠ — فاكس: ٤١٨١٣٠

دولة ليبيا:

مكتبة الوحدة - طرابلس

شارع عمرو إبن العاص — هاتف: ٠٩١٣٧٠٦٩٩٩ - ٠٢١٣٣٣٨٣٣٨

الجمهورية الإسلامية الموريتانية:

شركة الكتب الإسلامية - نواكشوط — هاتف: ٠٠٢٢٢٥٢٥٢٤٦١



جنى الجنتين

في شرف الليلتين

ليلة القدر – ليلة المولد

تأليف

الإمام الحافظ الفقيه

أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن مرزوق التلمساني

(ت ٧٨١ هـ)

دراسة وتحقيق

د . إبراهيم بن الشيخ راشد المريخي

دار الضياء

للنشر والتوزيع

الكويت



بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم حمداً نستعجل به مزيد قبوله ورضوانه، ونستقبل به جديد روحه وريحانه، ونتوكل على سعة رحمته وغفرانه، ونبذل الوسع في خدمة النبي الأمي الذي أعلمنا برفعة شانه، ونستعمل ألسنتنا في مدحه الدَّال على حبه الذي هو أحد واجبات المرء في إيمانه، وندخل بعظيم بركته ويمن منقبته في أمن الله وأمانه، ونحصل في الدُّنيا على رضاه وفي الآخرة في غرفات جِنانه، ونجعل خاتمة عمرنا في ذكر خاتم النبيين، وسيد المرسلين، بما يطابق من سر الذكر وإعلانه، صلى الله عليه وعلى آله صلاة تمكنه من درجة الوسيلة في رفيع مكانه[١].

أما بعد:

فإنَّه ما تحلَّت أمة بالحرية إلا صاحب ذلك التَّحلي الرفعة، وكمال السؤدد، ودوام الارتقاء في مدارج المجد بسبب التترس بهذه القيمة والتدرع بها، ومن ثَمَّ تَنْعم في حصنها المنيع، ويسودها الأمن والأمان، والاستقرار والاطمئنان الذي يُصيِّرها مستودعاً للإبداع، وجمال الاختراع.

وما فرطت أمة من الأمم في هذه النعمة إلا وأصبحت ألعوبة في أيدي الشعوب، وغلب عليها الفساد، وشاع فيها القمع والاستبداد، وغدت مواخر للتخلف والاحتكار، والارهاب الفكري والجسدي، وانقطع عنها نور المعرفة،

(١) هذه المقدمة استهل بها الحافظ ابن دحية كتابه الآيات البينات: ١٩٩.

وفطمت عن جميع أشكال الابتدار والابتكار.

لقد كانت أمتنا الإسلامية في سالف العهود ترعى هذا الجانب وتوليه اهتماماً بالغاً، انطلاقاً من المبادئ الراسخة التي حض عليها القرآن الكريم في آيات كثيرة، ناهيك عما سطره الباري جل جلاله عن ذاته المقدسة عن النقائص من ذكر الملاطفة والمحاورة مع الجاحدين المنكرين لخالقيته ثم أرسى مبدأ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، كما ترك الحق للخلق المجال للتفكر، ودعا ذوي الألباب والأبصار والبصائر إلى جولان العقول في المخلوقات للوصول إلى حقيقة المعرفة ونورها.

ثم جاءت السنة المشرفة فعززت ما دعا إليه القرآن الكريم، وأيدت هذه القاعدة الكلية التي لا يمتري في وجودها عاقل، وقد ترجمها الفاروق سيدنا عمر بن الخطاب الناطق بالصواب رضي الله عنه وأرضاه في كلمته الخالدة: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً).

وعندما نطلق كلمة الحرية فإنما نعني بها الحرية المبنية على ثوابت الشريعة لا متغيراتها، وليس المراد منها ما يفهمه بعض المنحلين والمتنطعين من اتخاذها ذريعة للتفلت عن تعاليم الدين الحنيف، والأعراف المرعية، أو التسور بها على مقدرات الناس وخصوصياتهم.

كما أننا حينما نقول: إن أمتنا في سالف عهدها قد أطلقت عنان الحرية للناس، فليس ذلك أمراً مطرداً في كل الأحايين، حيث نقلت لنا كتب التواريخ والتراجم والسير عن بؤر سوداء حالكة السواد مرت بها تلكم الدويلات في بعض الأوقات تم النيل فيها من علماء أكابر لمجرد مقالات، أو مكتوبات، أو مؤلفات، أو كلمات تفوهوا بها، ولو أردنا سرد قائمة تحوي هؤلاء الأعلام

لفعلنا، ولتعجب القارئ من ضيق أفق بعض الحكام عن فهم مرادات العلماء، ولوقف متحيراً أمام العقوبات المنزلة بهم، وقد آثرنا الإعراض عن ذكر ذلك لكي لا يتكدر الخاطر.

لكن يظهر للمتتبع أنه في الأعم الأغلب أن الحرية المتعلقة بالناحية الفكرية كانت هي السِّمة السائدة على تصرفات الولاة، لذلك وجدنا التنوع غير المسبوق في العلوم العقلية والنقلية بشتى أنواعها، أضف إلى ذلك الكم الهائل من المؤلفات التي لم ينسج مثلها على منوال سابق، حتى غدا العلماء يتفننون في التصانيف ويبتكرون التآليف، ولا غضاضة لديهم من طرح أي موضوع يرتجون فيه رضا الله عَزَّوَجَلَّ، أو نفع الناس مهما كلفهم الأمر.

إن الذي حداني إلى استهلال هذه المقدمة بهذه الفكرة هو الواقع المرير الذي تعيشه الأمة في هذه الأيام العصيبة، فهي تتقلب بين رذيلتين: إفراط متمثل في التكفير والتفجير، وبين تفريط يعتمد على الانحلال الناتج عن اتباع الهوى، ودعوة الناس للتفلت من جميع المحاذير التي نهتنا الشريعة من الاقتراب منها.

هذا الكتاب الذي بين أيدينا يمثل أنموذجاً حياً لسقف الحريات الفكرية التي كان يتمتع بها علماء القرن الثامن الهجري في بلاد المغرب الأقصى، ولكي نستطيع أن نفهم ذلك لابد لنا أن نعمل مقايسة بين ما عليه علماء ذلك العصر، وبين ما اصطبغ به بعض علماء عصرنا أو متعالميهم، بحيث إنك لو طرحت مثل هذا السؤال الذي جاوبه الإمام أبو عبد الله ابن مرزوق في كتابه الماتع (جنى الجنتين) بكل اقتدار على مسامع من ذكرناهم، لعاجلوك بدعوى الويل والثبور، وأدخلوك في زمرة المشركين المارقين، ومن ترسَّم منهم باستراتيجية الانفتاح والتَّلَيُّن في الكلام قابلك بقوله: إن عقيدتك مثلومة، وأنه لا ينبغي عليك طرح

هذا السؤال، ويلزمك الاستغفار بسبب مرور هذا السؤال في ذهنك، لأنك به قد أنزلت النبي المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منزلة الربوبية إلى غير ذلك من التهم الجاهزة المعلبة التي يفتحونها في وجه كل من لا يتبع رأيهم، ولا يحمل جيناتهم، بحجة الحفاظ على بيضة الدين، وحراسة عقيدة المسلمين، وكأنهم قد خُوِّلوا فرداً فرداً بصك من لدن سيد المرسلين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، لذلك تراهم يبدِّعون الناس، ويضعونهم ضمن أرفف الفرق الضالة، على اعتبار أنهم الفرقة الناجية.

لقد بدأت قصتي مع هذا الكتاب منذ مطلع الثمانينات من القرن المنصرم، عندما كنت يافعاً، إذ فجأة اندلع صراع قوي شنه بعض العلماء الذين لا يتحملون في الوجود سوى مقالهم ووجهتهم ـ مع العلم أنها منهجية فرعونية: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ ـ على علامة الحرمين الشريفين السيد محمد بن علوي المالكي الحسني ـ سليل العترة الطاهرة النبوية ـ رحمه الله تعالى، وأسكنه فسيح جناته، بسبب كتاب جمعه من كلام الحفاظ، وأهل السير، في كمالات المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسماه: (الذخائر المحمدية) ضمنه مبحث المفاضلة بين ليلة القدر وليلة المولد، فثارت ثائرة المذكورين واستعظموا طرح هذه القضية، فهاجموه ورموه بالعظائم، إلا أن الله تعالى قد قيض له علماء يدحضون عنه هذه الفرية وينتصرون لمذهب أهل السنة والجماعة فانبرى لهم السيد الوالد فضيلة الشيخ راشد بن ابراهيم المريخي حفظه الله تعالى فرد عليهم بكتابين هما: إعلام النبيل، ورفع الأستار، كما ألف السيد يوسف الرفاعي كتاب الرد المحكم المنيع، وألف العالمان المغربيان عبد الحي العمراوي وعبد الكريم مراد كتاب التحذير من الاغترار ثم تتابعت الانتصارات من جميع البلدان الإسلامية تأييداً للمالكي، منهالة على المعاندين كالسيول الطامسة لآفاقهم الضيقة، وعقولهم المرتبكة التي لا تحمل في مخيلتها إلا سوء الظن تجاه المسلمين، ورميهم

بالشين في الاعتقاد.

عندها تشوفت نفسي من ذلك الحين لمطالعة الكتاب المصنف لحل هذا المسألة، فلما تيسرت لنا متابعة الدراسات العليا الشرعية بجامعة محمد الخامس العتيدة برباط الفتح بالمملكة المغربية في مطلع التسعينات، صرت أتردد كثيراً على الخزانة العامة المحاذية لمبنى الجامعة، وهناك كانت المفاجأة الكبرى حينما عثرت على نسخة من كتاب جنى الجنتين فطرت بها فرحاً، ورحت أقلب الكتاب بلهف وشوق، وأتجول فيه بناظري تجول الشغوف، فدهشني واقع المحتوى، ودسامة المادة، وبهرتني شخصية المؤلف، وسلطانه العلمي، وحرفيته العالية في تعامله مع النصوص، وجسارته على حل هذه المعضلة، والحقيقة أن هذا ليس بمستغرب على إمام بحجم ابن مرزوق الخطيب أن يُخرج رأسه مثل هذه الدرر، فهو علم من الأعلام، ويعتبر لبنة في بيت المرازقة الكبير الذي أفرز حزمة من العلماء الأكابر، الذين ملؤا إقليمهم علماً، وحكمة، وزهداً، انعكس على بقية أقاليم العالم الإسلامي، وأصبحت عائلة المرازقة علامة فارقة، ونقلة نوعية شارقة بتلمسان، وحيثما ذُكر أحدهم في سوق العلم إلا وانقدح في النفس أنه ثَمَّت التحقيق، والتدقيق، والتنميق، والتزويق.

أخي القارئ إنك ستقف في هذا السِّفر على ما سيسر خاطرك، ويشرح صدرك مما قطفه ابن مرزوق لنا من إشراقات سيرة سيد العالمين، وأشرف المرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، أضف إلى التشويق الذي سيجعلك لا تفتأ حتى تصل إلى منتهى الكتاب بأريحية تامة، لا سيما وأنه يتعلق بشرفين عظيمين: شرف ليلة القدر، وما فيها من الفضل والقدر، وشرف ليلة المولد، وما تحمله في طياتها من إرهاصات، وبشارات، وكمالات لسيدنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقبل أن أفسح المجال أمام ما جاء في هذا الكتاب من المقال، أحببت أن أبين من باب التحدث بنعم الله تعالى، أن الله قد أكرمني بلقيا أئمة العصر من المسندين أصحاب الرواية العالية ممن كان لي شرف التحمل عنهم مروياتهم، والجلوس عند ركبهم، لذا يجمل بي هنا أن أسجل إسنادي المتصل إلى مؤلفات أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الخطيب التلمساني من طريق مشايخي الكرام حرصاً مني على بقاء سنة الإسناد، وتبلج نورها، عسى أن ينعكس ذلك النور والبركة على أحوالنا، فأقول:

فأنا أروي هذا الكتاب، وسائر كتب ابن مرزوق الخطيب رحمه الله تعالى عن جملة من مشايخنا الكرام أخص بالذكر منهم:

١ ـ شيخنا الإمام الحافظ السيد عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني رحمه الله تعالى، وهو يرويها عن أساطين علماء عصره منهم:

مسند الديار المصرية السيد أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن رافع القاسمي الحسيني الطهطاوي بما في ثبته: (المسعى الحميد في بيان وتحرير الأسانيد)، وعن شقيقه الإمام الحافظ السيد أحمد بما في ثبته: (المعجم الوجيز)، وعن العلامة المسند عبد الباقي الأنصاري اللكنوي ثم المدني بما في أثباته: (الإسعاد بالإسناد) (ونشر الغوالي من الأسانيد العوالي) (والمناهل السلسلة في الأحاديث المسلسلة)، وعن مسند الدنيا الإمام السيد محمد عبد الحي الكتاني مما هو مذكور في كتابه (فهرس الفهارس والأثبات) وغيرهم كثير مما هو مشروح في (ارتشاق الرحيق من أسانيد عبد الله بن الصديق).

٢ ـ شيخنا العلامة المحدث المفيد الناقد السيد عبد العزيز بن محمد بن الصديق الغماري الحسني رحمه الله تعالى وهو يرويها عن أئمة منهم:

محدث الحرمين الشريفين أبو حفص عمر بن حمدان المحرسي التونسي ثم المدني، بما هو مذكور في: (مطمح الوجدان من أسانيد عمر حمدان)، وعن الإمام المطلع المحقق الشيخ محمد زاهد الكوثري الحنفي بما في ثبته: (التحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجيز)، وعن العلامة المشهور بوصيري عصره السيد يوسف بن إسماعيل النبهاني بما في ثبته: (هادي المريد إلى طريق الأسانيد)، وغيرهم كثير مما هو مبين في (فتح العزيز في أسانيد السيد عبد العزيز).

٣ ـ شيخنا العلامة الفقيه الشيخ محمد الشاذلي النيفر المالكي رحمه الله تعالى قال أخبرنا الطاهر بن عاشور إجازة عن سالم بوحاجب عن أبي حفص عمر بن الطالب بن سودة عن عبد السلام الأزمي عن محمد التاودي بن سودة المري قال أخبرنا أحمد بن مبارك السجلماسي بما سيأتي بعد (ح).

٤ ـ شيخنا العلامة الفقيه المؤرخ السيد محمد بن عبد الهادي المنوني المغربي المالكي الحسني قال أخبرنا السيد محمد عبد الحي الكتاني عن السيد عبد الله بن إدريس السنوسي المالكي ثم الأثري عن المهدي بن الطالب بن سودة عن بدر الدين الحمومي عن محمد التاودي بن سودة قال: أخبرنا أحمد بن مبارك السجلماسي بما سيأتي (ح).

٥ ـ ومن طريق شيخنا علامة الحرمين الشريفين السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي عن أبيه عن جده عن العلامة محمد عابد بن حسين المالكي مفتي مكة قال: أخبرني الشيخ أحمد منة الله العدوي المالكي، وقال: أخبرنا المحدث الشيخ محمد الأمير الكبير المالكي قال: أخبرني محمد التاودي بن الطالب بن سودة الفاسي المالكي، قال أخبرنا أحمد بن المبارك السجلماسي المالكي، قال: أخبرني أبو الحسن علي بن أحمد الحريشي المالكي، قال أخبرنا

الحافظ الشهاب أحمد بن محمد المقري التلمساني المالكي، قال: أخبرني عبد الرحمن بن علي العاصمي الشهير بسقين المالكي، قال: أخبرني الشيخ أحمد زرُّوق الفاسي المالكي، قال: أخبرني عبد الرحمن بن محمد الثعالبي المالكي، قال: أخبرنا أبو الفضل محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد المالكي، قال: أخبرني جدي الشمس أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الخطيب التلمساني المالكي.

وهذا إسناد مالكي خالص[1].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه

د. إبراهيم بن الشيخ راشد المريخي

في يوم الاثنين: ١٢ ربيع الأول ١٤٣٥هـ

الموافق: ١٣ يناير ٢٠١٤م

---

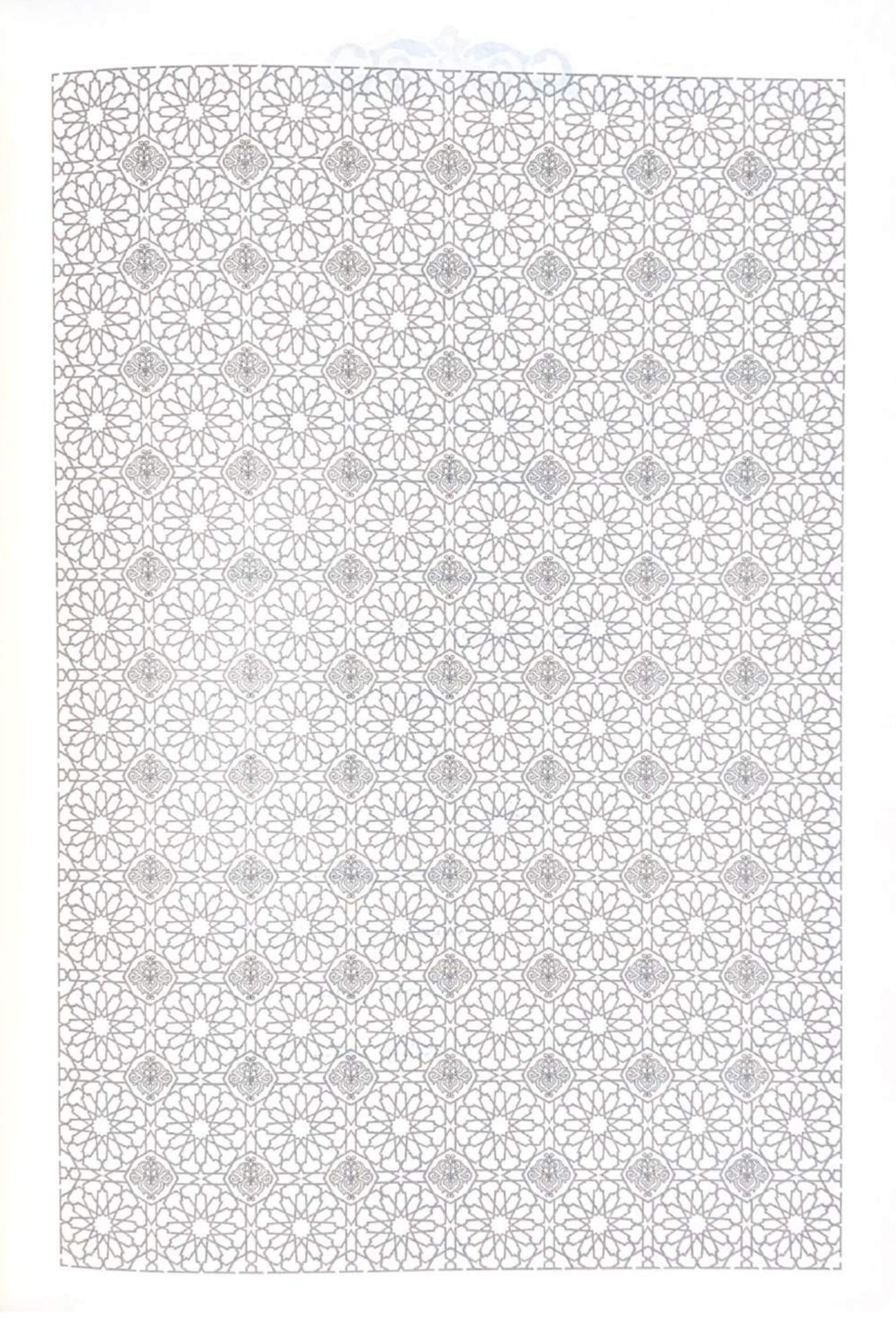
(١) انظر: نور النبراس في التعريف بأسانيد ومرويات الجد السيد عباس: ٦٣ ـ ٦٥.
وانظر: غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد للثعالبي: ٦١ ـ ٦٩، وإتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء لأبي سالم العياشي: ٩٥ ـ ٩٦، والإمداد في معرفة علو الإسناد للبصري: ٨٨، والمنح البادية في الأسانيد العالية: ٤٣/٢، وقطف الثمر للفلاني: ٢٠ ـ ٢١ و١١٠ ـ ١١، وحصر الشارد من أسانيد محمد عابد: ٦٤١/٢ ـ ٦٤٢.



الفَصْلُ الأَوَّلُ

ترجمة الإمام
شمس الدين محمد بن أحمد بن مرزوق
الخطيب التلمساني

- المبحث الأول: اسمه ونسبه.
- المبحث الثاني: ولادته، ونشأته، ورحلاته.
- المبحث الثالث: شيوخه.
- المبحث الرابع: تلاميذه.
- المبحث الخامس: وصفه وصفاته.
- المبحث السادس: شعره.
- المبحث السابع: مؤلفاته.
- المبحث الثامن: محنته.
- المبحث التاسع: وفاته.



❖ موارد الترجمة:

إن المصادر التي أرخت لسيرة ابن مرزوق، منها ما هو أصلي المورد ككتب ابن مرزوق ذاته، أو أحد معاصريه، أو كتب فرعية ناقلة عن الأصول، ولقد استقينا الترجمة من عدة مصادر أصلية، وثانوية، سنذكر المهم منها:

المصادر والمراجع	المؤلف	الصفحة
المناقب المرزوقية	لابن مرزوق الخطيب	جميعه
المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن	لا بن مرزوق الخطيب	جميعه
الإحاطة في أخبار غرناطة	لسان الدين ابن الخطيب	٣/١٠٣ ـ ١٣٠
رحلة ابن خلدون	ابن خلدون	٦٠ ـ ٦٤ و٨٠
الديباج المذهب في تراجم علماء المذهب	لابن فرحون	٣٩٦ ـ ٣٩٩
ذيل التقييد	تقي الدين للفاسي	١/٧٩ ـ ٨٠
الوفيات	لابن قنفذ	٣٧٣
نصيحة المجاور	لابن فرحون	٧٧ ـ ٨٠
الدرر الكامنة	للحافظ ابن حجر العسقلاني	٣/٣٦٠ ـ ٣٦٢
بغية الوعاة	للحافظ السيوطي	١/٤٧
درة الحجال	ابن القاضي	٢٧٠

المصادر والمراجع	المؤلف	الصفحة
نيل الابتهاج	للتنبكتي	٢/١١١ ـ ١١٧
كفاية المحتاج	للتنبكتي	٢/٨٩ ـ ٩٢
نفح الطيب	للمقري	٥/٣٩٠ ـ ٤١٩
البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان	لابن مريم	٢٥٧ ـ ٢٦٣
شذرات الذهب	لابن العماد الحنبلي	٦/٢٧١ ـ ٢٧٢
شجرة النور الزكية	لمخلوف	٢/٤١
تعريف الخلف	الحفناوي	١/١٤١ ـ ١٤٨
الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام	العباس بن إبراهيم	٥/١١
فهرس الفهارس والأثبات	للكتاني	١/٣٩٤ ـ ٣٩٦
الأعلام	الزركلي	٥/٣٢٨
جامع القرويين	التازي	٢/٤٩٧

** ** **

الترجمة

❖ اسمه ونسبه:

محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي، التلمساني.

المعروف بالخطيب، وبالجد، وبالرئيس.

يكنى بأبي عبد الله، ويلقب: بشمس الدين.

وهو ينحدر من أسرة عريقة في العلم، قيروانية الأصل، استوطن جده (مرزوق) بتلمسان في أواخر القرن الخامس الهجري، وأنجب ثلة من الأعلام لعبوا دوراً مهماً في الحياة الدينية والعلمية والسياسية في بلاد المغرب، وارتبط أسلافه بخدمة الولي الشهير أبي مدين شعيب التلمساني أما تلقيبه العجيسي، فنسبة إلى قبيلة عجيسة الزناتية البربرية التي أتى أفرادها من بلاد إفريقية واستقروا أقصى بلاد المغرب والأندلس[(١)].

❖ ولادته ونشأته ورحلاته:

يقول ابن مرزوق عن نفسه في كتابه المناقب المرزوقية[(٢)]: كان مولدي، أجمل الله الخاتمة، وحسن العاقبة، في أوائل ذي القعدة سنة إحدى عشر،

---

(١) انظر: المناقب المرزوقية: ١٤٥.

(٢) ٢٩٨.

وقيده بعضهم سنة اثني عشر وسبعمائة بتلمسان، في دارنا المعروفة لنا بمرسى الطلبة...

فقرأت كتاب الله على شيخنا الفقيه الصالح، الولي أبي زيد عبد الرحمن بن يعقوب بن علي، بمكتبه بسويقة إسماعيل، وكان من خيار الصالحين الفضلاء، أرباب القلوب، وقد ذكرته في برنامجي، وكان أصح خلق الله باطناً، وله كرامات.

ثم قرأ بقية العلوم في صباه على علماء بلده كما كان متعارفاً عليه في ذلك الزمان، بعدها بدأت الرحلة، وكانت الرحلة الأولى له سنة أربع وعشرين في شهر ربيع الأول بصحبة جملة من العلماء من أهل فاس وطنجة وتلمسان.

قال ابن مرزوق[1]: ودخلنا بجاية المحروسة، فلقينا بها من الأولياء وخلائق، أبا علي ناصر الدين (المشدالي) وقرأت عليه.. ثم عدد بقية العلماء الذين التقاهم ببجاية ثم قال: وكانت دار علم، وحضرة فقه ودين.

بعدها غادر إلى قسنطينة، ومنها إلى تونس، ثم الأسكندرية، والتقى فيها بالأكابر مثل سيدي داود بن باخلا، وسيدي ياقوت العرش، وابن الفاكهاني، ومن القضاة ابن المنير وغيرهم.

ثم انتقل إلى القاهرة والتقى هناك بخلائق ذكرهم، ومن القاهرة ذهب إلى مكة المكرمة قال: فأقمنا بمكة ـ بعد وقفنا وقفة الثلاثاء ـ سنة كاملة، ثم رحلنا إلى المدينة فأقمنا فيها إلى آخر سنة ثمان وعشرين، نحج فيها كل سنة، وأدركت بها خلائق نفع الله بهم الجمعة.

---

(١) المناقب المرزوقية: ٣٠١ ـ ٣٠٤.

وهنا ندع المجال لابن فرحون وهو يصف لنا في كتابه نصيحة المجاور[1] وتعزية المجاور الحالة السامية التي كان يعيشها ابن مرزوق مع والده في المدينة المنورة متحدثاً عن هذه المرحلة التي شاهدها بأم عينيه فقال: ثم سكن الحجرة مسكن الشيخ عز الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر مرزوق التلمساني رحمه الله، وكان من أحبابي الكبار، وأصحابي الأخيار، بل لم أصحب مثله في الناس، ولم أر مثله على قياس، أقام بمكة قبل أن يأتي المدينة، فلزم الطواف حتى زَمِنَ وأُقعِدَ.

فلما قدم المدينة لزمني ولزمته، فَمُنَّ عليه بالعافية، وأول ما نزل نزل في بيتي، وكان معه ولده الفقيه العلامة الخطيب المشهور اليوم في بلاد المغرب بالعلوم والفوائد، والتصانيف والرئاسة، وأحبه الملوك وأحبته الرعية لما اشتمل عليه من المحاسن والعلوم، ثم تسلط عليه أعداء حساد فامتحن بهم، ثم نجاه الله من كيدهم، وحصل له أسوة بأهل الخير من السلف الصالح.

وكان قدومهم هذا إلى المدينة في عام ثمانية وعشرين وسبعمائة، وكان الوالد أبو عبد الله المذكور حينئذ لم يبلغ الحلم، فاشتغل بالعلم حتى رجعا إلى بلدهما تلمسان، فأقاما سنتين ثم رجعا إلى المدينة، فأقام الشيخ ورجع ولده، واستقر الشيخ في الحجرة المذكورة، ثم انتقل إلى بيتي، ثم اشترى نصف دويرة وسكنها حتى سافر إلى مكة، ومات بها سنة أربعين أو إحدى وأربعين وسبعمائة.

كان له من الكرامات والأحوال الجليلة العزيزة اليوم مالا يحصر ولا يُعدُّ، منها أن سلط عليه شخص من بلاده يقال له: عثمان بن المعذور، كثير الشر،

---

(١) ٧٧ - ٧٩.

يطلب كل حين النفقة، ويشغب عليه وقته بكثرة التردد إليه، فملَه الشيخ أبو العباس وأراد قطعه عنه، فعمل على بابه غلقاً له مفتاحان، وأراد إغلاقه حتى يظن أنه ليس في البيت أحد، فيخلو بنفسه في بيته حتى يخرج إلى المسجد لصلاته، ثم يرجع إلى بيته، فتسلط عليه هذا الرجل حتى وقف له بالليل عند خروجه في السحر إلى المسجد.

وقال له: أنت فلان؟ وحق كذا وكذا إن لم تعطني ما أطلبه منك لأقتلنك، ولأفعلن بك كيت وكيت، ثم ذهب إلى الشرفاء، فسعى به وقال لهم: عند فلان من الذهب عشرة آلاف، وبالغ في الأذية، والشيخ يحيله على الله تعالى، ويصبر على أذاه حتى مرض الشيخ في بيته، وكان مجاوراً لي، فكأنه غفل عن الباب فدخل عليه وهو مريض، فروَعه ولو لم أعاجله بالدخول عليه لما كنت أدري ما يفعل به.

ثم ذهب إلى الأمير، وقال: إن مات ابن مرزوق استغنيت الدهر، وكل ماله عند ابن فرحون، فبلغه ذلك وأخبرته بما صدر منه، فقال لي: وصل إلى هذا الحد، أنا إن شاء الله أريك فيه.

فوالله لم تمر عليه أيام قليلة أقل من جمعة، حتى حمل إلى المقبرة بعد عذاب شديد ناله في مرضه، وذلك سنة تسع وثلاثين وسبعمائة.

وكان الشيخ لا يأكل الرطب ولا الفاكهة ولا البطيخ ولا العنب ولا اللحم والسمن حتى نحل ورقَ، وعزمت عليه بظاهر الشرع.

وكان صائم الدهر، قائم الليل، ولا يفتر من ذكر الله تعالى، يتفقد الفقراء في بيوتهم، ويعالج الطرحاء في مكانهم، ويطوف على المرضى بالمدينة،

فيتفقدهم أينما كانوا بالطعام والدواء، ويشهيهم فيعمل لهم ما يشتهون، ويطلب منا المساعدة على ذلك.

وكان لا يزال متبسماً يسأل عن الصغير والكبير، ويأتي إلى بيوت أصحابه، ويدعو لصغارهم، وكان لي منه نصيب أيُ نصيب، إن قلت: لم أنل الخير إلا معه، ولم أر السعد إلا في أيامه، كنت صادقاً).

انظر إلى هذه البيئة التي كان يتقلب في أكنافها ابن مرزوق، ونقلها لنا لسان وقلب إمام بحجم ابن فرحون حيث عايش هذه المجاورة بصحبة ورفقة وإخاء مع والد مترجمنا، وتحدث عن مجريات هذه المشاهدات بكل صدق وشفافية.

وبعد سنتين من المكث في المدينة المنورة حج ابن مرزوق مع والده حجة ختما فيها المدة المذكورة حيث صادفت حجتهما وقفة الجمعة، قال ابن مرزوق واصفاً بقية الرحلة:

وبعد تمام الحج، توجهنا إلى بيت المقدس، فلقيت فيها أعلاماً، وتوجهنا إلى الخليل كذلك، ثم قدمنا على القاهرة المحروسة، فرويت إذ ذاك على جماعة، وكذلك بثغر الأسكندرية المحروسة، وعدنا إلى المغرب سنة تسع وعشرين، على بلاد الجريد، فأقمنا بتلمسان إلى سنة أربع وثلاثين، فعدنا إلى الحجاز أيضاً على بلاد الحجاز، فأقمنا في القاهرة المحروسة إلى آخر سنة ست وثلاثين.

وفي سنة سبع وثلاثين عدت إلى المغرب، وأقمت بتلمسان أخطب بالعباد، وأدخل داخل البلد بمسجد مرسى الطلبة.

وكانت هذه آخر رحلة له إلى بلاد المشرق، وبعدها ظل يتنقل في عموم

بلاد المغرب ومدنها كفاس، ومراكش، ومدينة سلا، ورحل إلى تونس، وقسطنطينة، وبسكرة، والقيروان، ثم إلى الأندلس وتنقل في مدنها، وخطب في جامع الحمراء، وجامع غرناطة، وفي هذه البلدان التقى بفحول العلماء الذي كانت تزخر بهم تلكم البلاد.

هذه الرحلة الواسعة التي تهيأت لابن مرزوق هي التي صقلت مواهبه، ونمت ملكاته، وشكلت شخصيته، ونوعت علومه، وأصبح مبرزاً بين أقرانه، وصار يشار إليه بالبنان في أمصاره.

وأصبح الملوك والأمراء يأنسون مجالسته، ويحبون مؤانسته بسبب ما تحلى به من عذوبة المنطق، ونقاوة الفكر.

❖ **شيوخه:**

نظراً للرحلة الواسعة التي قام بها ابن مرزوق في مقتبل عمره، تحصلت لديه مشيخة كبرى نهل من علومها طوال مرحلة الطلب، وقد بلغت هذه المشيخة نحو ألفي شيخ كما ذكر ذلك الحافظ السيوطي في كتابه بغية الوعاة، وقد ضمن ابن مرزوق مشيخته فهرسته المسماة: (عجالة المستوفز المستجاز، في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز، من أئمة المغرب والشام والحجاز).

إن هذه المشيخة المذكورة قد تدخلت في تكوين مترجمنا، وبلورت شخصيته، وأثرت في تنوع علومه، حتى أصبح عالماً موسوعياً، لأن هؤلاء الجهابذة كما ستراه في تراجم بعضهم هم الذي أثروا الثقافة الإسلامية عموماً، ولا تزال أسماؤهم تقرع آذان الناس إلى وقتنا الحاضر، وكتبهم ومؤلفاتهم غدت مصادر ومراجع يستفيد منها أهل عصرنا كما استفاد منها أهل العصور الماضية،

وستبقى إلى ما شاء الله مادامت تحمل في طياتها جواهر العلم المغلفة بحقيقة الإخلاص التي صاحبتها حال التأليف والتصنيف.

لاشك أن سرد مشيخة ابن مرزوق في هذه العجالة متعذر، وذلك لكون الخوض في سيرتهم يقتضي دراسة وافية شاملة، تحتاج إلى زمن طويل يخرجنا عن المقصود، لكن سنقف معكم على ذكر عشرة من مشايخه، خمسة منهم ذكرهم في كتابه جنى الجنتين، والخمسة الباقين اخترناهم من كتب التراجم كي نخرج معكم بتصور عن التأثيرات التي تدخلت في إبرازه كعلم من أعلام هذه الأمة:

١ ـ ابن عبد السلام الهواري التونسي المالكي: (ت: ٧٤٩هـ).

وهو محمد بن عبد السلام الهواري التونسي، قاضي الجماعة، وشيخ الإسلام، وشارح كتاب ابن الحاجب الفرعي في الفقه المالكي، وهو شرح عظيم، عليه المعول.

٢ ـ ابن القماح الشافعي المصري: (ت: ٧٤١هـ).

هو أبو المعالي أحمد بن إبراهيم ابن القماح القرشي، نعته ابن مرزوق بشيخنا الإمام شمس الدين، ألف تفسيراً للقرآن الكريم.

٣ ـ ابن الإمام التلمساني: (ت: ٧٤٩هـ).

هو عيسى بن محمد بن عبد الله بن الإمام، إمام علم شامخ، له رحلة إلى المشرق، وتصانيف مفيدة.

٤ ـ المجاصي التلمساني: (ت: ٧٤١هـ).

أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد المجاصي التلمساني، عالم الصلحاء،

وصالح العلماء، نعته ابن مرزوق بشيخنا الولي الصالح العالم الخطيب، وكان لا يرفع طرفه إلى السماء حياء من الله وخشية.

٥ ـ زين الدين الطبري: (ت: ٧٤٢هـ).

هو الإمام أحمد بن محمد بن الإمام محب الدين الطبري.

٦ ـ قطب الدين الحلبي: (ت: ٧٣٥هـ).

أبو محمد عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحلبي، الحنفي، المصري، شارح صحيح البخاري في عدة مجلدات إلى غير ذلك من التآليف، حلاه ابن مرزوق بقوله: شيخنا المحدث الحافظ الصدر.

٧ ـ ناصر الدين المشدالي: (ت: ٧٣١هـ).

أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي، الإمام الفقيه المتفنن، النظار، رحل إلى المشرق، والتقاه ابن مرزوق بجاية، له تحصيل لأصول الفقه وأصول الدين على طريقة الأقدمين، وعلى طريقة المتأخرين، له مؤلفات جليلة.

٨ ـ تقي الدين السبكي: (٧٥٦هـ).

أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي الأنصاري الخزرجي، الشافعي، الأشعري الإمام الحافظ المفسر الفقيه، المقرئ المتكلم الأصولي النحوي النظار المجتهد، قاضي القضاة، له تصانيف فائقة رائقة كثيرة.

٩ ـ البدر ابن جماعة: (ت: ٧٣٣هـ).

بدر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعدالله بن جماعة، المصري

الشافعي، شيخ الإسلام، وقاضي القضاة بمصر والشام، شارك في جميع الفنون وتبحر فيها، وعني بالرواية، وجمع وصنف.

١٠ ـ تاج الدين الفاكهاني: (ت: ٧٣٤هـ).

هو عمر بن أبي اليمن علي بن سالم بن أبي صدقة اللخمي، الاسكندري، الفقيه المالكي المتفنن في الحديث والفقه والأصول والعربية، له شرح عمدة الأحكام، الذي شرحه ابن مرزوق في عدة مجلدات وسماه بتيسير المرام جمع فيه بين شرحي ابن دقيق العيد والفاكهاني وزاد عليهما.

❖ تلاميذه:

الغريب أنه على الرغم من تمتع به ابن مرزوق من ذيوع الصيت، وحصول الشهرة العريضة إلا أننا نجد أن كتب التراجم قد قصت في عد الطلبة والتلاميذ الذين تخرجوا على يد هذا الطود الذي تهيأت له حصيلة علمية تميز بها عن أقرانه وخلانه، ولا شك أن أقل من ابن مرزوق علماً ورحلة قد التف حوله المريدون الراغبون في تحصيل العلوم لكن الذي يظهر أن إغفال أصحاب التراجم حصر تلاميذه هو وجود المشيخة الوافرة التي تحصلت لابن مرزوق فاشتغل المترجمون بالمشيخة دون الالتفات إلى تعداد الطلبة، وعلى كل حال فإن مخلوفاً في شجرة النور[١] قد تكفل بسرد ثلاثة نماذج من جملة الآخذين على ابن مرزوق سوى ولده خالد وكفى بهذه النماذج فخراً، فلو لم يكن من مخرجاته سوى هؤلاء الثلاثة لكفاه ذلك:

---

(١) ٢/٤١.

١ ـ برهان الدين ابن فرحون: (ت: ٧٩٩هـ).

إبراهيم بن علي بن محمد بن أبي القاسم بن فرحون اليعمري شيخ المالكية، وقاضي المدينة المنورة وهو غني عن التعريف ومصنفاته شاهدة له كتبصرة الحكام، والديباج المذهب في أعيان المذهب، ودرة الغواص إلى غير ذلك من المصنفات المفيدة السديدة.

٢ ـ الشاطبي: (ت: ٧٩٠هـ).

أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، الغرناطي، المالكي، الامام، المحقق الفقيه الأصولي، أحد أساطين العلم، له تآليف نفيسة منها كتاب الموافقات وكتاب الاعتصام، وشرح الألفية المسمى بالمقاصد الشافية، وله فتاوى وغير ذلك من المصنفات المبتكرة.

٣ ـ ابن قنفذ القسنطيني: (ت: ٨١٠هـ).

أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب بن قنفذ، الإمام، العلامة المحدث، قاضي قسطنطينة، له مصنفات محررة كالوفيات، وأنس الفقير وعن الحقير، وشرح الرسالة وغير ذلك.

قال ابن قنفذ في كتابه الوفيات: واصفاً شيخه ابن مرزوق قائلاً: (وله طريق واضح في الحديث، ولقي أعلاماً من الناس، وأسمعنا حديث البخاري وغيره في مجالس مختلفة، ولمجلسه جمال، ولين معاملة).

كما قامت محققة كتاب المسند الصحيح الحسن الدكتورة ماريا باستقصاء تلاميذ ابن مرزوق حسب الطاقة وأدرجتهم بقسم دراسة الكتاب وكان من بين

تلاميذه لسان الدين ابن الخطيب صاحب كتاب الإحاطة في تاريخ غرناطة وغيرها من الكتب العظيمة.

❖ **وصفه:**

قال لسان الدين ابن الخطيب[1] ـ وهو من تلامذة ابن مرزوق الأوفياء ـ في وصف ابن مرزوق ما نصه: (هذا الرجل من طرف دهره ظرفاً وخصوصية ولطافة، مليح التوسل، حسن اللقاء، مبذول البشر، كثير التودد، نظيف البزة، لطيف التأني، خير البيت، طلق الوجه، خلوب اللسان، طيب الحديث، مقدر الألفاظ، عارف بالأبواب، درب على صحبة الملوك والأشراف، متقاض لإيثار السلاطين والأمراء، يسحرهم بخلابة لفظه، ويفتلهم في الذروة والغارب بتنزله، ويهتدي إلى أغراضهم الكمينة بحذفه، ويضع غاشيتهم بتلطفه، ممزوج الدعابة والوقار، والفكاهة بالنسك، والحشمة بالبسط، عظيم المشاركة لأهل وَدِّه، والتعصب لإخوانه، إلف مألوف، كثير الاتباع والعِلَق، مسخر الرقاع في سبيل الوساطة، مجدي الجاه، غاص المنزل بالطلبة، منقاد الدعوة، بارع الخط أنيقه، عذب التلاوة، متسع الرواية، مشارك في فنون من أصول، وفروع، وتفسير، يكتب ويشعر، ويقيد ويؤلف، فلا يعدو السداد في ذلك، فارس منبر غير جزوع ولا هياب).

❖ **شعره:**

من المواهب التي حباها الله تعالى لمترجمنا القريحة الفياضة حيث إنه كان شاعراً مغلقاً، يقرض الشعر، ويودعه كتبه، ويعبر به عن الحوادث، فله

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة: ٣/١٠٤.

قصائد مولدية، وزهدية، وغوثية، وكان في كثير من الأحيان يرتجل هذه القصائد لاسيما في المناسبات.

وقد حفظ لنا ابن الخطيب جملة من هذه القصائد التي أودعها كتاب الإحاطة، منها قصيدة طويلة نظمها ابن مرزوق عام ثلاثة وستين وسبعمائة بمدينة فاس المحروسة في ليلة الميلاد المعظم[1]:

أيـــا نســـيم الســـحر	بـــالله بلّـــغ خبـــر
إن أنـــت يومـــا بـــالحمى	جـــررت فضـــل المئـــزر
ثـــم حثثـــت الخطـــو مـــن	فـــوق الكثيـــب الأعفـــر
مســـتقرياً فـــي عشـــبه	خفـــى وطـــيء المطـــر

ثم قال بعد أبيات طويلة:

ثـــم ثنـــوا نحـــو رســـو	ل الله ســـير الضُّـــمَّر
فعـــاينوا فـــي طيبـــة	لألاء نـــور نيّـــر

ثم قال:

يـــا نكتـــة الكـــون التـــي	فاتـــت منـــال الفكـــر
يـــا حجـــة الله علـــى الـــرا	ئـــح والمبتكـــر
يـــا أكـــرم الرســـل علـــى	الله وخيـــر البشـــر

إلى آخر ما نظم من أبيات عدها سبعة عشر ومائة بيت.

---

(١) انظر الإحاطة: ٣/١١١ ـ ١١٦.

ومن شعره رحمه الله ما ارتجله حينما ركب مع السلطان خارج الحمراء(١):

انظر إلى النوار في أغصانه ... يحكي النجوم إذا تبدت في الحلك
حيا أمير المسلمين وقال قد ... عميت بصيرة من بغيرك مثلك
يا يوسفاً حزت الجمال بأسره ... فمحاسن الأيام تومي هيت لك
أنت الذي صعدت له أوصافه ... فيقال فيه ذا مليك أو ملك

وقال لسان الدين ابن الخطيب(٢) أنه لما قدمت على مدينة فاس في غرض الرسالة، خاطبني ـ ابن مرزوق ـ بمنزل الشاطبي على مرحلة منها ما نصه:

يا قادماً وافى بكل نجاح ... أبشر بما تلقاه من أفراحِ
هذي ذرى ملك الملوك فلذ بها ... تنل المنى وتفز بكل سماحِ
معنى الإمام أبي عنان يَممن ... تظفر ببحر في العلى طفاحِ
من قاس جود أبي عنان ذي الندى ... لسواه قاس البحر بالضحضاحِ
ملك يفيض على العفاة نواله ... قبل السؤال وقبل بسطة راحِ

إلى آخر الأبيات المذكورة في الإحاطة.

وقال المقري(٣) ومن نظمه عند وداعه أهل تونس:

أودعكم وأثني ثم أثني ... على ملك تطاول بالجميلِ
وأسأل رغبة منكم لربي ... بتيسير المقاصد والسبيلِ
سلام الله يشملنا جميعاً ... فقد عزم الغريب على الرحيلِ

---

(١) انظر: الإحاطة: ٣/١٠٧، وبغية الوعاة: ١/٤٧.

(٢) انظر: الإحاطة: ٣/١٠٧ ـ ١٠٨.

(٣) نفح الطيب: ٥/٤١٨.

هذه مختارات من شعر ابن مرزوق آثرنا ذكرها هنا كي يتعرف الباحث على النتاج الفكري والمعرفي له وإن كنا لم تستقص جميع ما قال فإن المقام لا يسمح بذلك.

❖ **مؤلفاته:**

خلف ابن مرزوق ذخيرة من المصنفات يفرح بوجود بعضها بين ظهرانينا، وهي وإن لم تكن كثرة كاثرة إلا أنها كانت زبد لنتاج فكر وقاد، واشتملت على بحوث محررة، ومادة علمية قيمة، وجمع يدل على حصيلة وافرة، وخبرة مع حذق في استخدام أنواع العلوم التي كان يكنها صدره، فصار يستعملها استعمال الخريت، ويتنقل فيها فيستخلص منها ما ينفع كالنحلة بين الأزهار، فتراه يجول ويصول حينما تمر مسألة من المسائل العلمية فيحضر آلاتها جميعاً من لغة، ومنطق، ومصطلح، وفقه، وشعر، ورواية، ومناظرة إلى غير ذلك من العلوم التي أدرجها كتبه.

وتنقسم مؤلفاته إلى قسمين منها ما هو موجود مطبوع ومنها غير لا يزال قابعاً حبيساً في أدراج دور المخطوطات ومنها ما هو مفقود:

* **المؤلفات المطبوعة:**

١ ـ المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن:

تحدث في هذا الكتاب عن السلطان أبي الحسن المريني، وذلك بدافع تقديم الشكر والتعبير عن الامتنان الذي كان يكنه لني مرين، ولقد ألف ابن مرزوق هذا الكتاب بعد مرور عشرين سنة على وفاة السلطان أبي الحسن.

طبعت هذا الكتاب الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر في عام

(١٩٨١م) بتحقيق الدكتورة ماريا خيسوس بيغيرا الأستاذة بكلية الآداب بجامعة سرقسطا باسبانيا.

٢ ـ تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام:

وعمدة الأحكام هو للإمام عبد الغني المقدسي، جمع في كتابه أحاديث الأحكام، وقد شرح هذا الكتاب ابن دقيق العيد في كتابه الشهير إحكام الأحكام، كما شرحه أيضاً تاج الدين الفاكهاني في كتابه رياض الأفهام، وهذان الكتابان سابقان على تصنيف ابن مرزوق، وقد طبع كتاب ابن دقيق العيد قديماً ثم توالت له الطبعات بعد ذلك، أما كتاب الفاكهاني فقد صدر حديثاً عن دار النوادر كاملاً، بعد أن طبعت منه دار ابن حزم بعض الأجزاء.

قام ابن مرزوق في كتابه تيسير المرام بالجمع بين مادتي الكتابين ثم أضاف عليها ما فاتهما فجاء كتابه موسوعة علمية كبيرة، والملاحظ أن ابن مرزوق ميال إلى التوسع والاكثار وبسط الموضوعات والمناقشة، وهذا يظهر جلياً في كتابه تيسير المرام وبقية كتبه.

وقد حققت الدكتورة سعيدة بحوث جزء من كتاب ابن مرزوق من أول الكتاب إلى باب الذي حصلت به على درجة الدكتوراة، وقد طبع في جزأين بدار ابن حزم بالتعاون مع مركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث سنة ٢٠١١م، ونسأل الله تعالى أن يوفق الدكتورة لإتمام ما تبقى من الكتاب.

٣ ـ المناقب المرزوقية:

وهذا الكتاب تحدث فيه ابن مرزوق عن عائلته ونشأته ورحلاته وشيخوخه إلى غير ذلك، فهو إذا سيرة ذاتية شاملة، وهو من منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة المغربية، وكم لهذه الوزارة من أياد بيضاء على

طلاب العلم حيث طبعت نفائس الأعلاق فجزى الله تعالى القائمين عليها كل خير ووفقهم لطبع المزيد من تراث الأمة.

وقد قامت بتحقيقه الأستاذة سلوى الزاهري، ونالت بهذا العمل درجة الدكتوراة.

*** المؤلفات المخطوطة:**

١ ـ جنى الجنتين في شرف الليلتين، وهو كتابنا هذا.

٢ ـ عُجالة المستوفر المستجاز في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز[١].

وهو معجم شيوخه، توجد من هذا الكتاب نسخة فريدة مبتورة عتيقة متلاشية، موجودة ضمن مجموع برقم: (٧٥٧٩) بالخزانة الملكية بالرباط.

٣ ـ بوح الخفا في شرح الشفا:

وهو شرح نفيس على كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم للقاضي عياض اليحصبي السبتي، كانت لدى الحافظ ابن حجر العسقلاني نسخة من شرح ابن مرزوق أهداها إليه ابن مرزوق الحفيد حينما ورد على القاهرة في طريقه إلى الحج، وقد سُر به سروراً كثيراً[٢].

يوجد نسخة مخطوطة من هذا العمل محفوظة بمكتبة غوثة بألمانيا تقع في خمس مجلدات.

---

(١) ذكره المقري في نفح الطيب: ٣٩٢/٥.

(٢) انظر: الدرر الكامنة: ٣٦٢/٣.

٤ ـ الأحاديث الأربعون النبوية من مرويات الخلافة العلوية.

منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم: (د٣٥٨٦).

٥ ـ خطب مرتبة على حروف المعجم:

توجد نسخة منها بالخزانة العامة بالرباط قسم جائزة الحسن الثاني رحمه الله تعالى للمخطوطات والوثائق رقم: (٩٣٠/ ٥ مراكش ١٩٧٩م) وهي عبارة عن خطب خطبها بحضرة غرناطة وبالحمراء من الأندلس وقد أملاها على بعض طلبته[١].

٦ ـ خطب كثيرة لم يلتزم فيها بحروف المعجم:

توجد نسخة منها رديئة بالخزانة الحسنية بالرباط مقيدة تحت رقم: (٤٠٧٠) وهي نصوص خطب ألقاها ابن مرزوق في أربعين مدينة من مدن الإسلام بحسب وصف الدكتورة سلوى الزاهري[٢].

٧ ـ قصيدة مطلعها[٣]:

رفعت أموري لباري النسم ... وموجدنا بعد سبق العدم

هذه القصيدة ألفها ابن مرزوق وهو في سجنه بتلمسان، وهي لا تزال موجودة بتلمسان في ملك الحاج محمد النبيه، وقد نشرت ضمن مجموع القصائد والأدعية المطبوع بالجزائر عام: ١٩٦٠م.

---

(١) انظر: الدراسة المعدة من الدكتورة سلوى الزاهري لكتاب المناقب المرزوقية: ٨٤.

(٢) ٣١٣.

(٣) ملحق المناقب المرزوقية: ٣١٣.

٤ ـ الأحاديث الأربعون النبوية من مرويات الخلافة العلوية.

منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم: (د٣٥٨٦).

٥ ـ خطب مرتبة على حروف المعجم:

توجد نسخة منها بالخزانة العامة بالرباط قسم جائزة الحسن الثاني رحمه الله تعالى للمخطوطات والوثائق رقم: (٩٣٠/ ٥ مراكش ١٩٧٩م) وهي عبارة عن خطب خطبها بحضرة غرناطة وبالحمراء من الأندلس وقد أملاها على بعض طلبته[١].

٦ ـ خطب كثيرة لم يلتزم فيها بحروف المعجم:

توجد نسخة منها رديئة بالخزانة الحسنية بالرباط مقيدة تحت رقم: (٤٠٧٠) وهي نصوص خطب ألقاها ابن مرزوق في أربعين مدينة من مدن الإسلام بحسب وصف الدكتورة سلوى الزاهري[٢].

٧ ـ قصيدة مطلعها[٣]:

رفعت أموري لباري النسم ... وموجدنا بعد سبق العدم

هذه القصيدة ألفها ابن مرزوق وهو في سجنه بتلمسان، وهي لا تزال موجودة بتلمسان في ملك الحاج محمد النبيه، وقد نشرت ضمن مجموع القصائد والأدعية المطبوع بالجزائر عام: ١٩٦٠م.

---

(١) انظر: الدراسة المعدة من الدكتورة سلوى الزاهري لكتاب المناقب المرزوقية: ٨٤.

(٢) ٣١٣.

(٣) ملحق المناقب المرزوقية: ٣١٣.

*** الكتب المفقودة:**

١ ـ شرح الأحكام الصغرى لعبد الحق الإشبيلي:

ذكره ناسخ مخطوط المناقب المرزوقية[١] المدعو أحمد بن عبد الرحمن التجاني في ملحق نسخته وقال: ما رأيت مثله في التحصيل والنقل والفائدة.

٢ ـ كتاب الأربعين في فضل الصلاة على سيدنا محمد ﷺ، والأربعين في فضل العلم والأربعين عن الصحاح أملاها بعد صلاة الجمعة وقبل العصر منها[٢].

٣ ـ التعليق على صحيح البخاري:

ذكره ابن مرزوق في جنى الجنتين، قال صاحب الملحق المتقدم الذكر بأنه لم يره[٣].

٤ ـ رسالة البدر في ليلة القدر.

ذكرها صاحب الملحق[٤].

٥ ـ إيضاح المراشد في أجوبة أبي راشد:

ذكره ابن مرزوق في آخر جنى الجنتين، وذكره كذلك في كتابه المسند الصحيح الحسن[٥].

---

(١) ملحق المناقب المرزوقية: ٣١٣.

(٢) ملحق المناقب المرزوقية: ٣١٣.

(٣) ملحق المناقب المرزوقية: ٣١٣.

(٤) ٣١٤.

(٥) ٩٧.

٦ ـ كتاب الإمامة:

ذكره في جنى الجنتين.

٧ ـ العفو والغفران ومقابلة الإساءة بالإحسان:

ذكره في جنى الجنتين.

٨ ـ جزء في لباس الخرقة:

ذكره ابن مرزوق في المناقب المرزوقية[١].

٩ ـ مجموع في ذكر فضائل الشيخ محمد المرشدي:

قال ابن مرزوق في المناقب[٢]: وقد كنت جمعت أيام كوني بالديار المصرية، مجموعاً في ذكر فضائله وما بلغني من كراماته.

١٠ ـ شرح ابن الحاجب الفرعي:

قال صاحب الملحق[٣]: ولم أره. وسماه المقري في نفح الطيب: (٥/ ٤١٨) إزالة الحاجب لفروع ابن الحاجب.

١١ ـ الأربعون الأحكامية:

أربعون حديثاً خرجها من مرويات السلطان أبي الحسن، وذكرها ابن مرزوق في المسند[٤].

---

(١) ٢٠٧.

(٢) المناقب المرزوقية: ٢٦٤.

(٣) المناقب المرزوقية: ٣١٥.

(٤) انظر: المسند الصحيح الحسن: ٢٧٢.

١٢ ـ مقالة في الصبر:

قال ابن مرزوق في المسند[١]: وقد كنت جمعت ما قيل في الصبر، نثراً ونظماً، جزءاً على طريقة أهل التصوف، وأهل الأدب.

وغيرها من الكتب كبرنامجه الأصغر والأكبر الذي ذكره ابن مرزوق[٢] نفسه، والظاهر أنهما غير العجالة والأمر يحتاج إلى مزيد من الفحص والدراسة، وما ذكرناه فيه غنية وكفاية والله الموفق.

❖ محنته:

تعرض ابن مرزوق إلى محنة عاصفة كادت أن تودي بحياته، قال ابن خلدون[٣]: (وحبس ابن مرزوق، وأغرى به سلطانه الذي نصبه، محمد بن عبد الرحمن بن أبي الحسن، فامتحنه، واستصفاه، ثم أطلقه بعد أن رام كثير من أهل الدولة قتله، فمنعه منهم، ولحق بتونس سنة أربع وستين، ونزل على السلطان أبي إسحاق...). وهذا هو ما أشار إليه ابن مرزوق سنة في مقدمة جنى الجنتين حينما قال: (وصان جهتي صان الله جهاته ودولته من طوارق الحدثان، عن الاحتياج إلى معونة من فارقته من أمير وسلطان، وخلفته من نشب مبقى في الأوطان، وحمى حماي، حمى الله مملكته من عوارض البغي والعدوان، عن أن يضام أو يقصد بحط أو نقصان...).

على كل حال فنحن لا نريد الخوض في أسباب هذه الفتنة ولا في

(١) المسند الصحيح الحسن: ٢٧٧.

(٢) ذكرها ابن مرزوق في جنى الجنتين، وانظر: المناقب المرزوقية: ٢١٢.

(٣) الرحلة: ٦٣.

تفاصيلها، وإن كان ابن خلدون في رحلته[١] قد عرض لها، ويظهر من تضاعيف كلامه أنه قد حصلت بينه وبين ابن مرزوق جفوة رغم أن ابن خلدون يصغر ابن مرزوق في السن كثيراً، لكن وسوسة الشيطان لا تفرق بين بني الانسان.

وقد قال ابن فرحون في آخر ترجمة والد ابن مرزوق في نصيحة المشاور[٢] ما نصه: (نفعنا الله به، وجمعنا إياه في مستقر رحمته، فقد انتفعنا بصلاحه وبخاطره وبخدمته، وبولده أبي عبد الله محمد من بعده حفظه الله تعالى، ورده إلى ما كان عليه والده من الانقطاع عن الناس، والعزلة عن الخلق فهو ـ وإن كان على خير ـ فحال الشيخ ـ أي والده ـ أكمل وأقرب إلى السلامة في الدنيا والآخرة...).

نعم لقد اصطلى ابن مرزوق بنار السلطان بسبب القرب منه، والاقتراب من ولاياته، ولولا ستر الله الذي أسبل عليه لبطشوا به.

❖ **وفاته:**

بعد حياة مليئة بالمتغيرات، والتحديات، بلغت به إلى أن صيرته في غيابة السجن، رمى عصا التسيار في القاهرة المعزية فقضى آخر سنواته هناك، حيث لازم التدريس والإقرار، فلم يزل موفور الرتبة، معروف الفضيلة، حتى وافته المنية سنة إحدى وثمانين وسبعمائة، ودفن بمقبرة المالكية هناك بين ابن القاسم العتقي وأشهب بن عبد العزيز تلميذا الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى.

---

(١) ٦٠ ـ ٦٤.

(٢) ٧٩ ـ ٨٠.

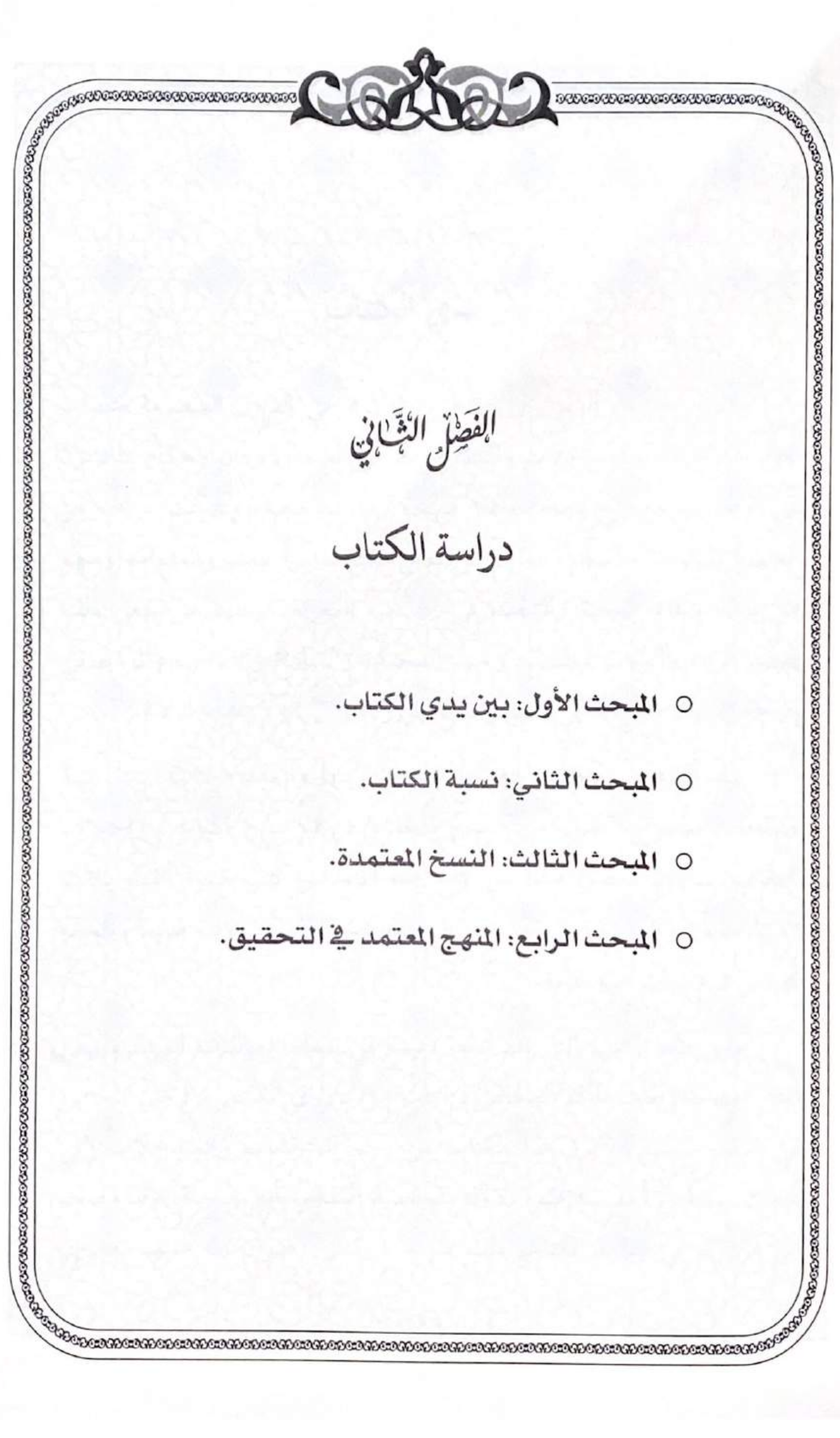
وقد تغلب على ظن تلميذه الإمام ابن قنفذ[1] أنه توفي سنة ثمانين وسبعمائة حيث قال في الوفيات: (شيخنا الفقيه الجليل الخطيب أبو عبد الله محمد ابن الشيخ العالم أبي العباس أحمد بن مرزوق الحفيد التلمساني، توفي في غالب ظني سنة ثمانين وسبعمائة بالقاهرة، ودفن بين ابن القاسم وأشهب).

وجزم الونشريسي في كتابه الوفيات[2] بأنه قد توفي سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة.

** ** **

(١) الوفيات: ٣٧٣ رقم: (٧٨٠).

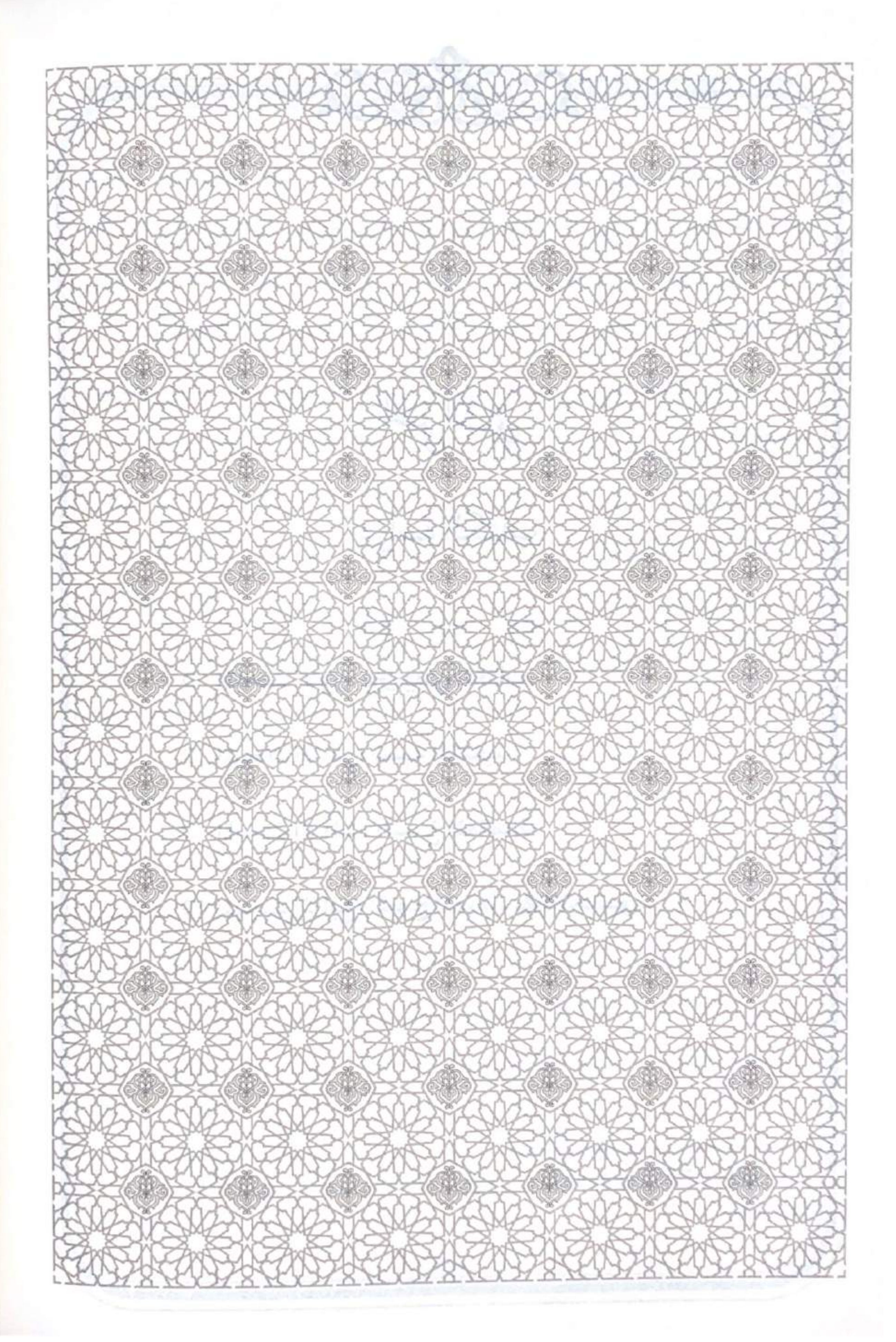
(٢) ١٢٩.



الفَصْلُ الثَّانِي

دراسة الكتاب

- المبحث الأول: بين يدي الكتاب.
- المبحث الثاني: نسبة الكتاب.
- المبحث الثالث: النسخ المعتمدة.
- المبحث الرابع: المنهج المعتمد في التحقيق.



بين يدي الكتاب

كانت مجالس الملوك والسلاطين والأمراء في القرون المنصرمة منصات لعقد المناظرات والمساجلات والمطارحات بين العلماء، وكان الحكام يتنافسون في استقطاب من بزغ نجمه، وعلا صيته، وغلبت حجته، وتنوعت مواهبه من العلماء لارتياد مجالسهم، فمنهم من يفعل ذلك تقديراً للعلم والعلماء، ومنهم من يفعله بدافع المحبة والشغف في اكتساب المعرفة، ومنهم من يفعل ذلك بقصد الرياء والعجب والتصنع وحب المحمدة والمباهاة والتفاخر، والرغبة في إشاعة الجدال وكثرة القيل والقال ليشبع غروره، وشهواته، ونفسه الردية.

بيد أن هذه المجالس بنوعيها المحمود منها والمذموم كانت تمثل بيئة صالحة لاستخراج الكنوز من صدور العلماء ـ رغم تباين النيات، واختلاف المقاصد ـ وقد تحصل لدينا من نتاج هذه المجالس كتب كثيرة ألفت ملأت الدنيا علماً وحكمة، وهذا يظهر جلياً في مصنفات العلماء المؤلفة قديماً ويلحظه كل من تتبع تراث هذه الأمة.

ومن هذه الكتب التي تعد تحفة نفيسة في سماء المؤلفات المبتكرة وهي تمثل أحد مخرجات تلكم المجالس، كتاب ابن مرزوق المسمى: (جنى الجنتين في شرف الليلتين)، برز هذا الكتاب من رحم المناقشات والمساجلات التي عقدت بمجلس أحد سلاطين الدولة الحفصية المدعو بأبي إسحاق وقد وصف ابن مرزوق في مقدمة الكتاب ذلك بقوله: (وكانوا رضوان الله عليهم يعمرون

مجالسهم الكريمة ببث الفوائد العلمية، والمباحث في الأدلة النظرية، وفرض الأسئلة عن الأحكام الفرعية، والنكت الأصلية، جرياً على سنن سلفهم الكريم، وتحريضاً على التعلم والتعليم، فتقع المفاوضة بين علماء حضرتهم، وفقهاء دولتهم، فأنال في أثناء هذه المفاوضات حظاً من الاختصاص والاحتظاء والإكبار تفضلاً منهم والاعتناء، وإن كنت معترفاً بعدم الأهلية، والقصور عن مرتبة من بحضرتهم الكريمة من العلية، وأئمة الأعلام، وأعلام الأمة، وكان ما وقع بحثهم رضي الله عنه عنه من الأبحاث المبتدعة، والأسئلة المستصعبة المخترعة، أيُ الليلتين أعلى وأشرف، هل ليلة القدر أو ليلة مولده صلى الله عليه وسلم ؟

هذا السؤال الصعب الذي تم طرحه على مسامع العلماء أمام الأمراء لم يجدوا له حلاً شافياً قال ابن مرزوق: (سؤالاً يعظم قدره المنصف، ويعذر فيه المتوقف، إذ لم يتعرض له السلف، ولا نهج سبيله الخلف، وأمروا رضي الله عنهم بالبحث عن مظان وجود النص فيه، واستقصاء استخراجه من مظانيه، ونواحي مناحيه، فلم يقف أحد منا في جواب المسألة على نص جلي، ولا اقتدى في اختياره بمتقدم سالف أو عصري...).

ولما كان ابن مرزوق قد حباه الله تعالى ملكه ومواهب وعلوماً كنها صدره، لم يتمتع بها من كان من العلماء حاضراً في ذلك المكان، أحال السلطان جواب السؤال على ابن مرزوق كي يصنع له فيه مؤلفاً يلم فيه شتات هذه المسألة، ويجمع أطرافها، ويحل معضلها، وقد حاول ابن مرزوق التغصي عن هذا التكليف بأن يتسربل بالتواضع لكن لم يجده نفعاً، فقال: (وأنى لي بمجارات من اشتمل عليه مقامهم العلي من الأعلام، وأين أنا من شيخ الفقهاء، وصاحب الإفتاء، ومن عالم القضاة، وقاضي العلماء، ومن إمام سابق في ميدان المشاركة وأي إمام.

فلما لم يوسعوا المعتذر المقصر عذراً، ونظروا بعين الاعتناء تفضلاً منهم وبرا... فسارعت للأمر العلي متمثلا، وبادرت بوضع هذا المجموع عجلا، وأقدمت ـ علم الله ـ خجلاً، ومن مخالفة الأمر الجزم وجلا، فجمعت من شرف الليلتين ما تراه، وأودعت من هذا المجموع المختصر ما اقتضاه، فجاء ابن ليلتين مستهلا، وبالغرض المقصود ممن شرف الليلتين الكريمتين مستقلا).

وقبل الشروع في الكتاب أخذ ابن مرزوق يرسم ما سيودعه فيه فقال: (وأودعت فيه من الأخبار والآثار، ومذاهب علماء الأمصار، وغرر الفوائد، ودرر الفرائد، وتواريخ الأمم، وذكر بعض ما أثر عن العرب والعجم، والنكت العجيبة، والنوادر الغريبة، والطرف الأدبية، والإشارات الصوفية، والأدلة النظرية، والمباحث الجدلية، يعترف المنصف لمصنفه في هذا القدر من الزمان ببلوغ الغاية في الإجادة والإحسان.

وإن الناظر الممعن في هذا المؤلف والمتفحص لمادته سيجد أن ابن مرزوق قد وفى بالمقصود وزاد، وأتى فيه بما يبهر العقول من سعة اطلاع، وإحاطة بالعلوم، وجميل الاستخدام، وصحة التوظيف لهذه الحوادث والنصوص بوضعها في محلها.

وقد قسم الكتاب على ثلاثة أبواب:

الباب الأول: تكلم فيه على ليلة القدر وجعله فصولاً:

ـ **الفصل الأول:** سبب نزولها، وأصل تسميتها بهذا الاسم.

ـ **الفصل الثاني:** في تسميتها بهذا الاسم الذي عرفت به.

ـ **الفصل الثالث:** في فضلها.

ـ **الفصل الرابع:** فيما تختص به.

ـ **الفصل الخامس:** في تعينها.

وقد اعتمد هذا الباب على كتب ومصادر شتى، فاستخدم كتب السنة المسندة لأن طبيعة هذا الباب تستدعي ذلك، كما استخدم كتب التفسير كالمحرر الوجيز لابن عطية، وكتاب أحكام القرآن لابن العربي المعافري، وتفسير القرطبي المسمى بالجامع لأحكام القرآن، وتفسير البغوي، ومفاتيح الغيب للفخر الرازي، ولطائف الإشارات لأبي القاسم القشيري وهو تفسير صوفي إشاري.

وكذلك شروح الحديث: ككتاب إكمال المعلم للقاضي عياض، وعارضة الأحوذي للقاضي أبي بكر ابن العربي وكتاب القبس له والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي، وغير ذلك مما لم نذكره.

ثم شرع في **الباب الثاني:** وهو فيما يختص بليلة المولد الشريف: وفيه فصول:

ـ **الفصل الأول:** في تعيين ليلة ولادته ﷺ.

ـ **الفصل الثاني:** في فضل الليلة الكريمة.

ـ **الفصل الثالث:** فيما اختصت به هذه الليلة الكريمة من الآيات الظاهرة المقارنة لولادته ﷺ.

وقد أطنب في هذا الباب غاية الإطناب، وأتى فيه بالعجب العجاب، وحشد فيه من الروايات والآثار ما يدل على فضل ليلة ميلاده ﷺ على

سائر الليالي، فتحدث في مستهل هذا الباب على تعيين ليلة المولد المشرف فقال بعد كلام طويل: (فوضح بما قدمناه أن الأشهر في ولادته ﷺ أنها كانت ليلة الاثنين عشرة من ربيع الأول).

ثم جاء في **الفصل الثاني** فاختزل فيه الكلام وقال: إن فضيلة الزمان إنما تكون بحسب ما يقع فيه من الفضائل... إذا علمت هذا، وأن الأمر كذلك، فلا أفضل من زمان ولد فيه سيد الخلائق أجمعين).

أما الفصل الثالث: فهو أطول فصول الكتاب على الإطلاق، فتكلم فيه عن فضل نبينا ﷺ عند الأنبياء السابقين، وما جاء من البشائر عندهم، وما وجدته السيدة المصونة آمنة رضي الله عنها وأرضاه أم النبي ﷺ من إرهاصات وخوارق للعادات، وما حصل في الكون من عجائب تناقلتها كتب السير، وما حدث لكسرى، وأرض فارس، وما كان في رضاعه من كمالات، وما رصده ورقة بن نوفل من دلائل نبوة النبي ﷺ، وما تحدث به عبد المطلب، وقصة عبد المسيح وسطيح، وارتجاس إيوان كسرى، وخمود نار فارس، وتنكس الأصنام، وتطواف ملائكة الرحمن بالنبي العدنان ﷺ.

ثم عرج على قضية أخذ العهد من الأنبياء بالإيمان به ونصرته، وما جاء من صفاته ﷺ المرقومة في الكتب السماوية السابقة، وما هي نقوش خواتم الأنبياء السالفين، وبروز اسمه ﷺ في الجنان والعرش، وما حدث من كرامات لهذه الأمة بعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

وقد استدعى هذا الفصل التعامل مع المصادر الأصلية المسعفة لمثل ذلك كسيرة ابن إسحاق، والاستيعاب لابن عبد البر، والمنتظم لابن الجوزي، وشرف المصطفى للخركوشي، وطبقات ابن سعد، وكتب دلائل النبوة، وكتاب

الحافظ العزفي المسمى بالدر المنظم في مولد النبي المعظم، وكتاب ابن القطان المسمى: بالبشائر والإعلام، وكتب الزبير بن بكار، وكتب البكري، والمسعودي وغيرها من الكتب.

بعدها شرع في **الباب الثالث:** وهو في الغرض المقصود من الجواب عن المسألة المسئول عنها.

وقد احتوى على فصول:

ـ **الفصل الأول:** فيما يتعلق بمعاني الألفاظ المحتاج إليها في تحقيق المسألة.

وقد تكلم فيه عن معنى مادة (شرف)، ومعنى مادة (فضل)، ونقل في هذا الفصل عن أهل اللغة.

ـ **الفصل الثاني:** في أفضلية بعض الأزمان على بعض ما بحسب ما تختص به لا بذواتها.

ـ **الفصل الثالث:** فيما يفضل من بعض الأزمان على بعض.

ـ **الفصل الرابع:** تقدمة في المفاضلة بين الليلتين.

ـ **الفصل الخامس:** وهو عمدة الفصول لاحتوائه على الجواب الذي طال انتظاره، وقد أبدع في هذا الفصل غاية الابداع، وراح ابن مرزوق يصول ويجول وتكلم في مطلع هذا الفصل عن الاجتهاد والتقليد بنظر عالم أصولي محترف، بعدها دخل على مرحلة الاستدلال على أفضلية ليلة المولد على ليلة القدر وقد وظف علم آداب البحث والمناظرة، وعلم المنطق في التجييش لمبتغاه، واستطاع أن يبلغ إلى واحد وعشرين دليلاً على أرجحية ليلة المولد على ليلة القدر.

ثم بعد ذلك عقد مبحثاً أورد فيه إشكالات ربما يوردها الخصم عليه تبرع بها لخصمه من عندياته، وحضرها من بنات أفكاره، وأخذ يرد عليها واحدة واحدة، وقد أظهر في هذا المبحث قدرة فائقة على المحاورة والمناورة، واستخلاص الأجوبة النقية المفحمة لكل معترض أو منكر.

ولما انتهى من مقصود الكتاب صنع خاتمة ابتدأها بالاعتذار عن التقصير، وعقب هذا الاعتذار بسرد أحاديث حاثة على الصلاة والسلام على حضرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وختم بفضل الخلافة، وما خص الله به الخلفاء في الأرض من الفضل، وفي فضيلة هذه الإيالة الكريمة، وقد جمع في هذه الخاتمة آيات وأحاديث وأقوال للسلف والحكماء وأهل التصوف الشيء الكثير.

وقبل النهاية تقدم بتكميل وتذييل بين فيه السبب الداعي للإطالة في هذه الخاتمة، والاسترسال في أصل الكتاب وبسط الأدلة فيه وسبب تنويعها، وختم بأحاديث أسندها عن أشياخه متصلة برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متعلقة بالاستغفار، وختم بحديث دعاء ضم المجالس لدى علماء المصطلح وكتب الفهارس والأثبات.

** ** **

نسبة الكتاب

إن تحديد نسبة كتاب معين إلى مؤلفه يخضع لمعايير فنية يعرفها الباحثون والمحققون الذين أفنوا حياتهم في دراسة المخطوطات وقضوا أعمارهم بين أرفف خزائن المؤلفات حتى أصبحوا صيارفة الكتب يميزونها بنظرة فيقررون أن هذا المصنف خط فلان من الأئمة أو أنه ينتمي إلى العهد الفلاني، والقرن العلاني.

وليس وجود عنوان على مخطوط مرقوم باسم علم من الأعلام يصبحه صحيح النسبة له، فنحن نجد في عالم المطبوعات كتب نسبت إلى أعلام هم برءاء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب: ككتاب الرحمة في الطب والحكمة المنسوب إلى الحافظ جلال الدين السيوطي وهو ليس له، وكذلك تفسير الأحلام لابن سيرين ليس له إنما هو من مؤلفات أبي سعد الخركوشي صاحب كتاب شرف المصطفى، كما نسب للإمام مالك بن أنس كتاب يسمى: (السر) دسه بعض الحاقدين عليه والقائمة تطول في المصنفات المنسوبة إلى علماء ليست لهم، ولا سمعوا بها، وقد اختلفت أغراض النسبة، فبعضها بسبب الجهل، والبعض الآخر بسبب الخطأ، وبعضها بغرض إلصاق التهم، ودواليك...

فإذا عرفنا ذلك وتبيناه، وجب علينا تحري الدقة، وإعمال المعايير الصحيحة الموصلة إلى الحقيقة اليقينية أو المقاربة لها، ونحن إذا ما أمعنا النظر

في كتاب جنى الجنتين نجد أنه لا يوجد نزاع أصلاً في نسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه ابن مرزوق الخطيب بالتحديد، فقد نقل العلماء النقاد أن الكتاب من صنعه كابن عباد حيث نقل عن الكتاب نصاً لا بأس به ضمنه جواباً حول المولد نقله عنه الونشريسي في المعيار المعرب: (١١/ ٢٧٨ - ٢٨٩) وكذلك قام المقري في أزهار الرياض (٤/ ١٩٨) بمناقشة بعض الاعتراضات التي أوردها الجزنائي على ابن مرزوق.

هذا من جهة أضف إلى الأحداث التي ذكرها ابن مرزوق عن نفسه، ووصف بها حاله، وما أصابه من محنة، وصلته بالأمراء، كما ذكر بعض شيوخه الذين أخذ عنهم، ناهيك أنه أحال في جنى الجنتين إلى بعض كتبه المشهورة مثل كتاب بوح الخفا في شرح الشفا وهذا الكتاب قد أهداه ابن مرزوق الحفيد إلى الحافظ ابن حجر العسقلاني باعتباره أحد مؤلفات جده وقد فرح به الحافظ فرحاً شديداً وأغتبط به.

كل هذه الحوادث تجعلنا أمام يقين لا يتزحزح من أن جنى الجنتين هو أحد مؤلفات ابن مرزوق الخطيب، الذي بلغ حد الشهرة والاستفاضة بين العلماء.

** ** **

النسخ المعتمدة

تحصلت على نسختين من الكتاب وهما على النحو الآتي:

الأولى: من مقتنيات مؤسسة المفكر علال الفاسي الموجودة بالمملكة المغربية، وهي نسخة نفيسة، كاملة قليلة الأخطاء، ويظهر عليها أنها مصححة، وخطها مغربي جميل، بيد أنه لم يذكر ناسخها، ولا سنة النسخ.

وهي مقيدة تحت رقم: (ع١٢٥)، وعدد أوراقها (٧٦ ورقة) وكل ورقة مشتملة على (١٨ سطراً). وقد اعتمدت هذه النسخة ورمزت لها بـ (الأصل).

الثانية: رمزت لها بـ (ب) وهي من مصورات مركز جمعة الماجد بدبي، وأصل النسخة موجودة ضمن مقتنيات الخزانة العامة بالرباط، إلا أنها نسخة سقيمة، وخطها رديء، ومليئة بالأخطاء، لكن لا تخلو من فائدة، لذلك استعنا بها في المقارنة دون أن نثبت الفوارق بين النصين سوى المهم المؤثر حسب تقديرنا.

* كتبها إبراهيم بن علي بن محمد الفلات، في يوم الاثنين ثلاث عشرة جمادى الأولى من عام واحد وألف من الهجرة.

* وهي مقيدة تحت رقم: (١٣٨٠) وعدد أوراقها (٤٦ ورقة) وكل ورقة مشتملة على (٢١ سطراً).

** ** **

منهجي في التحقيق

سلكت في تحقيقي لهذا الكتاب الطريقة الآتية:

١ ـ قمت بنسخ الكتاب ومقابلته.

٢ ـ عزوت الآيات الكريمة إلى أماكنها في السور.

٣ ـ قمت بتخريج الأحاديث النبوية، وحاولت أن أستقصي في العزو، مالم يكن الحديث في الصحيحين أو أحدهما.

٤ ـ ترجمت لمشايخ ابن مرزوق الواردة أسماؤهم في المخطوط، كما ترجمت بعض العلماء من غير مشايخه لإزالة الاشتباه، أو لعدم الشهرة، أما المشهورون فلم أقم بترجمتهم لكي لا نثقل الهوامش، ونرهق القارئ.

٥ ـ استقصيت عزو الآثار، والأقوال لأصولها، وكذلك مطابقة المنقول مع أصوله المطبوعة، والمخطوطة إن تحصلت.

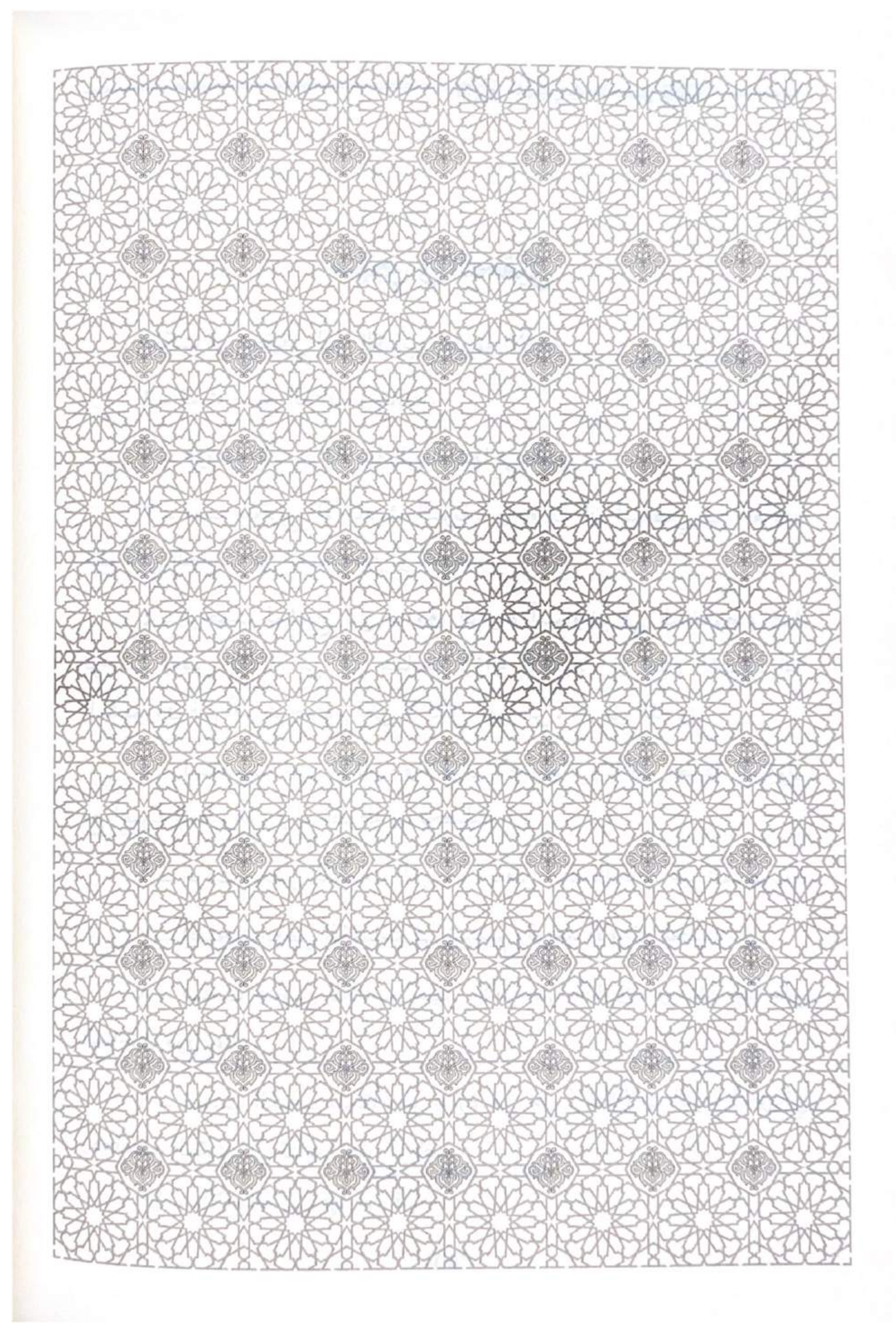
٦ ـ عرفت ببعض الكلمات الغريبة، وبعض المصطلحات غير المشهورة.

٧ ـ أصلحت بعض الكلمات كي تستقيم وقواعد الإملاء الحديثة.

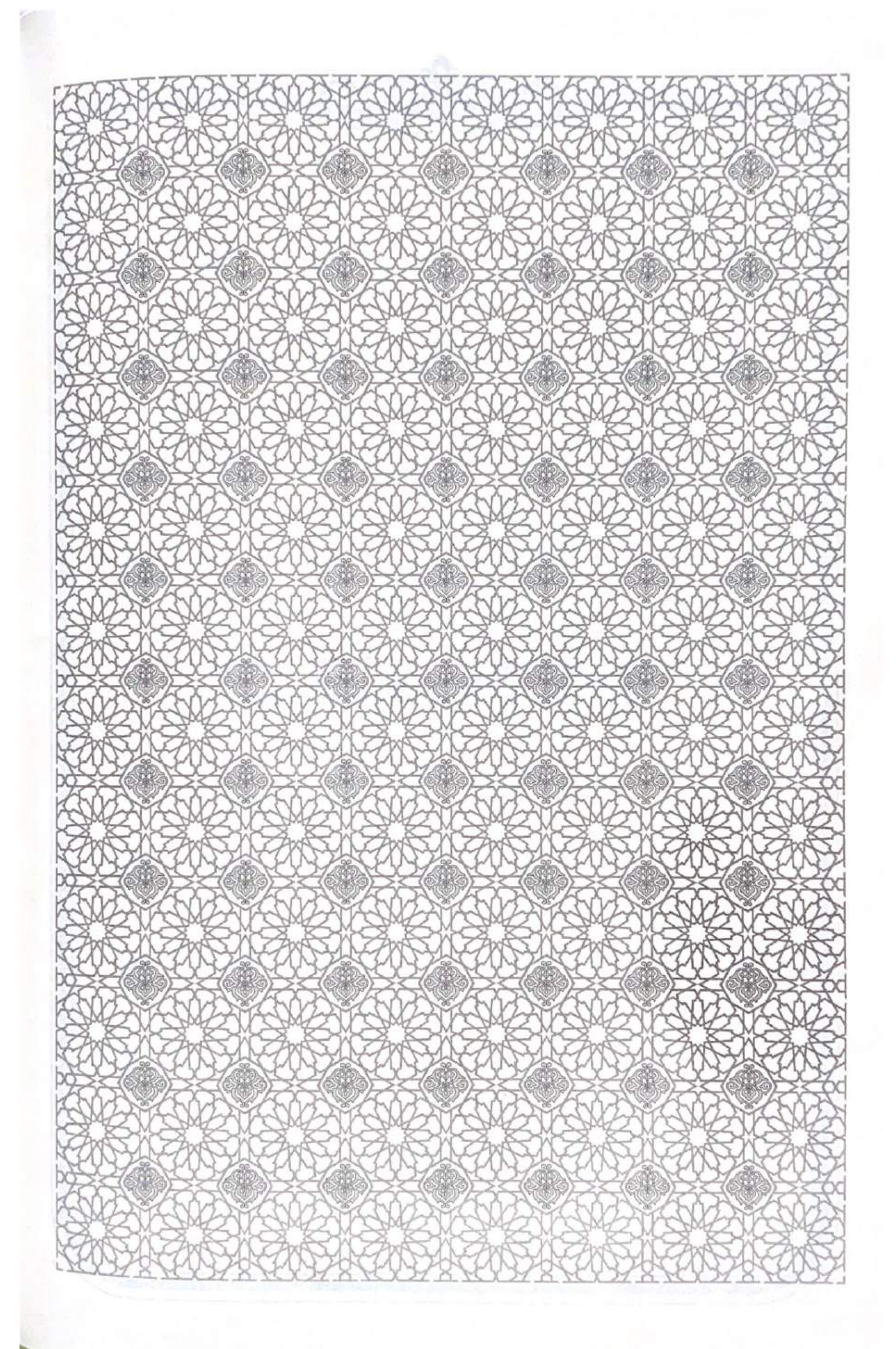
٨ ـ صنعت عناوين للكتاب ليسهل الأمر على القارئ، ويستدل بها على المباحث دون عناء.

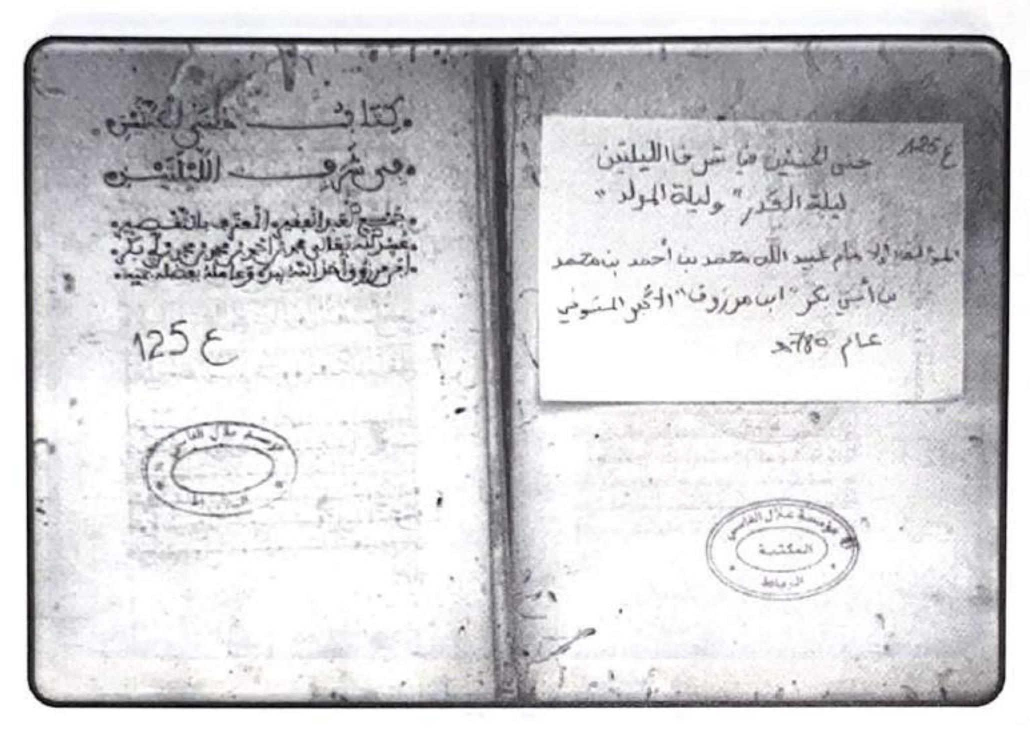
٩ ـ ضمنت الكتاب ملحقاً وهو عبارة عن حل لإشكالات أثارها الجزنائي ردها عليه المقري في كتابه أزهار الرياض.

١٠ ـ بالإضافة إلى فهارس فنية.



صُوَرُ المَخطُوطَاتِ المُستَعَانِ بِهَا

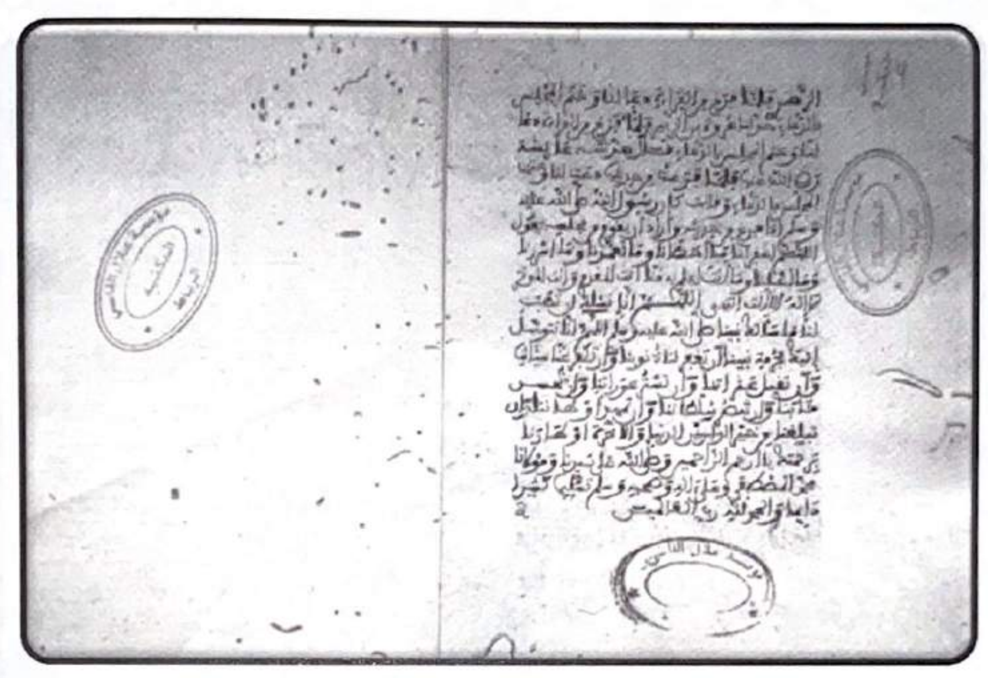




ورقة الغلاف من نسخة الأصل



الورقة الأولى من نسخة الأصل



الورقة الأخيرة من نسخة الأصل



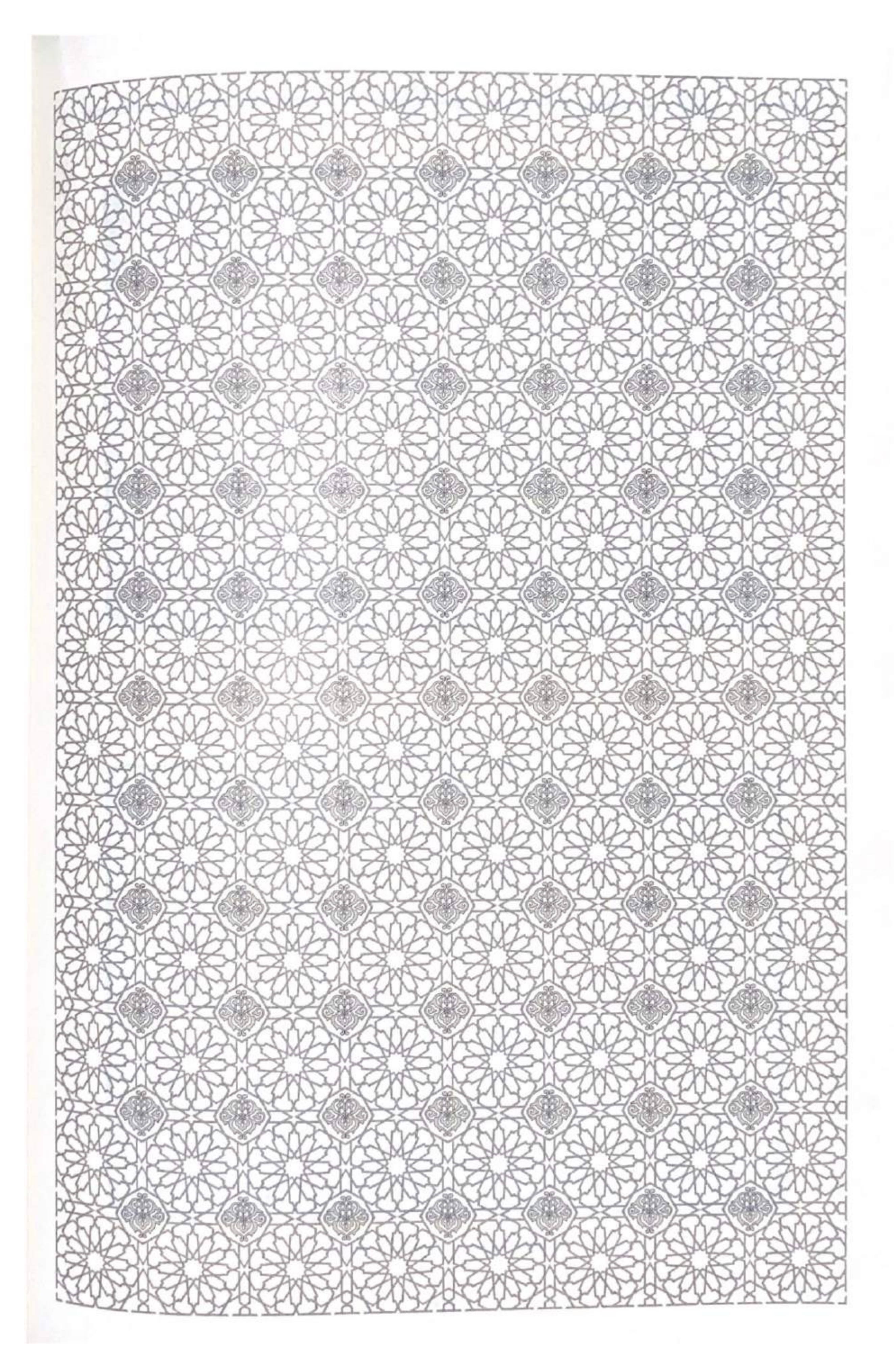
ورقة الغلاف من النسخة (ب)



الورقة الأولى من نسخة (ب)



الورقة الأخيرة من نسخة (ب)





جنى الجنّتين

في شرف الليلتين

ليلة القدر - ليلة المولد

تأليف

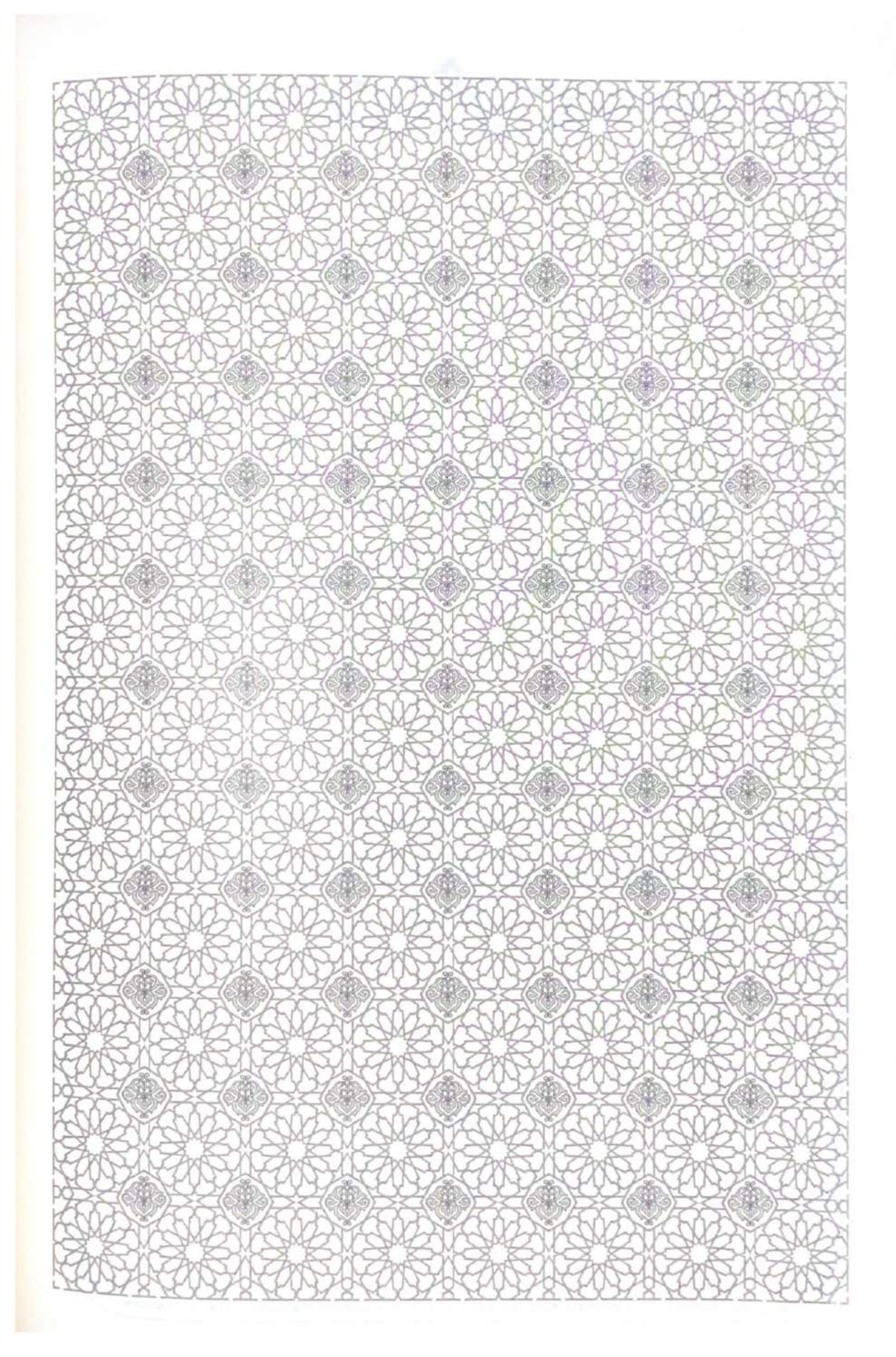
الإمام الحافظ الفقيه

أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن مرزوق التلمساني

(ت ٧٨١ هـ)

دراسة وتحقيق

د. إبراهيم بن الشيخ راشد المريخي



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

قال الشيخ الإمام الأجل الخطيب البليغ الأفضل الحاج المبرور الأجمل المدرس المبارك أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق رحمه الله تعالى، ورضي عنه ونفعنا به بمنَه.

الحمد لله الذي لا شَبِيْه له في عظمة ذاته، ولا مثل له في صفات كماله، وكمال صفاته، ولا شريك له في تدبير مُلْك أرضه وسماواته، ولا معقب لأحكامه ولا راد لإراداته، مُشَرف من شاء من مخلوقاته بما شاء من تفضيله وعناياته.

نَحمدُهُ حَمْدَ من يعلم أنَ الحمد واجب عليه في كل حالاته، ونشكره على ما أسبغ من هباته، وسوَغ من عطاياته، ودفع من (١/أ) عقوباته.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يجدها العبد عُدة عند مماته، ومنجاة من الأهوال يوم الفزع الأكبر ومخوفاته.

ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الذي فضله على جميع برياته، وختم به أنبياءه ورسالاته، البشير النذير الذي أنزل عليه الذكر الحكيم وآياته، النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته، السراج المنير الذي جلى الله بنوره هداياته ما دجى من غياهب الكفر وظلماته، الرسول الكريم الذي جادل وجالد ببراهينه ومرهفاته،

حتى أكمل الله به دينه، وأتم على أمته نعمته ببركاته، وشرَّف من أجله أزمانًا وأوطانًا حسب ما نفذت به سوابق إراداته، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه مصابيح الإسلام وهداته.

ورضي الله عن الإمام المهدي المعلوم محي سنن الهدى وحامي حرماته، وعن الخلافة العلية الموحدية الأوحدية العمرية الحفصية المنتخبة من أكرم عناصر الشرف وأفضل أرُوماته، سلالة من فرق الله به بين الحق والباطل ووافق راية الفرقان في كثير من آياته، وشهدت الأخبار المتواترة والأسانيد المتضافرة[1] بمناقبه العديدة وكراماته، وشهد له الشَفيع المشفع الرفيع المرفع (١/ب) بالجنة في كثير من مقولاته، وعن وارث سلفها وشرفها، وإمام مقدمها وقدوة خلفها، وأصل منتهى الفضل وغاياته، وحائز خلال الكمال، وكمال الخلال، إلى غاية منتهياته، المقام العلي الإمامي المستنصري الإبراهيمي المولوي أعلى الله في سماء المجد والسعد مقاماته، وعرفه الخير والبِشْر والنصر والبر من جميع جهاته، وأراه منتهى آماله وأقصى إراداته.

[شكوى الحال]

وبعد: فإني لما دهتني الفتن، وتغيَّر في نظري الوطن، وفارقت الأقران، وعَدِمْتُ الإخوان، وتجلَّى نهار المشيب، فَبَدَتْ لي معائب الاغترار، ورأيت في مرآة الزمان صور الأغيار، وحالت عليَّ معهودات الأحوال، وتحملت من الهموم الدنيوية أثقالاً وأي أثقال، وكابدت نكبات وعثرات من الدَّهر يقل لمثلها أن يقال، وحصلت العناية الربانية فَفُكَّ على حين غفلة العقال، وخلصت حين

(١) في الأصل: المتظافرة.

عُدَّ الخلاص من المحال، هذا ولم أجز[1] علم الله على من جنى، ولا كنت فيه والله يشهد إلَّا محسنًا.

ولكنها نفس الخبيث أخبر عما تُكنهُ صريح الحديث، ولما أحلت المسيء على المحسن حقًا، وعولت على أنه المجازي يقينًا وصدقًا (٢/أ)، لم يبق سبحانه ممن افترى واجترى بشرًا، وأرى فيمن ظلم وبغى آثارًا عجيبة وَعِبرًا.

فسبحانه من حكيم حكمٌ عدل ما أعدله، ومولى كريم ما أجزل إحسانه وأجمله، وعلمت أنها الدنيا وأهلها وشأنها أبدًا التَغيّر والتحوّل، والتَلون والتبدُّل، وقد روينا في جزء ابن شاذان[2] عند قوله ﷺ: «إن من الشّعر لحكمة» قال أبو سهل السري بن عاصم صدق ﷺ، فمن ذلك قول القائل:

ومَـنْ يـرد الـدُنيا لعـيشٍ يسـرُهُ … فسـوف لعمـري عـن قليـل يلُومُهـا

إذا أدبرتْ كانت على المرء حسرةً … وإن أقبلـتْ كانـت كثيـرًا همُومُهـا

ومن هذا المعنى ما وقع لي وإن لم يكن يقاربه في الحسن والإحسان من كلمة طويلة:

أرى مـن سـاد بالـدنيا عظيمًـا … يَحُـفُ بـه الأقـارب والأباعـدْ

فـإنْ دارتْ دوائرُهـا تـولَى … إذايتـه المسـاعف والمسـاعدْ

[الوصول إلى أمير المؤمنين أبي إسحاق]

شرحت فيها الحال، وما وقع من الألطاف الربانية في فك العقال،

---

(١) كذا في الأصل وفي ب، ولم يتبين لي تمام المعنى.

(٢) لا يوجد هذا النص في المشيخة الصغرى لابن شاذان المطبوعة ولعله موجود في الكبرى.

وهاجرت[1] من وطن جرت فيه مطاوعة الهوى ومكابدة الهوان، ومساعدة النفس والشيطان، والظهور بالدنيا بعد التعرف بالانتماء إلى العلماء الأعيان، والصلحاء الذين سارت بأحاديث كراماتهم ومقاماتهم الركبان (٢/ب) بمن وجب عليَّ حق تربيته من أصاغر الولدان، وضعفاء القوارير، مفارقًا الأوطان، منابذًا لمن اقتحم عليَّ في المقام من أمير وكبير وسلطان، عاملاً على اللحاق بالحرمين، راجيًا الثواء في أحد المحلين، وجوار الأب المرحوم في ملحده، والجري على سننه المعروف بالحرمين الشريفين ومعهده، حللت بهذه الحضرة الكريمة الطاهرة الأعراق، الوسيمة الخلائق والأخلاق، الوارثة لمنصبها العلي بالاستحقاق، حضرة مولانا أمير المؤمنين المستنصر بالله المؤيد بنصر الله أبو إسحاق[2] ماتًا إليها بحب متوارث على القدم، وتشيع[3] في مقاماتها العلية، راسخ القدم، مجتازًا بحضرتها، مجددًا شكر ما سبق من نعمتها، مقيمًا بأرجائها المحوطة، ريثما تتجرد أسباب السفر البعيد الشقة، وتحصل بعض الراحة من مكابدة المشقة.

وقد أولى ﷺ من جميل إحسانه ما أولى، وأنسى فأجرى فضائله وألطافه ما أسلف سلفه الكريم في الأولى، وقلد الخطط الشريفة والمنن، وجرى في إحسانه وامتنانه على أفضل سَنَن، وَنَدَب إلى إطالة المقام، وقيد بالإحسان، وأهلني للمجارات في الفنون (٣/أ) العلمية مع حلبة علمائه الأعيان، وصان

(١) سقطت هذه الكلمة من الأصل، وأثبتها من ب.

(٢) اسمه إبراهيم أحد سلاطين الدولة الحفصية بتونس، وهو ممن احتفى بابن مرزوق حينما ورد على تونس، وعينه خطيباً بجامع القصر، ومدرساً بمدرسة الشماعين، حتى أنه عقد زواج السلطان أبي إسحاق ببنت الوزير، توفي سنة سبعين وسبعمائة.
انظر: الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية لابن الشماع: ١٠١ ـ ١٠٦.

(٣) في ب: وتشفيع.

جهتي صان الله جهاته ودولته من طوارق الحدثان، عن الاحتياج إلى معونة من فارقته من أمير وسلطان، وخلفته من نشب[1] مبقىً في الأوطان، وحمى حماي حمى الله مملكته من عوارض البغي والعدوان، عن أن يضام أو يقصد بحط أو نقصان، فهو الذي يقال فيه حقًا:

يستمسك اللَّاحي إلى أبوابهِ ... بأمانه من حادثات زَمانهِ

فهو الإمام الذي فرع الخلفاء وحاز مداهم، وتخطى مراتبهم العلية في الفضل وتعداهم، فهو الذي يقال فيه:

فهو الأمير الرضي فخر الملوك أبو ... إسحاق في الله ما يأتي وما يذَرُ

وإن كان قد قيل في المولى المعظم جده، فهو المحيي لرسمه والمجدد لعهده، وماذا أقول في وصف معاليه، ونشر محاسنه التي أعجزت بلاغة صاحب البيان ومعانيه، وَلِتعداد أوصافه الكريمة، ومكارمه العميمة، وخلاله الوسيمة، وأخلاقه العظيمة، وإن أعيت الحاصر والعاد، موضوع منه إن شاء الله تستفاد.

[سبب تأليف الكتاب]

وكانوا رضوان الله عليهم يعمرون مجالسهم الكريمة ببث الفوائد العلمية، والمباحث في الأدلة النظرية، وفرض الأسئلة (٣/ب) عن الأحكام الفرعية، والنكت الأصلية، جريًا على سنن سلفهم الكريم، وتحريضًا على التعلم والتعليم، فتقع المفاوضة بين علماء حضرتهم، وفقهاء دولتهم، فأنال في أثناء هذه المفاوضة[2] حظًا من الاختصاص والاحتظاء والإكبار تفضلاً منهم والاعتناء،

---

(١) النشب هو المال والعقار، انظر: الصحاح: ١٠٣٩.

(٢) في ب: المعارضة.

وإن كنت معترفًا بعدم الأهلية، والقصور عن مرتبة من بحضرتهم الكريمة من العِلية وأئمة الأعلام وأعلام الأمة، وكان ما وقع بحثهم ﷺ عنه من الأبحاث المبتدعة، والأسئلة المستصعبة المخترعة، أي الليلتين أعلى وأشرف، هل ليلة القدر أو ليلة مولده ﷺ؟

سؤالاً يُعَظم قدره المنصف، ويُعذَر فيه المتوقف، إذ لم يتعرض له السلف، ولا نهج سبيله الخلف، وأمروا ﷺ بالبحث عن مظان وجود النص فيه، واستقصاء استخراجه من مظانيه، ونواحي مناحيه، فلم يقف أحد منا في جواب المسألة على نصٍّ جلي، ولا اقتدى في اختياره بمتقدم سالف أو عصري، وعند إنهاء الجميع لمقامهم العلي عدم وجود هذا المطلب السني، أمروا ﷺ ببسط المسألة وتقريرها، وبيان محل النزاع فيها وتحريرها، وتمهيد موجبات شرف الليلتين الكريمتين وتسطيرها، وإقامة (٤/أ) البراهين على أشرفهما قدراً، وإن اشتركتا في الشرف وحازتا على بقية الليالي فخرًا وذكراً، وشافهوني ﷺ في ذلك بالأمر المؤكد، والتأكيد المردد، عنايةً منهم ﷺ واختصاصًا، فجعلت جوابي دعاء وضراعة وإخلاصًا، وأحجمت ولا لوم في موضع الإحجام، فقالوا مشرفين تقدم، ليكن مقصدك الأمام.

فقلت: وأنى لي بمجارات من اشتمل عليه مقامهم العلي من الأعلام، وأين أنا من شيخ الفقهاء، وصاحب الإفتاء، ومن عالم القضاة وقاضي العلماء، ومن إمام سابق في ميدان المشاركة وأي إمام.

فلما لم يوسعوا المعتذر المقصر عذرا، ونظروا بعين الاعتناء تفضلاً منهم وبِرّا، وعلموا أن البضاعة مزجاة، وأن الإجابة مرجاة، أوضحوا لي النهج في التأليف، وعرفوا طريق الجمع والتصنيف، ومهدوا لي سبيل اقتحام هذه

المفاوز، ودلوني على ما يلجأ إليه المقصر والعاجز، ونهجوا لي ما أعتمده في الاستدلال، وأعول عليه في حلِّ ما يعرض من الإشكال، وعينوا الأفضل فاخترته، وما تقوم لي به الحجة على الدعوى فسلكته، وكشفوا عن بصري، فلمحت باب الإرشاد منفتحًا، ومحل إجالة الفكر منفسحًا، ووجه الدليل لما ذهبوا إليه ودلوا عليه متضحًا، فقلت (٤/ب): غير نكير إمام هدى، ومؤلف بخليفته اقتدى.

فقد روينا[١] أن أبا جعفر المنصور رحمه الله كلَّم مقلدنا وإمامنا مالكًا رضي الله عنه أن يضع للناس كتابًا يحملهم عليه، فاعتذر له مالك، فأبى عليه، فقال له: ما أحد أعلم منك بوضعه، وأن المنصور قال له: يا أبا عبد الله ضع هذا العلم ودونه كتبًا، وجنب فيه شدائد عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، ورخص عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وشواذ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، واقصد أوسط الأمور، وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة، فكان مالك يقول: علمني المنصور كيف وطأت هذا العلم.

[منهجية التصنيف]

فسارعت للأمر العلي ممتثلاً، وبادرت بوضع هذا المجموع عجلاً، وأقدمت ـ عَلِمَ الله ـ خَجِلاً، ومن مخالفة الأمر الجزم وجلاً، فجمعت من شرف الليلتين ما تراه، وأودعت هذا المجموع المختصر ما اقتضاه، فجاء ابن ليلتين مستهلاً، وبالغرض المقصود ممن شرف الليلتين الكريمتين مستقلاً، وأودعت[٢] فيه من الأخبار والآثار، ومذاهب علماء الأمصار، وغرر الفوائد، ودرر الفرائد، وتواريخ الأمم، وذكر بعض ما أثر عن العرب والعجم، والنكت

---

(١) ذكره القاضي عياض في ترتيب المدارك: ١/١٩٢ ـ ١٩٣.

(٢) في هامش الأصل: وسردت، وفي ب: وجمعت.

العجيبة، والنوادر الغريبة، والطرف الأدبية (٥/أ)، والإشارات الصوفية، والأدلة النظرية، والمباحث الجدلية، ما يعترف المنصف لمصنفه في هذا القدر من الزمان ببلوغ الغاية في الإجادة والإحسان.

ومن غلب عليه الإباء فهذا الطَّلْقُ وهذا الميدان، فليسلك في اعتراضه وبحثه وانتقاده سبيل الإنصاف، وليقصد الحق وترك الخلاف، وليتأول أحسن التأويلات فيما يطغى به القلم أو تسبق له من غير قصد البنان، أو يؤتى به على سبيل النسيان، وليقدم حسن النية قبل النظر، والإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ فيما يأتي أو يذر، والله يعلم أني قصدت امتثال أمر من وجب عليَّ امتثال أمرهم، وتخليد ما يشفع به المحبون للجناب النبوي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سرِّهم وجهرهم.

ولما أكملت إملاءه، ووفيت في هذا الأمر المحدود استيفاءه، سميته:

«جنى الجنتين في شرف الليلتين» وسألت الله عَزَّوَجَلَّ أن لا يخليني من أجره وثوابه، وأن يحشرني في زمرة النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وسائر من أثبت اسمه في ديوان أحبابه وقسمته على ثلاثة أبواب (٥/ب):

الباب الأول: فيما يختص بليلة القدر، وفيه فصول.

الباب الثاني: فيما يختص بليلة المولد الشريف، وفيه فصول.

الباب الثالث: في الغرض المقصود من جواب هذا السؤال الواقع، وفيه فصول.

** ** **

الفَصْلُ الأوَّلُ

من الباب الأول

فيما يختص بليلة القدر من سبب نزولها، وأصل تسميتها بهذا الاسم ومعناه، وفضلها

فلنتكلم بحول الله على ذلك بحسب الوسع والإمكان، فنتكلم بعون الله

*** أولاً: في سبب نزولها، وأصل اختصاص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفضلها:**

فنقول: ذكر غير واحد من المفسرين رحمة الله عليهم للتفضل بهذه الليلة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسبابًا حسب ما يقع التنبيه عليه إن شاء الله تعالى، أوجهها عندي ما جاء من طريق تعتمد صحته، ويعول على نقله، وهو ما رويناه بأسانيدنا المتعددة إلى إمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه في موطئه[1] أنه سمع من يوثق به من أهل العلم يقول: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أري أعمار الناس قبله، أو ما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم في طول العمر (٦/أ)، فأعطاه الله ليلة القدر، خير من ألف شهر. وإن كان قد قال في الحديث الحافظ أبو عمر يوسف بن

(١) كتاب الاعتكاف: ما جاء في ليلة القدر: ١/٤٣٠، رقم: (٨٩٦) وقد وصله الحافظ ابن الصلاح في كتابه وصل البلاغات الأربعة في الموطأ: (٢٠٣) من طريق جويبر بن سعيد وهو متروك، قال ابن الصلاح عقب الحديث: هذا غريب المتن جداً، وضعيف الاسناد جداً.

عبد البر النمري[١] وغيره من الحفاظ أنه لم يروه مسندًا ولا مرسلاً من وجه من الوجوه إلَّا مالك في الموطأ وهو أحد الأربعة الأحاديث التي لا توجد في غير الموطأ.

* **وثانيها**: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا أَنشأَتْ بَحْرِيَة ثم تشاءمتْ فتلك عين غُدَيقة»[٢].

* **وثالثها**: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني لأنسى أو أُنَسَّى لأَسُنَ»[٣].

* **ورابعها**: وصيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ حين وضع رجله في الغرز...[٤] الحديث بكماله.

---

(١) ذكر ذلك في كتابه: تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ٢٤٢، ٢٤٩، ٢٥٣.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ: الاستمطار بالنجوم: ٢٦٧/١ رقم: ٥١٧.
وقد أخرجه موصولاً ابن أبي الدنيا في كتاب المطر والرعد والبرق والريح: (٤٢) قال: حدثنا محمد بن يحيى بن أبي حاتم الأزدي قال: نا محمد بن عمر، نا عبد الحكيم بن عبد الله بن أبي فروة قال: سمعت عوف بن الحارث يقول: سمعت عائشة زوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقول: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: فذكر الحديث...
ومحمد بن عمر هو الواقدي كما صرح به الطبراني في المعجم الأوسط: ٤٠٤/٥. رقم: (٧٧٥٧) فقد قال بعد أن أخرج الحديث بنفس الطريق المتقدم: لم يرو هذا الحديث عن عوف بن الحارث إلا عبد الحكيم تفرد به الواقدي.
انظر بقية الكلام على الحديث في وصل البلاغات: ٢٠٠ ـ ٢٠٢.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ: العمل في السهو: ١٥٥/١ رقم: ٢٦٤.
قال الحافظ ابن الصلاح في رسالته وصل البلاغات: ٢٠٤: وأما حديث النسيان فقد رويناه من وجوه كثيرة صحيحة ثم ساقها فانظره.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ: ما جاء في حسن الخلق: ٤٨٥/٢، رقم ٢٦٢٦.
قال الحافظ ابن الصلاح في رسالة وصل البلاغات: ٢٠٧: وأما حديث توصية معاذ بإحسان الخلق، فقد رويناه من وجوه ثم ساقها.

قلت: هكذا قال الحافظ أبو عمر وتبعه غيره على ذلك في تقاصر الأعمار، وقال الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي في كتاب القبس[1] وفي كتاب العارضة[2] له أيضًا لما ذكر الحديث الذي أخرجه الترمذي ورويناه في جامعه[3] بسنده عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بني أمية فساءه ذلك فنزلت: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] يعني نهرًا في الجنة، ونزلت: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ١ - ٣] يملكها بنو أمية.

وقال فيه القاسم بن الفضل الحُداني[4] فيما حكاه غير واحد من الأئمة عنه: إنها مدتهم من غير زيادة ولا نقص[5]، وهذا الحديث لا يصح، والذي رواه مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم أري أعمار (٦/ب) الناس قبله أصح وأولى، ولذلك أدخله ليبين الفائدة فيه، ويدل على بطلان هذا الحديث.

قلت: وتوهم بعض العلماء أن قول الحافظ أبي عمر يدل على عدم صحة

---

(١) ١/٥٣٧ - ٥٣٨.

(٢) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي: ٤/٩ - ١٠.

(٣) أبواب التفسير: باب ومن سورة ليلة القدر: ٥/٣٧١ - ٣٧٢ رقم (٣٣٥٠). قال الترمذي: ويوسف بن سعد رجل مجهول، ولا نعرف هذا الحديث على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: ٧/٣٣١ (وقول الترمذي إن يوسف هذا مجهول فيه نظر، فإنه قد روى عنه جماعة، منهم: حماد بن سلمة، وخالد الحذاء، ويونس بن عبيد، وقال فيه يحيى بن معين: هو مشهور، وفي رواية عن ابن معين قال: هو ثقة... ثم قال: هذا الحديث على كل تقدير منكر جداً، وقال شيخنا الإمام الحافظ الحجة أبو الحجاج المزي: هو حديث منكر).

(٤) في الأصل وب: الحراني، والصواب ما أثبتناه.

(٥) انظر: تعقيب ابن كثير على المدة في تفسيره: ٧/٣٣١.

هذا الحديث، وليس كذلك، إذ الانفراد لا يقتضي عدم الصحة، لا سيما من مثل مالك رضي الله عنه، وهذا الحافظ ابن العربي وهو إمام من أئمة الحفاظ المعتمدين قال فيه: وهو أصح وأولى.

وقد أفردت قديمًا جزءًا في إسناد هذه الأربعة الأحاديث، وقد أسند منها اثنين أحدهما في ذكري وغالب ظني هذا الحافظ عبد الله بن أبي الدنيا في إقليد التقليد[1] له من طرق[2]، وقد بينت أسانيدها في غير هذا المقتضب والله الموفق، فهذا السبب والله أعلم أظهر من غيره وأصح مستندًا.

[العودة إلى السبب الداعي إلى منح ليلة القدر]

وقال أبو بكر الوراق[3]: كان ملك سليمان بن داود عليهما السلام خمسمائة شهر، وملك ذي القرنين خمسمائة شهر، فصار ملكهما ألف شهر، فجعل الله العمل في هذه الليلة لمن أدركها خيرًا من ملكهما.

وقيل: إنَّ العابد كان إذا عبد الله عز وجل لا يسمى عابدًا حتى يعبد الله ألف شهر - ثلاثًا وثمانين سنة وأربعة أشهر - فجعل الله هذه الليلة لهذه الأمة تعدلها.

قال ابن مسعود رضي الله عنه[4]: أن النبي صلى الله عليه وسلم (٧/أ) ذكر رجلاً في بني

(١) همش الناسخ على هذا الموضع: بأن اقليد التقليد لابن أبي جمرة أيضاً.

(٢) قد مر بنا أن حديث إذا أنشأت بحرية قد أسنده الحافظ ابن أبي الدنيا في كتابه المسمى: المطر والرعد والبرق والريح.

(٣) عزا هذا النص والنصوص التي بعدها القرطبي في كتابه الجامع: ٢٠/١٣٠ - ١٣٢.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير: ٥٥٩/٧ رقم: (١٩٩٧٩) من حديث مجاهد، وكذلك البيهقي في السنن الكبرى: ٣٠٦/٤.

إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فعجب المسلمون من ذلك فنزلت السورة، ونحوه عن ابن عباس[1] رضي الله عنهما.

وقال وهب بن مُنَبِّه رحمة الله عليه: كان ذلك الرجل مسلمًا، وأن أُمَّهُ جعلته نذرًا لله عَزَّوَجَلَّ، وكان من قرية قوم يعبدون الأصنام، وكان يسكن قريبًا منهم، فجعل يغزوهم وحده، ويقتل ويسبي ويجاهد، وكان لا يلقاهم إلّا بلحيي[2] بعير، وكان إذا قاتلهم وقاتلوه فعطش انفجر له من اللحيين ماء عذب، فيشرب منه، وكان قد أعطي قوة في البطش لا يوجعه حديد ولا غيره، وكان اسمه شمسون.

وقال كعب الحبر: كان رجلاً ملكًا في بني إسرائيل ففعل خطة واحدة، فأوحى الله إلى نبي بني إسرائيل قل لفلان يتمنى.

فقال: يا رب أتمنى أن أجاهد بمالي وولدي ونفسي.

فرزقه الله ألف ولد، وكان يجهز الولد بماله في عسكره، ويخرجه مجاهدًا في سبيل الله، فيقيم شهرًا ويقتل ذلك الولد، ثم يجهز آخر في عسكر، فكان كل ولد يقتل في الشهر، والملك مع ذلك قائم الليل صائم النهار، فقتل الألف ولد في ألف شهر، ثم تقدم فقاتل حتى قتل، فقال الناس: لا أحد يدرك منزلة هذا الملك، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ سورة القدر، وأن ليلة القدر خير من ألف شهر من شهور ذلك الملك (٦/ب) في الصيام والقيام والجهاد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ بالمال والولد والنفس.

وعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما ويروى عن عليّ كرم الله وجهه ورضي عنه أن

---

(١) ذكره البغوي في معالم التنزيل: ٤/٥١٢.

(٢) اللحى بفتح اللام وتشديدها وسكون الحاء: عظم الحنك، وهو الذي عليه الأسنان.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر أربعة من بني إسرائيل عبدوا الله ثمانين عامًا لم يعصوه طرفة عين، فذكر أيوب، وزكريا، وحزقيل ابن العجوز، ويوشع بن نون، فعجب أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك، فأتاه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال يا محمد: أعجبت أمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين عامًا لم يعصوا الله طرفة عين، فقد أنزل الله عليك خيرًا من ذلك ثم قرأ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

فَسُرَّ بذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رضوان الله عليهم.

ذكره غير واحد من المفسرين[١] رحمة الله عليهم عن عروة، وذكره آخرون عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قلت: فهذه الأسباب التي ذكرها المفسرون، ولا نزاع أنَ السبب الأول أصحها لما قدمناه، ولا يبعد أن يكون موافقًا لهذه الأسباب فيتفق مجموعها سببًا للنزول إذ لا تتنافى.

وقد سلك ذلك القاضي أبو محمد بن عطية[٢] والقاضي أبو بكر[٣] وغيرهما في كثير من أسباب نزول الآي إذا أمكن أن تكون صالحة ومناسبة غير متنافية والله أعلم، ولجلب هذه الأسباب (٧/أ) في هذا المقتضب فوائد تظهر آثارها فيما بنيت عليه المسألة، وبالله التوفيق.

** ** **

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير: ٥٥٩/٧ رقم: (١٩٩٨١) من حديث علي بن عروة.

(٢) صاحب كتاب المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز.

(٣) ابن العربي المعافري المالكي.

الفَصْلُ الثَّانِي

في تسميتها بهذا الاسم الذي عرفت به

قال مجاهد[1]: سميت ليلة القدر لأنها ليلة الحُكْم وهو التقدير.

وقال أيضًا[2]: سميت بذلك لأن الله تعالى يقدر فيها ما شاء من أمره إلى مثلها من السنة المقبلة من أمر الموت والأجل والرزق وغيره، وتسليمه إلى مدبرات الأمور وهم أربعة من الملائكة: إسرافيل، وميكائيل، وجبريل، وملك الموت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يكتب من أم الكتاب ما يكون في السَّنة من رزق، ومطر، وحياة، وموت، حتى الحاج.

قال عكرمة: يكتب حجاج بيت الله في ليلة القدر بأسمائهم وأسماء أمهاتهم فلا يغادر منهم أحد، ولا يزاد فيهم، وقاله سعيد بن جبير.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إنَّ ذلك إنَّما يكون في النصف من شعبان، ويُسَلَّم لأرباب التقدير في ليلة القدر.

وقال القاضي أبو الفضل رحمه الله[3]: ومعنى ذلك والله أعلم إظهار ما قدره

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: ٦/٢٢١، رقم: (٣٣٨٧).

(٢) ذكر هذا القول والأقوال التي بعده القرطبي في تفسيره الجامع: ٢٠/١٣٠.

(٣) أي القاضي عياض. انظر: إكمال المعلم له: ٤/١٤١ ـ ١٤٢.

الله تعالى في أزله من ذلك لحملة وحيه، وملائكة سمائه، ونفوذ أمره بذلك لهم، أو إظهار ما ينشأ من أفعاله الدّالة على ذلك عندهم، وإلّا فقدر الله عَزَّوَجَلَّ وسابق علمه بالآجال والأرزاق، وقضاؤه بما كان (٧/ب) ويكون لا أول له، فهذا هو معنى ما ورد في هذه الآثار والله أعلم.

وقيل: إنما سميت بذلك لأن الطاعات فيها قدر عظيم، وثواب جزيل.

وقال أبو بكر الوراق: سميت بذلك لأنَّ من لم يكن له قدر ولا خطر يصير في هذه الليلة ذا قدر إذا أحياها.

وقيل: سميت بذلك لأن الله جل جلاله أنزل فيها كتابًا ذا قدر على رسول ذي قدر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمة ذات قدر.

وقيل: لأنَّ الله يُنزل فيها ملائكة ذووا قدر وخطر.

وقيل: لأن الله ينزل فيها الخير والبركة.

وقال سهل بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سميت بذلك لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قدر فيها الرحمة على المؤمنين.

وقال الخليل: لأنَّ الأرض تضيق فيها بالملائكة كقوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق: ٧] والله أعلم[١].

ونقل القاضي أبو بكر بن العربي[٢] رحمة الله عليه الاختلاف في ذلك فقال: هي ليلة القدر، والقَدْر، والقَدَر فأما الأول: فالمراد به الشرف كقولهم: لفلان قدر في الناس، يعنون بذلك مزية وشرفاً.

(١) نقل هذه الأقوال القرطبي في الجامع: ٢٠/١٣٠ ـ ١٣١.
(٢) في القبس: ٢/٥٣٣ ـ ٥٣٤.

وقيل: إنَّ القدر بمعنى التقدير قال الله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

وقال علماؤنا: يلقي الله فيها إلى الملائكة ديوان العام، والقدر.

وقيل: للزيادة في المقدار قال تعالى: ﴿حمٓ ۝ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ١ ـ ٣] والبركة هي النماء والزيادة، قيل: ليلة النصف من شعبان، قال: والصحيح أنها (٨/أ) ليلة القدر، ولو لم يكن من شرفها إلّا نزول القرآن فيها قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] فالمباركة في الدخان هي ليلة القدر إلّا أنَّ الإنزال واحد.

قال: وَعَمِيَ هذا على المفسرين لأحاديث نسبت إلى النبي ﷺ في فضائل النصف من شعبان ليس لها أصل في الصحة، فلا تحفل بها. هذا نصُّه في تلخيص هذا الخلاف في كتبه.

قلت: ولولا الخروج عن الغرض وتقديم المتعَيَن من الامتثال المفترض، لأوردت ما ثبت في ليلة النصف من شعبان مما يعتمد عليه، ويرجع في الصحة إليه[1].

---

(١) الأحاديث الواردة في فضل ليلة النصف من شعبان كثيرة، جاءت من طرق متعددة متباينة، عن جمع من الصحابة، وبعض أسانيدها بمفردها لا ينزل عن رتبة الحديث الحسن بل الصحيح، منها ما أخرجه ابن حبان في صحيحه: ٤٨١/١٢، رقم: (٥٦٦٥): بسنده إلى معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال: (يطلع الله إلى خلقه في ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه، إلا مشرك أو مشاحن).
هذا بالنظر إلى الأفراد، أما بالنظر إلى مجموع الطرق فإن الحديث صحيح لا محالة ولا ريب، وقد أفرد جمع من الحفاظ هذه المسألة بمؤلفات كثيرة طبع بعضها، وكثير منها لا يزال في عداد المخطوط.

تحقيق: لا شك أن القدر مصدر قدرت أقدر قدرًا، وأنه بالسُكون مصدر، وبالفتح اسم، وقالوا: ويجيء لغة بمعنى التقدير، وعلى هذا يجري ما سبق من الاختلاف والله أعلم، وحملها على الشَّرف أظهر وأسعد بالتلاوة، ولا ينازع في ذلك، وبالله التوفيق.

** ** **

وأما الفصل الثالث: في فضلها

فنص السورة الكريمة اقتضى ما دلَّ على تعظيمه قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ٢] وهذا بيان صريح للفضل، قال الإمام فخر الدين ابن الخطيب رحمة الله عليه[١]: يعني ولم تبلغ درايتك غاية فضلها، ومنتهى عُلو قدرها.

قلت: هذا خلاف ما قاله الفرَّاء[٢]، فإنَّه حكى عنه غير واحد أنه قال: كل ما في القرآن من قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ (٨/ب) فقد أدراه إياه، وما كان من قوله: (يدريك) فلم يدره، وحكي مثله عن سفيان[٣].

وعلى كلا التقديرين ففيه الإبهام المقتضي التعظيم.

وقوله تعالى: ﴿خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ [القدر: ٣] هو جارٍ على ما سبق في تعيين السَّبب أو المجموع حسب ما اخترناه، فبيَّن سبحانه وتعالى فضلها وعظمها، ولا شك أنَّ فضيلة الزمان إنما تكون بكثرة ما يقع فيه من الفضائل، وأما الأزمان في أنفسها فلا تفاوت فيها، وهذا مما لا نزاع فيه، وعلى ذلك عزّ الدِّين ابن عبد السلام في مواضع من قواعده[٤] حسبما تقف عليه إن شاء الله بعد.

(١) في التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب: ٣٢/٣٠.

(٢ ـ ٣) نقله القرطبي في الجامع: ٢٠/١٣١.

(٤) قواعد الأحكام: ١/٤٤ ـ ٤٥.

ففي تلك الليلة يقسم الخير الكثير الذي لا يوجد مثله، وقد قال جماعة من المفسرين[١]: أي العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر[٢]، وقاله أبو العالية، وقال: عنى بألف شهر جميع الدهر.

وروينا في الصحيح[٣] من غير طريق أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» رواه أبو هريرة رضي الله عنه.

وذلك دليل على فضلها، ولهذا قال غير واحد من المفسرين[٤]: إن الألف شهر فيها الدَّهر كله، قالوا: والعرب تذكر الألف في غاية الأشياء، كما قال تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦] يعني جميع الدهر (٩/أ).

ومن فضلها ما رويناه[٥] من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا كان ليلة القدر تنزل الملائكة الذين هم سكان سدرة المنتهى، منهم: جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومعهم الألوية ينصب منها لواء على قبري، ولواء على بيت المقدس، ولواء على المسجد الحرام، ولواء على طور سيناء، ولا تدع فيها مؤمنًا ولا مؤمنة إلّا تسلِّم عليه إلّا مدمن خمر، أو آكل الخنزير، أو المتضمخ بالزعفران».

(١) منهم القرطبي في الجامع: ٣٠/١٣١.
(٢) ارتبكت العبارة في الأصل وب، وما أثبته صححته من تفسير القرطبي.
(٣) أخرجه البخاري في الصحيح: ٢/٧٠٩، رقم: (١٩١٠). ومسلم في الصحيح: (٧٦٠/١٧٥).
(٤) منهم القرطبي في الجامع: ٣٠/١٣١.
(٥) أخرجه أبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب: ٢/٣٥٨ ـ ٣٣٠، ٦٣٠، رقم: (١٧٦٨) ضمن حديث طويل، وعزاه المنذري في الترغيب: ٢/٩٩ ـ ١٠١، إلى أبي الشيخ في كتابه الثواب والبيهقي وقال: ليس في إسناده من أجمع على ضعفه، قلت: وأخرجه أيضاً البيهقي في شعب الإيمان: ٦/٢٤٨ ـ ٢٤٩، رقم: (٣٤٢١).

وإن لم يثبت هذا الحديث في الكتب الستة في ذكري، لكنا قد رويناه في جملة المأثورات من أحاديث القربات وأعمال الطاعات.

وفي الحديث[1] أيضًا: «إنَ الشيطان لا يخرج في هذه الليلة حتى يضيء فجرها، ولا يستطيع أن يصيب فيها أحدًا بختل[2]، ولا بشيء من الفساد، ولا ينفذ فيها سحر ساحر».

ولا نطيل سرد الأحاديث الضعيفة وإيرادها مما لا يقوم حجة، ولا تنهض به دلالة، وكفى بثناء الله عَزَّوَجَلَّ عليها، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي ورد في فضلها، وإحياء ليلها.

[الآثار الواردة في فضل ليلة القدر] :

وأما الآثار الواردة عن السلف رضي الله عنهم في ذلك فكثيرة، فمنها ما روي عن بعضهم[3] أنه قال: لا يقدر الله فيها إلا النعم، ويقدر في غيرها البلاء والنِّقَم.

وروي عن الضحاك مثله، وعن الفراء[4]: وهذا (٩/ب) مما لا يدرك

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٣٢٤/٥، ومحمد بن نصر في قيام الليل: باب أمارات ليلة القدر: ٢٥٨، والفسوي في المعرفة: ٣٨٦/١ بنحوه من حديث عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن أمارة ليلة القدر أنها صافية بلجة كأن فيها قمراً ساطعاً، ساكنة ساجية، لا برد فيها ولا حر، ولا يحل لكوكب أن يرمي به فيها حتى يصبح، وأن أمارة الشمس أن تخرج صبيحتها مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر، ولا يحل للشيطان أن يطلع معها يومئذ).
قال ابن عبد البر في التمهيد: ٣٧٣/٢٤ (وهو حديث حسن غريب)، وقال ابن كثير في التفسير: ٣٣٤/٧ (وهذا إسناد حسن، وفي المتن غرابة، وفي بعض ألفاظه نكارة).

(٢) أي خداع. انظر: الصحاح: ٢٨٣.

(٣) وهو الفراء عزاه له القرطبي في الجامع: ١٣٧/٣٠.

(٤) عزاه له القرطبي في الجامع: ١٣٧/٣٠.

بالرأي، ولا يقال بغير اعتماد ورفع، والله أعلم.

ومن هذا الباب ما رويناه عن سعيد بن المسيب في الموطأ[1] بلاغًا عنه أنه كان يقول: من شهد العشاء من ليلة القدر فقد أخذ بحظ منها.

ولا يقال ذلك رأيًا والله أعلم.

وذكر الثعلبي[2] عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من صلى المغرب والعشاء الآخرة في ليلة القدر في جماعة، فقد أخذ بحظ من ليلة القدر».

فإن صحَّ هذا فهو مستند ابن المسيب والله أعلم.

فائدة: فيما يقال في ليلة القدر، روينا[3] عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قلت يا رسول الله: إن وافقت ليلة القدر ماذا أقول فيها؟

قال: قولي: «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني».

وفيما ذكرناه في هذا الفصل غنية كافية في الغرض وبالله عَزَّ وَجَلَّ التوفيق.

---

(١) باب ما جاء في ليلة القدر: ١/٤٣١، رقم: (٨٩٧).

(٢) عزاه له القرطبي في الجامع: ٣٠/١٣٨، ورواه ابن خزيمة في الصحيح: ٣/٣٣٣ من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: (من صلى العشاء الآخرة في جماعة فقد أدرك ليلة القدر) ورواه الخطيب في تاريخ بغداد: ٥/٣٣٠، وابن عدي في الكامل: ٤/٨٣ من حديث أنس مرفوعاً بلفظ: (من صلى ليلة القدر العشاء والفجر في جماعة، فقد أخذ من ليلة القدر بالنصيب الوافر) وفيه أحمد بن الحجاج بن الصلت وهو متهم، انظر: الميزان: ٣/٦٧.

(٣) أخرجه أحمد في المسند: ٦/١٧١، ١٨٢، ١٨٣، ٢٠٨، النسائي في عمل اليوم والليلة: ٣٨٠، رقم: (٨٧٢)، والترمذي في الجامع: ٥/٤٩٠، رقم: (٣٥١٣)، وابن ماجه في السنن: ٥/٣٦٨ رقم: (٣٨٥٠) وغيرهم.

الفصل الرابع

فيما تختص به

أما الفضل فقد سبق ما في العمل فيها من الفضل، وسبق ما تميزت به من الشرف والقدر، وأما ما تنفرد به من الاختصاص فحسبك بما أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ به في محكم كتابه من تنزل الملائكة والروح فيها.

[معنى الروح في سورة القدر]

وقد اختلف المفسرون في الروح بعد اتفاقهم على أنَّ الملائكة تتنزل من (١٠/أ) كل سماء، ومن سدرة المنتهى، ومسكن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على وسطها إلى الأرض، وأنهم يُأَمنون على دعاء الناس إلى وقت طلوع الفجر.

ومن قائل: أن الروح هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو الأصح.

ومن قائل: أن الروح صنف من الملائكة جعلوا حفظة على سائرهم، وأن الملائكة لا يرونهم كما لا نرى نحن الملائكة، حكاه القشيري[1]، وقد علمت أن هذا من التوقيفي أيضًا.

ومن قائل: هم أشراف الملائكة وأقربهم من الله، قاله مجاهد.

ومن قائل: الروح جند من جنود الله من غير الملائكة، رواه مجاهد عن

(١) لا يوجد هذا النص في تفسير القشيري المطبوع المسمى بلطائف الإشارات، وعزاه له القرطبي في الجامع: ١٣٣/٣٠.

ابن عباس مرفوعًا ذكره الماوردي[1].

ومن قائل: هم خلق من خلق الله، يأكلون الطعام، ولهم أيدي وأرجل، وليسوا ملائكة، حكاه القشيري[2] أيضًا.

ومن قائل: الروح خلق عظيم يقوم صفًا، والملائكة كلهم صفًا، متمسكًا بالآية المقتضية لذلك، قال الإمام[3]: ولعلهم خدم أهل الجنة.

وقيل: هم الحفظة الكرام.

وقيل: الرحمة هي الروح ينزل بها جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ مع الملائكة في هذه الليلة على أهلها، واستدل له بقوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢] أي بالرحمة فيها.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ قيل معناه: بأمره من كل أمر قدره وقضاه، قاله ابن عباس رضي الله عنهما كقوله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] (١٠/ب) أي بأمر الله.

وقيل: بإذن ربهم من كل ملك، قاله ابن عباس[4] أيضًا.

وأما من قرأ: (من كل أمري) فظاهر، وتأولوا على هذه القراءة من بمعنى على أي يسلمون على كل امرئ، واحتجوا بما روي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا كان ليلة القدر نزل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ في كَبْكَبة من

---

(١) عزاه له القرطبي في الجامع: ١٣٣/٣٠.

(٢) لا يوجد هذا النص في لطائف الإشارات للقشيري، وعزاه له القرطبي في الجامع: ١٣٣/٣٠.

(٣) يعني الرازي قاله في تفسيره الكبير: ٣٤/٣٢.

(٤) انظر: القرطبي في الجامع: ١٣٣/٣٠ ـ ١٣٤.

الملائكة يصلُّون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله عَزَّوَجَلَّ»[١]، وجعل هؤلاء قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ﴾ من تمام الكلام، وتأوَّل غيرهم ﴿سَلَٰمٌ﴾ بمعنى سلامة وخير لا شرَّ فيها حتى يطلع الفجر.

قلت: وهذا يوافق ما تقدم للضحاك والفراء في الفصل قبله.

وقيل معنى ﴿سَلَٰمٌ﴾: أي ذات سلامة من أن يؤثر فيها شيطان في مؤمن ومؤمنة، ويوافقه ما قدمناه في الحديث الذي أوردناه وهو معناه.

وقيل: ﴿سَلَٰمٌ﴾ الجنة، وهو اسم من أسمائها، والقول بالسلام الذي هو بمعنى التحية هو الذي توافقه الأخبار الواردة في الباب، وقد ذكرها غير واحد من الأئمة.

ومن خواص هذه الليلة عذوبة الماء الأجاج فيها، وانتقاله عن حالته المعهودة فيه ماء البحر وغيره[٢]، وسيأتي التنبيه على ذلك إن شاء الله تعالى في شواهد (١١/أ) تعينها.

** ** **

---

(١) أخرجه البيهقي في فضائل الأوقات: ٥٨ ـ ٦٠، رقم: (١٠٩).

(٢) روى البيهقي في كتابه فضائل الأوقات: ٥٧، رقم: (١٠٦) عن الأوزاعي عن عبدة بن أبي لبابة قال: ذقت ماء البحر ليلة سبع وعشرين من رمضان، فإذا هو عذب.
وذكر ابن عبد البر في التمهيد: (٢١/٢١٥) أن زهرة بن معبد قال: أصابني احتلام في أرض العدو وأنا في البحر ليلة ثلاث وعشرين من رمضان، فذهبت، فسقطت في الماء، فإذا هو عذب، فأعلمت أصحابي أني في ماء عذب.

الفصل الخامس
في تعيينها

اعلم أنَّ العلماء اختلفوا في تعيين ليلة القدر اختلافًا كثيرًا، سببه اختلاف الأحاديث الواردة في الباب، ونحن نذكر إن شاء الله تعالى من ذلك ما اشتهر ونومئ إلى ما اعتمده القائل من دليل خبري أو اعتباري حسبما تقف عليه إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ، لما في ذلك من تكميل الفائدة بحول الله عَزَّوَجَلَّ وهو المستعان.

فنقول وبالله التوفيق: اختلفوا أولاً: هل كانت هذه الليلة مختصة بزمان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو لا؟ فالجمهور على أنها ليست مختصة على ما سنذكره في الفصل بعد هذا إن شاء الله تعالى، كما اختلفوا في انتقالها في الأعوام كما سيأتي أيضًا، فعلى ما ذهب إليه الجمهور من عدم الاختصاص، اختلفوا في تعيينها على أقوال:

* **القول الأول:** أنها ليلة سبع وعشرين من رمضان وهو قول علي، وعائشة زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين في جماعة من الصحابة رضي الله عنهم. وجملة من التابعين، ويشهد لهذا القول ما رويناه من طريق مسلم في مسنده[1] والترمذي

(١) أي الصحيح: كتاب الصيام ـ باب فضل ليلة القدر: (٢٢٠/٧٦٢).

قلت: وتسمية ابن مرزوق للصحيح بالمسند صحيحة مأخوذة من قول مسلم نفسه عن كتابه، قال القاضي عياض في المعلم: ٨٠/١ ـ ٨١: (وقال أبو حامد الشرقي: سمعت مسلماً=

(١١/ب) في جامعه[١] واللفظ له عن زر بن حبيش رضي الله عنه قال: قلت لأبي بن كعب رضي الله عنه إن أخاك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: من يقم الحول يُصب ليلة القدر.

فقال: يغفر الله لأبي عبد الرحمن، لقد علم أنها في العشر الأواخر من رمضان، وأنها ليلة سبع وعشرين، ولكنه أراد أن لا يتكل الناس، ثم حلف لا يستثني أنها ليلة سبع وعشرين.

قال: قلت: بأي شيء تقول ذلك يا أبا المنذر؟

قال: بالآية التي أخبرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو بالعلامة أن الشمس تطلع يومئذ لا شعاع لها.

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

ومن نص أبي بن كعب رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ليلة القدر ليلة سبع وعشرين)، ومثله عن ابن عمر رضي الله عنهما، وزاد أبي في صحيح مسلم[٢]: أنه حلف ما سبق على ذلك.

وحكى القاضي أبو بكر [ابن] العربي رحمة الله عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يحلف هو أيضًا على أنها ليلة سبع وعشرين ذكره في كتاب العارضة[٣] له.

وقال أبو بكر الوراق[٤]: إنَّ الله تعالى قسم ليالي هذا الشهر على كلمات

= يقول: ما وضعت شيئاً في هذا المسند إلا بحجة). ونقل عياض أيضاً: ٨٢/١ عن مسلم أنه قال: لو أن أهل الحديث يكتبون الحديث مائتي سنة فمدارهم على هذا المسند...). وسماه ابن خير الاشبيلي في فهرسته: ٩٨: (بالمسند الصحيح المختصر من السنة).

(١) أبواب تفسير القرآن ـ باب ومن سورة ليلة القدر: ٣٧٢/٥، رقم: (٣٣٥١).

(٢) الصحيح: (٢٢١).

(٣) أي عارضة الأحوذي: ٩/٤.

(٤) عزاه له القرطبي في الجامع: ١٣٦/٣٠.

هذه السورة، فلما بلغ السابعة والعشرين قال: هي، وأيضًا فإن ليلة القدر (١٢/أ) قرر أمرها ثلاث مرات، وهي تسعة أحرف، فتجيء سبعًا وعشرين.

قال القاضي أبو بكر بن العربي[1] في معنى قول الوراق وينزع في ذلك بإشارة عليها بنى الصوفية عقدهم في كثير من الأدلة، وتقول إذا عددت حروف: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ فقولك: هي هو السابع والعشرون.

* **القول الثاني**: إنها في ليالي السنة كلها وتنتقل، وروي ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه[2]، وإليه ذهب أبو حنيفة[3]، وهو على القول ببقائها وعدم رفعها وتعيينها أضعف الأقوال[4].

* **الثالث**: إنها في جميع شهر رمضان لقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٤] فجعله محلاً عامًا في جميع الشهر ولياليه كلها، ليجتهد المرء في تحصيلها طمعًا في إدراكها، كما أخفيت الصلاة الوسطى

---

(١) في عارضة الأحوذي: ٨/٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: (٧٦٢/٢٢٠).

(٣) قال ابن عبد البر في التمهيد: ٢٠٨/٢ (وذكر الجوزجاني عن أبي حنيفة وصاحبيه أنهم قالوا: ليلة القدر في السنة كلها، كأنهم ذهبوا إلى قول ابن مسعود: من يقم الحول يصبها).
وقال الحافظ في الفتح: ٣٣٥/٤ (وهو مشهور عن الحنفية حكاه قاضيخان وأبو بكر الرازي منهم، ثم قال: وزيف المهلب هذا القول...).

(٤) قال الشيخ الأكبر سيدي محي الدين ابن العربي في الفتوحات المكية: ٧٨٧/١ ما نصه: (واختلف الناس في ليلة القدر أعني زمانها، فمنهم من قال: هي في السنة كلها تدور، وبه أقول، فإني رأيتها في شعبان، وفي شهر ربيع الأول، وفي شهر رمضان، وأكثر ما رأيتها في شهر رمضان، وفي العشر الآخر منه، ورأيتها مرة في العشر الوسط من رمضان في غير ليلة وتر، وفي الوتر منها، فأنا على يقين من أنها تدور في السنة في وتر وشفع من الشهر الذي ترى فيه).

في جميع الصلوات على القول بتعينها في الصلوات الخمس، وكإخفاء اسم الله العظيم الأعظم في جملة أسمائه الحسنى، وإخفاء ساعة الإجابة في ساعات الجمعة، وكذلك ساعة الليل، وكإخفاء غضب الله في المعاصي، ورضاه في الطاعات، وقيام الساعة في الأوقات، والعبد الصالح في العباد.

قال ابن بزيزة[1]: وهذا هو الصحيح، رحمة من الله عَزَّوَجَلَّ وحكمة.

* **الرابع**: إنها في العشر الأخير من رمضان (١٢/ب)، وعليه تدل الأحاديث الواردة في الصحيح، وهو قول مالك، والشافعي، والأوزاعي، وإسحاق، وأبي ثور، وأحمد بن حنبل رضي الله عنهم. وهو القول الذي يجمع أشتات الأحاديث المتفرقة المختلفة في التعيين في العشر.

فالحاصل من مجموعها، ومما استقر عليه أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، طلبها في العشر الأواخر، فهو جامع ما افترق واختلف قاله أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي[2]، وقال: فاعتمد عليه، وتمسك به، يعني على ما قاله القاضي أبو الفضل رحمه الله[3]، وقد قال أبو عبد الله القرطبي[4]: وهذا هو الصحيح، وهو الذي صححه الحافظ أبو عمر بن عبد البر[5]، والله أعلم.

* **الخامس**: إنها الليلة الأولى من الشهر، قاله أبو رزين العقيلي[6].

---

(١) هو عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد التميمي، التونسي، فقيه، مفسر، له تصانيف منها: تفسير القرآن، وشرح الأحكام الصغرى لعبد الحق الاشبيلي، وشرح التلقين وغيرها، توفي سنة ثلاث وسبعين وستمائة، على خلاف فيه، انظر: نيل الابتهاج: ١/٢٩٥.

(٢) في المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ٣/٢٥١.

(٣) عياض في إكمال المعلم: ٤/١٤٣ ـ ١٤٤.

(٤) في الجامع لأحكام القرآن: ٣٠/١٣٥.

(٥) انظر: الاستذكار: ٣/٢٩.

(٦) وهو صحابي، عزاه له الحافظ في الفتح: ٤/٣٣٤، ثم قال: وروى ابن أبي عاصم من=

* السادس: إنها ليلة سبع عشرة من شهر رمضان، وهي الليلة التي كانت صبحيتها وقعت بدر، وهو قول الحسن، وابن إسحاق، وعبد الله بن الزبير[(١)]، وكأنهم نزعوا بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] وكان ذلك في هذه الليلة، قال ابن العربي[(٢)] ورواه ابن مسعود عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٣)].

* السابع: إنها ليلة تسع عشرة منه، وهي سابقة العشرين[(٤)].

* الثامن: إنها (١٣/أ) في الحادي والعشرين، ومال إليها الشافعي رضي الله عنه لحديث الماء والطين رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، خرجه عنه مالك[(٥)] وغيره، وقد استوفى الحافظ أبو عمر رحمة الله عليه أدلة هذا القول وغيره في كتابه التمهيد[(٦)] والاستذكار[(٧)] بأحسن ما يستدل به في الباب من الأحاديث المأثورة والآثار المبسوطة، وإنما نورد هنا ما تحتمله هذه العجالة المقتضية لما تدعوا إليه الحاجة في المطلب إن شاء الله تعالى.

= حديث أنس قال: (ليلة القدر أول ليلة من رمضان) قال ابن أبي عاصم: لا نعلم أحداً قال ذلك غيره.

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٣٥/٣٠.

(٢) في عارضة الأحوذي: ٧/٤.

(٣) أخرجه أبو داود في السنن: ٢٣٤/٢، رقم: (١٣٧٩)، قال النووي في المجموع: ٤٧٢/٦ (حسن لغيره، لوجود حكيم بن سيف، وباقي الإسناد صحيح).

(٤) قال الحافظ في الفتح: ٣٣٤/٤ ـ ٣٣٥ (رواه عبد الرزاق عن علي، وعزاه الطبري لزيد بن ثابت وابن مسعود، ووصله الطحاوي عن ابن مسعود).

(٥) في الموطأ: كتاب الاعتكاف ـ باب ما جاء في ليلة القدر: ٤٢٧/١، رقم: (٨٩٠).

(٦) ٥٢/٢٣.

(٧) ٢٨٧/٣ ـ ٢٩١.

* **التاسع**: إنها ليلة الثالث والعشرين لما رواه ابن عمر[1] رضي الله عنهما أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله إني رأيت ليلة القدر في سابعة تبقى، فقال صلى الله عليه وسلم: (أرى رؤياكم تواطأت على ثلاث وعشرين).

قال معمر: فكان أيوب يغتسل ليلة ثلاث وعشرين، ويمس طيبًا.

وشهد له حديث الماء والطين.

قال صلى الله عليه وسلم[2]: «ورأيت كأني أسجد في صبيحتها في ماء وطين».

قال عبد الله بن أنيس: فرأيته صبيحة ثلاث وعشرين يسجد في الماء والطين.

قال الحافظ أبو بكر بن العربي رحمة الله عليه في كتاب العارضة[3] له: وقد روى أهل الزهد أن جماعة منهم سافروا في البحر في رمضان، فلما كان ليلة ثلاث وعشرين سقط أحدهم (١٣/ب) من السفينة في البحر فخرخر الماء في حَلْقِه، فإذا هو حلوٌ.

قال: وكأنَّ ما ينزل من السماء في تلك الليلة من البركة والرحمة تقلب الأجاج عذبًا، فما ظنك إذا وجدت ذنبًا.

* **العاشر**: إنها ليلة خمس وعشرين لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «التمسوها في العشر الأواخر، في تاسعة تبقى، في خامسة تبقى». رواه مسلم[4].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف: ٤/١٠٣، رقم: (٧٦٨٨).
(٢) أخرجه مسلم في الصحيح: (١١٦٨/٢١٨).
(٣) عارضة الأحوذي: ٤/٧ ـ ٨.
(٤) في الصحيح: (١١٦٧/٢١٧).

قال مالك بن أنس[١] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يريد بالتاسعة ليلة إحدى وعشرين، والسابعة ليلة ثلاث وعشرين، والخامسة ليلة خمس وعشرين.

* **الحادي عشر:** إنها ليلة تسع وعشرين لما روي[٢] أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ليلة القدر ليلة تسع وعشرين أو ليلة سبع وعشرين، وإنَّ الملائكة في تلك الليلة بعدد الحصى».

* **الثاني عشر:** إنها في أوتار العشر الأخير، روي[٣] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قلت: واختاره الشيخ أبو الحسن اللخمي[٤] من أصحابنا، وأنها تختص بليلة منه لا تكون في غيرها، وهذا القول تساعده الأحاديث المتضافرة المتواردة في صحاح المسانيد.

* **الثالث عشر:** إنها في الأشفاع، قال الحسن[٥]: ارتفعت الشمس في ليلة أربع (١٤/أ) وعشرين، عشرين سنة، فرأيتها تطلع بيضاء لا شعاع فيها، يعني من الأنوار المتكاثرة في تلك الليلة.

---

(١) في المدونة: ١/٢٣٩.

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٢/٥١٩، من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح: ١/٧١١، رقم: (١٩١٧، ١٩١٨).

(٤) في كتابه المسمى بالتبصرة وهو شرح على المدونة لا يزال مخطوطاً، وحري بالباحثين والمعتنين بالمذهب المالكي أن يخرجوا هذا الكتاب الذي يعد مفخرة للمالكية رغم قول القائل المتغزل بألفية ابن مالك واللامز للخمي بقوله:

لقد مزقت قلبي سهام جفونها ... كما مزق اللخمي مذهب مالك

انظر: التبصرة: ٢/٤٦، مخطوط، وهو من محفوظات الخزانة الحمزاوية بالمغرب.

وقد صدر الكتاب حديثاً كاملاً برعاية وزارة الأوقاف بدولة قطر بتحقيق الدكتور أحمد نجيب عبد الكريم صاحب دار نجيبويه.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف: ٤/١٠٤، رقم: (٧٦٩٨).

* **الرابع عشر**: إنها في ليلة ست وعشرين[1]، وتشهد له بعض الأحاديث.

قلت: وأخبرني بعض الأولياء المشهورين بالولاية والمكاشفات ﷺ ونفع به أنه رآها ليلة ست وعشرين، فقال في جملة حديثه: رأيت كذا، وكذلك في ليلة ست وعشرين، وكانت ليلة القدر على أنَّ قوله: وكانت يحتمل أن تكون في تلك السنة على القول بانتقالها، أو فيها معينة في كل سنة، وتهيبت سؤاله واستفساره عن ذلك.

* **الخامس عشر**: إنها ليلة النصف من شهر رمضان، حكاه ابن العربي في بعض كتبه[2].

* **السادس عشر**: إنها ليلة النصف من شعبان، حكاه سند بن عنان[3] واستدل قائل هذا بقوله جل وعزَّ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤] وبها ورد في ذلك من أحاديث، وقد قدمنا ما قاله ابن العربي[4] في الأحاديث الواردة في نصف شعبان.

---

(١) قال الحافظ في الفتح: ٣٣٦/٤ (وهو قول لم أره صريحاً إلا أن عياضاً قال: ما من ليلة من ليالي العشر الأخير إلا وقد قيل إنها فيه).

(٢) لم أقف عليه لا في العارضة ولا في شرحيه على الموطأ ولا في أحكام القرآن له، ونقل ابن الملقن في الإعلام بفوائد عمدة الأحكام: ٤٠٤/٥ (بأنها ليلة النصف)، وكذلك القرطبي في المفهم: ٢٥١/٣.

(٣) من أهل الاسكندرية صاحب كتاب طراز المجالس وهو شرح كبير حافل على المدونة، رأيت أحد أجزائه في الخزانة العامة بالرباط، توفي في إحدى وأربعين وخمسمائة. انظر: الديباج: ٢٠٧، رقم: (٢٥٤).

(٤) انظر: القبس: ٥٣٣/٢ ـ ٥٣٤، وعارضة الأحوذي: ٦/٤ ـ ٧.

* السابع عشر: إنها إذا كانت في يوم من هذه السنة كانت في العام المقبل في آخر، وينسب لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه[1].

تنبيه على نكتة صوفية وإشارة أرباب القلوب فيها:

قال القشيري[2] رحمه الله: ليلة القدر (١٤/ب) هي ليلة قدر فيها الرحمة لأوليائه، ليلة يشهد فيها العابدون قدر نفوسهم، ويشهد العارفون فيها قدر معبودهم، فشتان بين وجود قدر وشهود قدر، فلهؤلاء وجود قدر، ولكن قدر أنفسهم، ولهؤلاء شهود قدر، ولكن قدر معبودهم، وهي قصيرة على الأحباب لأنها في مسامرة وخطاب.

(فائدة فقهية)

فائدة[3]: لو حلف رجل يمينًا وعلقها على ليلة القدر من طلاق أو عتق[4]، فقيل: لا يقع الطلاق والعتق عليه إلّا إلى مضي سنة من يوم حلف،

---

(١) اعتماداً على حديث مسلم المخرج في صحيحه: (٧٦٢/٢٢٠) وهو قوله: (من يقم الحول يصب ليلة القدر). قال المهلب بن أبي صفرة تعقيباً على هذا القول ما نصه: ومن ذهب إلى قول ابن مسعود وتأول منه أنها في سائر السنة فلا دليل له إلا الظن من دوران الزمان بالزيادة والنقصان في الأهلة، وذلك ظن فاسد لأنه محال أن يكون تعليقها بليلة في غير شهر رمضان كما لم يعلق صيامها بأيام معلومة تدور في العام كله بالزيادة والنقصان، فيكون صوم رمضان في غير رمضان، فكذلك لا يجب أن تكون ليلة القدر في غير رمضان).
انظر: شرح ابن بطال على البخاري: ١٥٢/٤ ـ ١٥٣.

(٢) في تفسيره لطائف الإشارات: ٥٧٠/٣.

(٣) انظر: أحكام القرآن: ١٩٦٨/٤، والإعلام بفوائد عمدة الأحكام: ٤١٢/٥ ـ ٤١٣.

(٤) بهامش الأصل جاءت العبارة على النحو الآتي: لو حلف رجل يميناً بطلاق أو عتق وعلقها على ليلة القدر.

لأنه لا يقضى عليه بالطلاق بالشك، ولم يثبت اختصاصها بوقت، فلا ينبغي إيقاع الطلاق إلا بمضي حول، وكذلك العتوق، قالوا: لأن كونها مخصوصة برمضان مظنون، وصحة النكاح معلومة، فلا تزال إلا بيقين مرور ليلة القدر.

قال الإمام تقي الدين ابن دقيق العيد[1] رحمة الله عليه: وفي هذا نظر، لأنّه إذا دلَّت الأحاديث على اختصاصها بالعشر الأواخر، كان إزالة النكاح بناء على مستند شرعي، وهو الأحاديث الدَّالة على ذلك، والأحكام المقتضية لوقوع النكاح يجوز أن تبنى على أخبار الآحاد ويرتفع بها النكاح، ولا يشترط في رفع النكاح أو أحكامه أن يكون مستندًا إلى خبر متواتر مقطوع (١٥/أ) به اتفاقًا، نعم ينبغي أن ينظر إلى دلالة الألفاظ في الأحاديث الدالة على اختصاصها بالعشر الأواخر ومرتبتها في الظهور والاحتمال، فإن ضعفت دلالتها فلما قيل وجهٌ وهو كلام صحيح نفيس تطرد به الأحكام وتقبله القواعد، وبالله التوفيق.

** ** **

(١) في إحكام الأحكام: ٢٣٠.

الفَصْلُ السَّادِسُ

في بقائها، ودوام فضلها، واختصاص هذه الأمة بها

اعلم أنه قد شذَّت طائفة من العلماء فقالت: إن هذه الليلة رفعت، وأنها لم تقع إلّا مرة واحدة، وينسب هذا القول لأبي حنيفة[1] رحمه الله تعالى وهو قول مرغوب عنه، لا عمل عليه عند المحققين من الفقهاء والمحدثين، وأنه لا حجة له في تمسكه بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2]: «فتلاحى رجلان فرفعت» لأن قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد هذا: فالتمسوها في غير ما حديث يدل على بقائها، إذ لو كان رفعها على ما فهم لاستحال طلبها والله أعلم، والصحيح من مذاهب العلماء خلفًا وسلفًا أنها باقية، وأنها من خصائص هذه الأمة.

قال القاضي أبو بكر بن العربي[3] رحمة الله عليه: ومن فضل الله على هذه الأمة أن أعطاها قيراطين من صلاة العصر إلى غروب الشمس، وأعطى اليهود والنصارى جميعًا قيراطين من أول النهار (١٥/ب) إلى صلاة العصر، وأعطاها ليلة القدر فجعل لها عامًا بألف شهر، فما فاتهم في تقاصر الأعمار التي كانت لمن قبلهم أدركوه فيها فخف[4] عليهم شغب الدنيا، وأدركوا عظم الثواب

---

(١) عزاه له الفاكهاني كما في الإعلام: ٣٩٧/٥، قال الحافظ في الفتح: ٣٣٣/٤، وكأنه خطأ منه.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح: ٧١١/١، رقم: (١٩١٩).

(٣) في القبس: ٥٣٧/٢، وعارضة الأحوذي: ٩/٤.

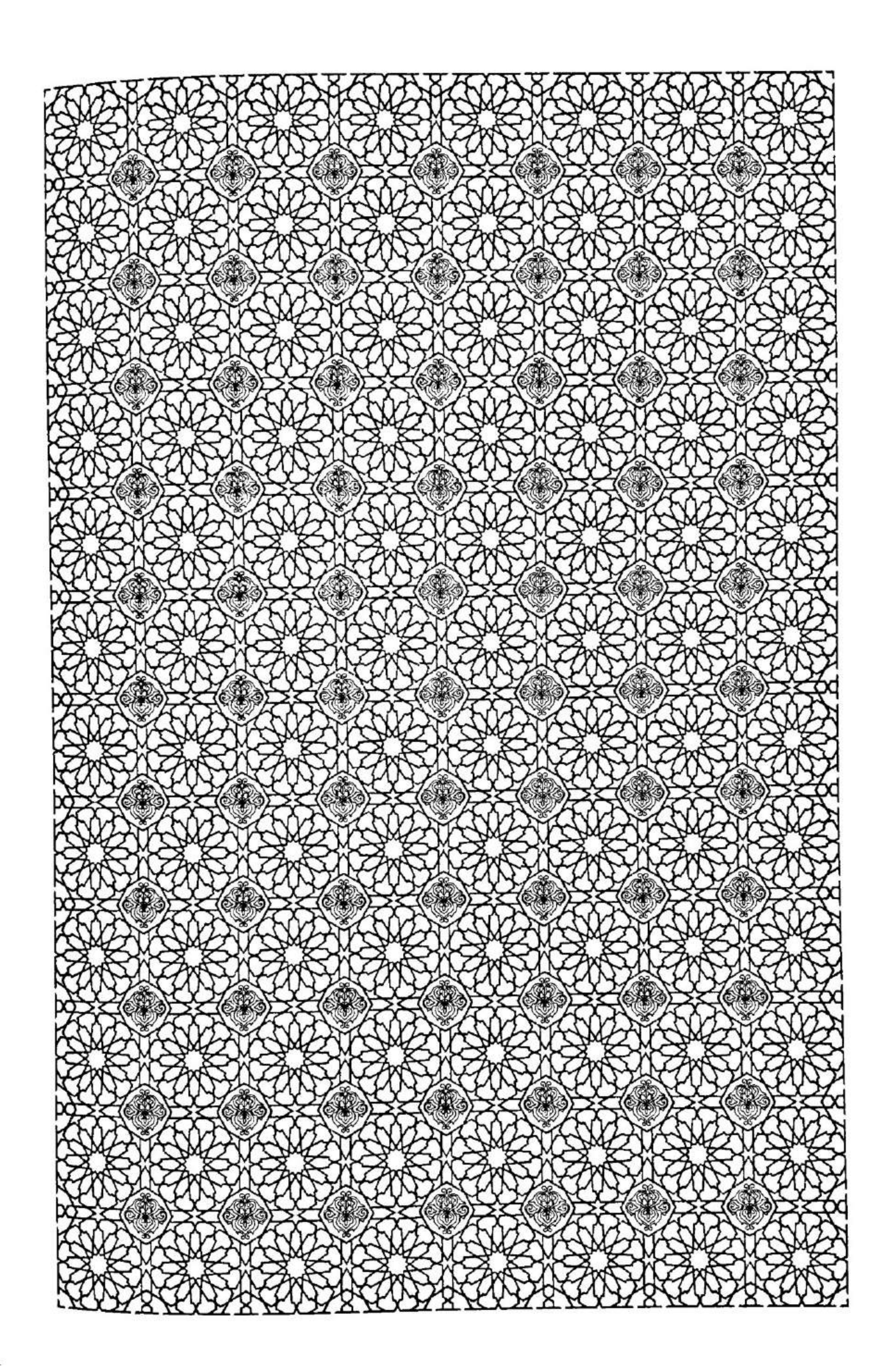
(٤) في الأصل: يخف، وما أثبته من ب والقبس.

في الآخرة والحمد لله رب العالمين.

قلت: هكذا وقع لهذا الإمام، فجعل لها عامًا بألف، وصوابه فجعل لها ليلة بألف شهر، وإن كان كما قال إلّا أن الواقع ما ذكرناه وهو أبلغ في التفضل وسعة الإحسان.

فهذا ما ورد في الغرض الذي قصدناه من ذكر ما يتعلق بهذه الليلة الشريفة نفعنا الله بها، ولا حرمنا من فضلها، أوردنا منه ما صح واشتهر، واقتصرنا منه على ما يحمله هذا المختصر، وعلى ما دعت إليه الحاجة واعتمده الأئمة المقتدى بهم، ولبيان طرق الدلالة على المدعى في هذه المسألة، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

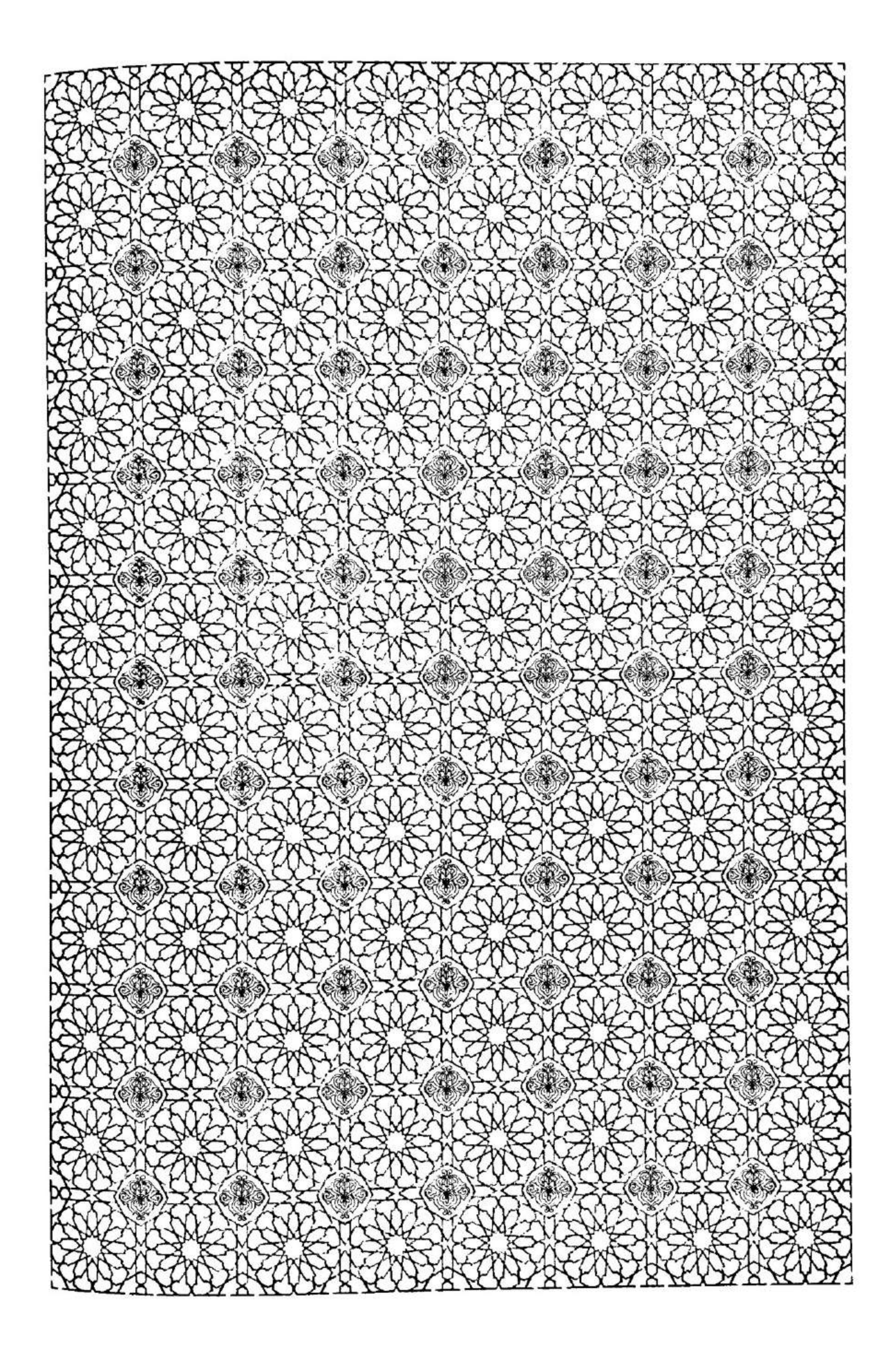
** ** **



البَابُ الثَّانِي

فيما يختص بليلة المولد الشريف
والكلام في تعيينها وفضلها وخواصها

وفيه بحسب هذا التنويع فصول:



الفَصْلُ الأَوَّلُ
في تعيين ليلة ولادته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي[1]: اتفق علماء الإسلام من أهل السير (١٦/أ) الجماهير، ومن أهل التاريخ والأثر المشاهير، على أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الأول عام الفيل، ثم قال: واختلفوا فيما مضى من ذلك الشهر لولادته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أربعة أقوال:

١ ـ فمنهم من قال: ولد يوم الاثنين لليلتين من شهر ربيع الأول.

٢ ـ ومنهم من قال: لثمان خلون منه.

٣ ـ ومنهم من قال: لعشر خلون منه.

٤ ـ ومنهم من قال: لاثنتي عشرة منه وهو الصحيح.

حدثنا بذلك عنه في الجملة شيخنا المحدث الحافظ الصدر قطب الدين أبو محمد عبد الكريم بن منير الحلبي[2] عن الإمام عز الدين الحراني[3] عن

---

(١) قاله في كتابه المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ٢/٢٤٥.

(٢) هو الإمام الحافظ المعروف بقطب الدين الحلبي، شارح البخاري وغيره، توفي سنة ٧٣٥هـ بمصر انظر: الدرر الكامنة: ٢/٣٩٨، وذيل تذكرة الحفاظ: ١٣.

(٣) هو الشيخ الصالح عبد العزيز بن عبد المنعم بن الصقيل الحراني، ولد سنة أربع وتسعين=

أبي الفرج المذكور، وهذا هو الذي صححه الإمام أبو العباس أحمد بن محمد اللخمي العزفي السبتي[1].

قلت: وحدثني غير واحد من أشياخنا عن شيخهم إمام الحرمين وخطيبها أبو عبد الله محمد بن موسى بن مسدي المهلبي[2] أن الأصح الذي تدل عليه الأخبار المعتمدة، والآثار المصححة، أن ولادته ﷺ كانت لثمان من شهر ربيع الأول، واستدل على ذلك بأوجه رويناها عن أشياخنا عنه، وكان بعض أشياخنا يعترض أدلة ابن مسدي بما غاب عني الآن استحضاره، ويصحح ما حكاه ابن الجوزي، وإن كان ابن مسدي صرح بأن ما (١٦/ب) صار إليه هو المشهور من مذاهب أئمة الحديث في القديم والحديث، وهذا نصه في خطبة المولد، وهو معارض بحكاية ابن الجوزي وغيره.

وحكى بعض من صنف فيه أن الخوارزمي[3] ذهب إلى ما ذهب إليه ابن

= وخمسمائة، وسمع الكثير، ثم استوطن مصر حتى توفي بها، وقد جاوز التسعين، وصلى عليه ابن دقيق العيد.

انظر: شذرات الذهب: ٥/٣٩٦.

(١) ذكره في كتابه الدر المنظم في مولد النبي المعظم: (٥٠/ب ـ ٥١/أ) مخطوط.

(٢) هو محمد بن يوسف بن موسى بن يوسف ابن مسدي بالفتح وياء ساكنه ومنهم من يضمه، الأزدي المهلبي، الأندلسي، الغرناطي، من حفاظ الحديث، له رحلة وتصانيف كثيرة، وتوسع في العلوم وتفنن، توفي سنة ثلاث وستين وستمائة.

انظر: تذكرة الحفاظ: ٤/١٦٠ ـ ١٦١، رقم: (١١٥٠).

(٣) لعله أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي ثم البغدادي سمع من أبي بكر الشافعي وغيره، وعنه أخذ القاضي أبو عبد الله الصيمري وقال عنه: وما شاهد الناس مثله في حسن الفتوى وحسن التدريس، وقد دعي إلى القضاء مراراً، فامتنع، رحمه الله، توفي سنة ثلاث وأربعمائة. =

مسدي، والذي رويناه عن الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري مما حكاه عن الخوارزمي وغيره ما سنذكره بنصه مما حدثنا به شيخنا الإمام محي الدين يحيى بن أبي الفتوح ابن المصري[1] عن أبي محمد عبد الوهاب بن روَّاج عن أبي الطاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني عن موسى بن أبي تليد عن الحافظ أبي عمر بن عبد البر[2] قال: قال الزبير: حملت به أمه صَلَّى ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيام التشريق في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى، وولد صَلَّى ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة في الدار التي كانت تدعى بمحمد بن يوسف أخي الحجاج، وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان.

وقيل: ولد يوم الاثنين لربيع الأول لليلتين خلتا منه.

[ولادة رسول الله صَلَّى ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام الفيل]

قال أبو عمر رضي الله عنه[3]: وقد قيل لثمان خلون منه، وقيل: إنه أول اثنين من ربيع الأول، وقيل: لاثنتي عشرة منه عام الفيل، إذ ساقه الحبشة إلى مكة في جيش يغزون البيت (١٧/أ) فردهم الله عنه، وأرسل عليهم طيرًا أبابيل فأهلكم،

= انظر ترجمته: طبقات الفقهاء للشيرازي: ١٣٦، سير أعلام النبلاء: ١٧/٢٣٥، الجواهر المضية: ٣/٣٧٤ ـ ٣٧٥.

(١) هو يحيى بن يوسف بن أبي محمد بن أبي الفتوح المقدسي ثم المصري أبو زكريا، ولد سنة بضع وأربعين وستمائة، استجاز له أخوه من ابن رواج، وابن الجميزي، والمرسي، والمنذري، وعاش إلى أن حدث بهذه الإجازة، فأكثروا عنه جداً، لأنه تفرد بالرواية عن المذكورين، وكان شيخاً حسناً، توفي سنة سبع وثلاثين وسبعمائة عن تسعين سنة.
انظر: الدرر الكامنة: ٤/٤٣٠ ـ ٤٣١.

(٢ ـ ٣) في الاستيعاب في أسماء الأصحاب: ١/١٣.

وقد قيل: إنه ولد في شعب بني هاشم، ولا خلاف أنه ولد عام الفيل.

يروى[(١)] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفيل، وهذا يحتمل أن يريد[(٢)] اليوم الذي حبس الله تعالى الفيل فيه عن وطء الحرم، وأهلك الذين جاؤوا به، ويحتمل أن يكون أراد بقوله: يوم الفيل عام الفيل.

وقيل: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قدوم الفيل بشهر، وقيل: بأربعين يومًا، وقيل: بخمسين يومًا.

[الاثنين يوم ولادته صلى الله عليه وسلم]

فأما الخوارزمي محمد بن موسى فقال: كان قدوم الفيل مكة وأصحابه لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم، وقد قال ذلك غير الخوارزمي أيضًا، وزاد: يوم الأحد، قال: وكان أول المحرم تلك السنة يوم الجمعة.

قال الخوارزمي: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بخمسين يومًا، يوم الاثنين لثمان خلت من ربيع الأول، وذلك يوم عشرين من نيسان.

قال: وبعث نبينا يوم الاثنين لثمان أيضًا من ربيع الأول، سنة إحدى وأربعين من عام الفيل، فكان من مولده إلى أن بعثه الله عز وجل أربعون سنة ويوم، ومن مبعثه إلى أول المحرم من السنة التي هاجر فيها اثنتا عشرة سنة، وتسعة أشهر (١٧/ب)، وعشرون يومًا، وذلك ثلاث وخمسون سنة تامة من أول عام الفيل.

قال الحافظ أبو عمر[(٣)] أنا محمد بن إبراهيم ثنا محمد بن معاوية ثنا جعفر

---

(١) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب: ١/١٣.

(٢) في الاستيعاب: أن يكون أراد...

(٣) في الاستيعاب: ١/١٣ وهو عند أحمد في المسند: ١/٢٧٧ من طريق موسى بن داود عن ابن لهيعة به، غير أنه لم يذكر بدراً، وزاد: ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين.

بن محمد الفريابي ثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن حنش عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ولد نبيكم صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين، وخرج من مكة يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين، وكانت بدر يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين صلى الله عليه وسلم.

قال أبو عمر رضي الله عنه[1]: الأكثر أن وقعة يوم بدر كانت يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان، وما رأيت أحدًا ذكر أنها كانت يوم الاثنين إلّا في هذا الخبر من رواية ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن حنش ولا حجة في مثل هذا الإسناد عند جميعهم إذا خالفه ما هو أكثر منه.

[تاريخ ولادته]

قال الخوارزمي: وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرًا يوم الاثنين وهو اليوم الثامن من ربيع الأول سنة أربع وخمسين وهي سنة إحدى من الهجرة، ويوم عشرين من أيلول، فكان من مبعثه صلى الله عليه وسلم إلى يوم هاجر فيه، ودخل المدينة ثلاث عشرة سنة كاملة، ومكث بالمدينة عشر سنين وشهرين إلى أن مات وذلك (١٨/أ) يوم الاثنين أول يوم من ربيع الأول سنة أربع وستين من عام الفيل، ومن الهجرة سنة إحدى عشرة. هذا كله قول الخوارزمي.

وهذا الذي قال الخوارزمي هو معنى قول ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بمكة ثلاث عشرة سنة يعني بعد المبعث. انتهى ما احتجت إلى نقله من كلام الحافظ أبي عمر عن الخوارزمي وغيره، وليس فيه إلّا أن الخوارزمي حكى هذا القول ولم يذكر ما حكي عنه من أنه هو المشهور، ولا أنه صححه، إلّا أن ظاهر حكايته إياه دون غيره، تدل على صحته عنده والله أعلم.

---

(١) في الاستيعاب: ١/١٣.

[توظيف علم الفلك في تحديد الولادة]

قلت: وزعم بعض المعتنين بمولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الصحيح في ولادته أنها كانت ليلة العاشر من شهر ربيع الأول المبارك، وبنى على ذلك صورة وضع الفلك لولادته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قال: وهو الشهر التاسع من سنة خمس وسبعين وستمائة وثلاثة آلاف للطوفان، قال: وفي ذلك الوقت لم يكن للفلك إقبال ولا إدبار، وكانت نقطة رأس الحمل مثل الاعتدال سواء أو كان الطالع على ما ذكر على درج واحد من الحوت ودقيقتين، واستدل على ذلك بالكوائن والحوادث الواقعة في حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس بالكلام الذي يعول عليه (١٨/ب) أهل العلم.

(استخدام علم الزايرجة):

وقال: إنه لا يمكن أن يتصور مثل هذه القضية[١] فيما مضى ولا فيما يأتي من الزمان باتفاق من أهل العلم بالشأن، ولولا أن هذا لا يعتمد عليه، ولا يستند في الاستدلال إليه، لأوردت ما ذكره في ذلك، ووضعت الزايرجة[٢]، وذكرت نبذًا مما اشتملت عليه على طريق أهل هذه الصناعة، وما ظهر لهذا المتكلم فيها، وإن كان لأئمتنا رحمة الله عليهم كلام في نقل ما ذكره أهل التعاديل والأزياج كالإمام أبي عبد الله المازري[٣] حيث تكلم على قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ

---

(١) في الأصل: النصبة، وما أثبته من ب.

(٢) والزايرجة: هي من القوانين الصناعية لاستخراج الغيوب فيما يزعمون، والزايرجة المسماة بزايرجة العالم هي المعزوة إلى أبي العباس سيدي أحمد السبتي وهو أحد أعلام المتصوفة في المغرب.
انظر: المقدمة لابن خلدون: ١/٤٣٧ ـ ٤٤١، أبجد العلوم: ٤١٠ ـ ٤١١.

(٣) و تمام كلامه في المعلم: (وقد وقفت للخوارزمي على تأويل لهذا الحديث، غره فيه ما قد سبق إليه من علم التنجيم، فقال: إن الله سبحانه وتعالى أول ما خلق الشمس أجراها=

الزَّمان قد استدار»[1] وتحقيقه لما علمه من تقدمه، وتصحيحه لما صححه من ذلك، ومتابعة القاضي أبي الفضل[2] رحمة الله عليهما له وتعقبه عليه.

وعندي في اعتراض القاضي عياض نظر، لإهماله حركة الإقبال والإدبار، واعتماد الإمام رحمة الله فيما يغلب على ظني على اعتبارها، ومن له مشاركة في هذا العلم فلينظر فيما أشرنا إليه من ذلك ليظهر له، فللكلام على هذا موضع يخصه وبالله التوفيق.

[القول المشهور المعين لتاريخ الولادة]

فوضح بما قدمناه أن الأشهر في ولادته ﷺ أنها كانت ليلة الاثنين لاثنتي عشرة من ربيع الأول وهو الذي اعتمده الحافظ أبو الربيع سليمان بن سالم الكلاعي في الاكتفاء[3] له الذي حدثنا به جماعة من أشياخنا عن جملة (١٩/أ) من أصحابه عنه وبالله التوفيق.

وقال ابن إسحاق[4] فيما رويناه عنه من طرق بأسانيدنا المتصلة به حدثني

= في أول برج الحمل، وكان الزمان الذي أشار إليه النبي ﷺ صادف حلول الشمس الحمل، ولما وقفت على قوله هذا دعا ذلك لتعديل هذا اليوم، فعدل لاختبار ما قال، فلم يوجد كما زعم، ووجدت الشمس يوم التاسع من ذي الحجة سنة عشر قد قطعت من برج الحوت نحو عشرين درجة، لكن أظنها كانت مثل هذا اليوم سنة تسع في أول الحمل، وأراه من هذه الجهة غلط، لو كان الأصل الذي ذهب إليه، لكنه لم يقله أحد من علماء الشرع).

انظر: إكمال المعلم: ٥/٤٨٠ ـ ٤٨١.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: (١٦٧٩/٢٩).

(٢) أي عياض في إكمال المعلم: ٥/٤٨١ ـ ٤٨٢.

(٣) ١/٢٣٥ ـ ٢٣٦.

(٤) في السيرة: ٩٩، ومن طريقه أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣/٥٠٠، رقم: (٤٢٣٩)، والبيهقي في دلائل النبوة: ١/٦٥.

المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة عن أبيه عن جده قيس بن مخرمة قال: ولدت أنا ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام الفيل فنحن نِدان.

وذكر أيضًا بسنده[١] عن عبد الله أنه سأل قباث بن أشيم فقال له: يا قباث أنت أكبر أم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

فقال: أنا أسن منه، وهو أكبر مني، ولد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام الفيل ووقعت بي أمي على روث الفيل.

وما وقع لابن سبع في الشفاء[٢] له مما يقتضي خلاف ذلك كله، وما بني عليه فهو شيء لا يوافق على نقله ولا يساعد عليه، وقديمًا كنت وقفت عليه فيه وأصلحت وَهْمَه، وبينت اختلاف خبره وتناقضه مما بعد به عهدي، فمن وقف عليه فلينتبه له، وليتفطن لتدافعه، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

** ** **

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٤/٢١٥، والترمذي في الجامع: ٥/١٣ - ١٤، رقم: (٣٦١٩)، والبيهقي في دلائل النبوة: ١/٦٥ - ٦٦، كلهم من طريق ابن إسحاق به.

(٢) المسمى شفاء الصدور في أعلام نبوة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي الربيع سليمان بن سبع السبتي.

الفَصْلُ الثَّانِي

في فضل الليلة الكريمة

قد قدمنا أن فضيلة الزمان إنما تكون بحسب ما يقع فيه من الفضائل، وما يختص به من الخصائص التي منها ما يظهر سببه، ومنها ما لا يظهر حسب ما يفصل بعد إن شاء الله تعالى، وأن الزمان بذاته لا يتفاضل والله أعلم (١٩/ب).

إذا علمت هذا، وأن الأمر كذلك، فلا أفضل من زمان ولد فيه سيد الخلائق أجمعين، ورحمة الله للعالمين، وسيأتي ذلك مستوفى إن شاء الله تعالى عند نصب الأدلة في الباب الثالث، وفضائلها المشاهدة المحسوسة، وبركاتها المشهورة المعروفة لا تدفع، حسبما يقع أيضًا إيضاحه في الباب المذكور، وفي الفصل الذي يلي هذا إن شاء الله تعالى.

** ** **

الفصل الثالث

فيما اختصت به هذه الليلة الكريمة من الآيات الظاهرة المقارنة لولادته صلى الله عليه وسلم

وهذا الفصل هو الباب لهذا المجموع وزبدته، فقد جمعت فيه ما يروق الناظر، ويجلو الخاطر، ويعزُّ وجوده مجموعًا في غير هذا المقتضب، ويقضي المنصف السليم القلب منه بالعجب.

فأقول: إن الآيات الواقعة حين ولادته صلى الله عليه وسلم ذكرها كثير من أئمتنا رضوان الله عليهم متفرقة فجمعتها، ومن كثير من المصنفات دونتها، ومن غضون بطون جملة من الدفاتر استخرجتها، وأنا أذكر إن شاء الله تعالى على التوالي حسب ما وقع إليَّ من ذلك وبالله التوفيق.

[حدث الولادة الشريفة بموجب رواية كعب الأحبار]

فمن ذلك الحديث (٢٠/أ) الطويل الذي أخرجه الحافظ أبو سعد عبد الملك بن محمد النيسابوري[١]، وأبو محمد عبد الله بن أبي زكريا يحيى بن علي في الخصائص[٢]، ونقله عنهما أبو محمد[٣] الحسن بن الحافظ أبي الحسن بن

---

(١) الخركوشي في كتابه شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم: ١/٣٥٢ ـ ٣٦٠.

(٢) هو الشقراطسي، نسبة إلى قلعة بالقرب من قفصة، اشتهر ذكره في الآفاق بقصيدة فريدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وفي سيرة الصحابة، وهي المعروفة بالشقراطسية، أنشدها بالمدينة تجاه قبر الشريف توفي سنة: ٤٦٦هـ.
انظر: شجرة النور الزكية: ١/٢٨٣، رقم: (٣٦١).

(٣) الذي يظهر أن ابن القطان له كنيتان، فمرة يذكر بكنية أبي علي، ومرة بأبي محمد،=

القطان في كتاب الأحكام[1]، وصاحب الدُّر المنظم[2]، وصاحب كتاب الزاهر[3]، والحديث يدور على كعب الحبر[4] رحمة الله عليه واللفظ له قال: كانت آمنة تحدث عن نفسها وتقول: لقد أخذني ما يأخذ النساء، ولم يعلم بي أحد من قومي، لا ذكر ولا أنثى، وإني لوحيدة في المنزل، وعبد المطلب في طوافه، فسمعت وجبة عظيمة، وأمرًا شديدًا فهالني ذلك، فرأيت كأن جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادي، فذهب عني الرعب وكل وجع أجده، ثم التفت، فإذا أنا بشربة بيضاء ظننتها لبنًا، وكنت عطشى، فتناولتها فشربتها فأضاء مني نورٌ عالٍ.

قالت: ثم رأيت نسوة كالنخل طولاً، كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بي، فبينا أنا أعجب وأقول: واغوثاه من أين علمن بي، إذ اشتد الأمر، وأنا أسمع الوجبة في كل ساعة أعظم وأكبر وأهول مما تقدم، فبينا أنا كذلك، إذا بديباج أبيض قد مدَّ بين السماء والأرض، وإذا بقائل يقول: خذوا على أعين الناس.

= وقد رجح محقق نظم الجمان الكنية المثبتة بأعلى النص، مما حدا بنا إلى توحيدها خشية الالتباس، لأن المصنف أو الناسخ يذكره مرة بأبي محمد ومرة بأبي علي.

(١) (٢٩/أ ـ ٣١/أ) مخطوط.
وابن القطان هو صاحب كتاب نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان من مطبوعات دار الغرب الإسلامي.

(٢) مخطوط: (٥٠).

(٣) في بيان ما يجتنب من الخبائث الصغائر والكبائر: ١/٣٩٠ ـ ٣٩٢، وهو لأبي الحسن علي بن محمد بن فرحون القيسي القرطبي المتوفى في: ٦٤٦هـ، وقيل: ٧٤٦هـ.

(٤) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة: ٢/٦١٠ ـ ٦١٢، رقم: (٥٥٥) من حديث ابن عباس، قال الحافظ السيوطي في الخصائص الكبرى: ١/٤٩ بعد أن ساق الحديث: (هذا الأثر، والأثران قبله فيها نكارة شديدة، ولم أورد في كتابي هذا أشد نكارة منها، ولم تكن نفسي لتطيب بإيرادها لكني تبعت الحافظ أبا نعيم في ذلك).

قالت: ورأيت رجالاً قد وقفوا في الهواء (٢٠/ب) بأيديهم أباريق من فضة، وأنا يرشح مني عرق كالجمان، أطيب ريحًا من المسك الأذفر، وأنا أقول يا ليت عبد المطلب يدخل عليَّ، وعبد المطلب عنّي ناءٍ تلك الليلة في الكعبة.

قالت: ورأيت قطعة من الطير قد أقبلت من حيث لا أشعر، حتى غطت حجري، مناقيرها من الزمرد، وأجنحتها من الياقوت، فكشف الله عن بصري، فرأيت فأبصرت ساعتي تلك مشارق الأرض ومغاربها، فرأيت ثلاثة أعلام مضروبات، علمًا بالمشرق، وعلمًا بالمغرب، وعلمًا على ظهر الكعبة.

قالت: فأخذني المخاض واشتد بي الأمر، فكأني مستندة إلى أركان النساء وكثرن عليَّ، حتى كأن الأيدي معي في البيت وأنا لا أرى[1] شيئًا.

قالت: فولدت محمدًا ﷺ، فلما خرج من بطني درت فنظرت إليه، فإذا به ساجدًا، قد رفع بصره إلى السماء كالمتضرع المبتهل، ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء حتى غشيته، فغيب عن وجهي برهة، فسمعت مناديًا ينادي، طوفوا بمحمد ﷺ مشرق الأرض ومغربها، وادخلوا به البحار كلها، ليعرفوه باسمه ونعته وصفته، ويعلموا أنه يسمى الماحي، حتى لا يبقى شيء من الشرك إلا مُحي به في زمنه.

قالت: ثم تجلّت عنه في أسرع من طرفة العين (٢١/أ)، فإذا أنا به مدرجًا في ثوب صوف أبيض، أشد بياضًا من اللبن، وتحته حريرة خضراء، وقد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب، وإذا قائل يقول: قد قبض محمد ﷺ على مفتاح النصر، وعلى مفتاح الذكر، وعلى مفتاح النبوة، وفي رواية أخرى: مفتاح الدنيا عوضًا من مفتاح الذكر.

---

(١) بالأصل لا أدري وما أثبته من ب.

قالت: ثم رأيت سحابة ثانية أعظم من الأولى ولها نور، وأسمع صهيل الخيل، وخفقان الأجنحة، وكلام الرجال، حتى غشيته وغيب عني وجهه أكثر من المرة الأولى، فسمعت مناد ينادي طوفوا بمحمد ﷺ جميع الأرض، ومسالك السفن، وأعرضوه على كل روحاني من الجن والإنس والملائكة والطير والوحش، وأعطوه خلق آدم، ومعرفة شيث، وشجاعة نوح، وخُلَّة إبراهيم، ولسان إسماعيل، ورضى إسحاق، وفصاحة صالح، وحكمة لوط، وبشرى يعقوب، وجمال يوسف، وشدة موسى، وصبر أيوب، وطاعة يونس، وجهاد يوشع، وصوت داود، وحب دانيال، ووقار إلياس، وعصمة يحيى، وزهد عيسى، واغمسوه في جميع أخلاق النبيين ثم انجلت عني في أسرع من طرفة العين، فإذا به قد قبض على ثلاثة مفاتيح في حريرة خضراء مطوية طيًّا (٢١/ب) شديدًا، فنبع من تلك الحريرة ماء معين، وإذا بقائل يقول: بخ بخ قبض محمد ﷺ على الدنيا كلها، لم يبق واحد من قبلها إلا دخل في قبضته طائعًا بإذن الله ولا قوة إلا بالله.

قالت: فبينا أنا أتعجب من ذلك، إذا أنا بثلاثة نفر ظننت أن الشمس تطلع من خلال وجوههم، في يد الأول منهم إبريق، وفي الإبريق ريح كريح المسك، وفي يد الثاني طست من زمردة خضراء لها أربع نواحٍ، وعلى كل ناحية من نواحيها لؤلؤة بيضاء، وإذا قائل يقول: هذه الدنيا شرقها وغربها، وبرها وبحرها، فاقبض يا حبيب الله أي ناحية شئت منها، فإذا هو قابض على وسطها، فسمعت قائلاً يقول: قبض على الكعبة ورب الكعبة، أما أن الله جعلها له قبلة ومسكنًا مباركًا، ورأيت في يد الثالث حريرة خضراء قد طويت طيًا شديدًا، فنشرها فأخرج منها خاتمًا تحار فيه الأبصار، فأخذه صاحب الطست وأنا أنظر إليه، فغسله بماء الإبريق سبع مرات، ثم ختم بالخاتم بين كتفيه ختمًا

واحدًا، ولفه في خرقة، واستدل عليه بحظ من المسك الأذفر، ثم حمله وأدخله بين أجنحتيه ساعة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان ذلك رضوان خازن الجنان.

قالت: وقرأ في أذنه كلامًا (٢٢/أ) كثيرًا لم أفهمه، وقبّل بين عينيه، وقال: أبشر يا محمد فما بقى لنبي علم إلّا أعطيته، وأنت أكبرهم علمًا، وأشجعهم قلبًا، معك مفاتيح النصر، وقد أعطيت الأمن من الخوف والرعب، فلا يسمع أحد بذكرك إلّا وجل قلبه وخفق وهو لم يرك يا حبيب الله، ثم رأيت رجلاً قد أقبل نحوه حتى وضع فاه، على فاه فجعل يزقه[1] كما تزق الحمامة فرخها، فكنت أنظر إلى ابني يشير بإصبعه يقول: زدني، فزقه ساعة، وقال: أبشر يا حبيبي، فما بقي علم إلّا وقد أعطيته.

قالت: ثم احتمله فغيبه عني ساعة، فخرج قلبي، وذهل عقلي، ثم قلت: ويح قريش والويل لها ماتت كلها، أنا في ليلتي وولادتي أرى ما أرى، ويصنع بي ما يصنع، فلا يقربني أحد من قومي، إن هذا لعجب عجيب.

قالت: فبينا أنا كذلك، إذا به قد ردَّ، وإذا به كالقمر ليلة البدر الزاهر، وريحه يسطع كالمسك الأذفر، وهو يقول: خذه إليك، قد طافوا به المشرق والمغرب على موالد النبيين عليهم الصلاة والسلام أجمعين، والساعة كان عند أبيه آدم عليه السلام، فضمَّه إليه وقبله بين عينيه، وقال له: أبشر يا حبيبي، فأنت سيد ولدي في الأولين والآخرين، فناولنيه ومضى وهو يقول: يا عزَّ الدنيا وشرف الآخرة، فقد استمسكت بالعروة الوثقى، فمن قال (٢٢/ب) مقالتك،

(١) يزقه أي يطعمه بفمه، قال الأزهري في الصحاح: ٤٥٣ (زق الطائر فرخه يزقه، أي أطعمه بفيه).

وشهد بشهادتك، يحشر يوم القيامة تحت لوائك وفي زمرتك، ثم مضى فلم أره بعد تلك المرة.

أثبت[1] سياقة هذا الحديث المبارك من هذا الوجه بهذا اللفظ الذي أوردناه به، وذكره باختلاف ألفاظ فيه الحافظ الإمام العلامة الحجة المؤرخ أحمد بن أبي بكر بن ثابت الخطيب البغدادي المشهور[2].

[حديث الشفا بنت عوف]

ومن ذلك الحديث الذي أخرجه الآجري الحافظ[3]، وصوابه في الضبط[4] الآجري بلام مشددة من غير همز ولا تشديد في الراء، منسوب إلى قرية من قرى بغداد تسمى لاجر، لا إلى الآجُر الذي هو آلة البناء، على ما ضبطه المحققون حسبما أوضحناه في موضع غير هذا، وأخرجه أبو محمد عبد الله بن يحيى بن علي في الخصائص[5] وغيرهما[6] وهو عند جماعة من

---

(١) في ب: انتهت.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في كتابه الشريعة: ٤٣٤.

(٤) لكن السمعاني ضبطه في الأنساب: ٥٩/١ (بفتح الألف، وضم الجيم، وتشديد الراء المهملة، هذه النسبة إلى عمل الآجر، وبيعه، ونسبة إلى درب الآجر أيضاً).

(٥) المسمى: بالإعلام بشواهد الأعلام لنبوة سيدنا محمد عليه السلام، وقد ختم كتابه هذا بقصيدته اللامية الشهيرة: ب (الشقراطسية) نسبة إليه، والشقراطسي توزري الأصل والمولد، وقد أخذ عن كبار فقهاء المذهب المالكي آنذاك أمثال: الإمام عبد الحق الصقلي، والسيوري، وأبي عمران الفاسي، توفي سنة ست وستين وأربعمائة.

انظر ترجمته: شجرة النور: ٢٨٣/١، الاعلام: ١٤٤/٤ ـ ١٤٥ تراجم المؤلفين التونسيين: ٢٠٤/٣ ـ ٢٠٥.

(٦) وهو عند أبي نعيم دلائل النبوة: ١٣٥/١ ـ ١٣٦، رقم (٧٧).

أهل السير عن الشِّفا بنت عوف عن آمنة بنت وهب أم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها قالت: لما ولد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووقع على يدي فاستهل، قالت الشِّفا: وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى قصور الروم.

قالت: ثم ألبسته وجمعته[١]، فلم أنشب أن غشيتني ظلمة ورعدة وقشعريرة، ثم نفثت عن يميني، ونظرت ولا أدري ما (٢٣/أ) هو، قالت: فسمعت قائلاً يقول: أين ذهب به؟

قالوا: إلى المغرب، ثم أسفر عني ساعة، ثم عاد إلي الرعب والقشعريرة، ثم نظرت عن يساري فلم أر شيئًا، وسمعت قائلاً يقول: أين ذهب به؟

قالوا: إلى المشرق، ولن يعودوا أبدًا.

قال عبد الرحمن بن عوف: فلم يزل هذا الحديث مني على بال حتى بعث الله رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكنت في أول الناس إسلامًا.

ورويناه في حديث ابن إسحاق[٢].

[التعريف بالشفا]

قلت: والشِّفا هذه بكسر الشين المعجمة مشددة مع المدّ، قال فيها الحافظ أبو عمر فيما رويناه عنه في كتاب الصحابة[٣]: الشفا بنت عوف بن عبد عوف أخت عبد الرحمن بن عوف، هاجرت مع أختها عاتكة، وعاتكة هي أم المسور

---

(١) عند أبي نعيم: ثم ألبنته وأضجعته...

(٢) لم أجده في السيرة.

(٣) الاستيعاب: ٤/٣٣٥.

بن مخرمة كذا قال الزبير[1].

وقد قيل: الشفا أمه، الشفا بنت عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة، قال الزبير[2] في هذه: أم عبد الرحمن بن عوف، وأم أخيه الأسود بن عوف، قال الزبير: وقد هاجرت مع أختها لأمها الضيزنة بنت أبي قيس بن عبد مناف.

قال أبو عمر[3] على ما ذكر الزبير: عبد عوف جدّ عبد الرحمن بن عوف أبو أبيه، وعوف جده أبو أمه إخوان ابنا عبد بن الحارث، فانظره هذا كلام الحافظ أبي عمر رضي الله عنه، فاحتمل أن تكون الشفا هذه أمه أو أخته، إلّا أن بعض أهل السير (٢٣/ب) صرح بأنها أخته، ممن أورد هذا الخبر والله عز وجل أعلم.

قلت: وقد وقع لبعض الفقهاء وهم في عبد ولد الحارث، فجعله مضافًا ونقله عبد الحارث، فليتفطن له وبالله التوفيق لا رب غيره.

[رواية عكرمة في وصف الولادة]

ومن ذلك ما روي[4] عن عكرمة رحمة الله عليه يرفعه إلى آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها لما ولدته وضعته تحت برمة، وفي رواية: تحت بزمة ماء أي متخذة للماء وليس فيها ماء حينئذ، وكانت تلك عادة قريش في أولادها، يتيمنون بذلك لمن يولد.

---

(١) في كتابه جمهرة نسب قريش وأخبارها: ٥٢٨/٢، رقم: (١٠٠٤).

(٢) في جمهرة نسب قريش: ٥٤٣/٢، رقم: (١٠٨٦).

(٣) في الاستيعاب: ٣٣٥/٤.

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات: ١٠٢/١.

قلت: وقد أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عبد الله بن عباس، عزاه له السيوطي في الخصائص الكبرى: ٥٠/١، ولم أجده في المطبوع لكونه مختصراً عن الأصل، وفي المختصر المطبوع مروي من حديث داود بن أبي هند مقطوعاً: ١٣٨/١، رقم: (٨٠).

قالت: فانفلقت عنه، قالت: فنظرت إليه فإذا هو قد شق بصره إلى السماء ينظر إليها.

ذكره الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي[1]، والإمام أبو محمد[2] الحسن بن علي القطان رحمة الله عليه في كتاب الأحكام في المعجزات والعلامات[3] وغيرهما.

[ولادته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مختوناً]

ومنها: ما روي عن العباس بن عبد المطلب عمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[4]، وعبد الله بن عمر[5] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ورواه الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولد مختونًا مسرورًا.

وقد رويناه من طرق عن جملة من الأئمة المعتمدين[6]، وعلَيه المسندين وهو من الخبر المشهور[7].

---

(١) في كتابه الوفا بأحوال المصطفى: ١/٩٥.

(٢) في الأصل وب: أبو علي والصواب ما أثبتناه بموجب ما حررناه فيما مر من ترجمته.

(٣) (٥٨/أ) مخطوط.

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات: ١/١٠٣، وأبو نعيم في الدلائل: ١/١٥٤، رقم: (٩٢)، والبيهقي في الدلائل: ١/٩٤.

(٥) عزاه الحافظ الخضيري في اللفظ المكرم بخصائص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ٦٥٦، إلى أبي نعيم في دلائل النبوة، قال: وسنده ضعيف.

(٦) أخرجه ابن عدي في الكامل: ٢/١٥٥، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ٣/٤١١.

(٧) وقد أخرجه من حديث أنس الطبراني في المعجم الأوسط: ٤/٣٣٢، رقم: (٦١٤٨)، وأبو نعيم في الدلائل: ١/١٥٤، رقم: (٩١) والخطيب في تاريخ بغداد: ١/٣٤٦، رقم: (٢٣٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ٣/٤١٤، مرفوعاً بلفظ (من كرامتي على ربي أني ولدت مختوناً ولم ير أحد سوأتي). =

ومنها: ما حكاه جده عبد المطلب في الخبر عن كعب (٢٤/أ) وذكره غير واحد من أهل السير والخبر[(١)]، وساقه أبو محمد[(٢)] ابن القطان[(٣)] أحسن سياقه، واللفظ هنا له، قال عبد المطلب: كنت ليلة ولد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الكعبة أصلح فيها ما تهدم منها، فلما انتصف الليل، إذا أنا بالبيت الحرام قد مال بجوانبه الأربع، فخر ساجدًا في مقام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ كالرجل الساجد، ثم استوى قائمًا وأنا أسمع له تكبيرًا عجيبًا، ينادي الله أكبر، الله أكبر رب محمد المصطفى، الآن قد طهرني ربي من أنجاس المشركين وحمية الجاهلية، ونظرت إلى الأصنام كلها تنتفض كما ينتفض الثوب، ونظرت إلى الصنم الأعظم هبل قد انكب في الحجر على وجهه، وسمعت مناديًا ينادي ألا إنَّ آمنة قد ولدت محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد سكبت عليه سحائب الرحمة، هذا طست الفردوس قد أنزل ليُغسل فيه الثانية.

قال عبد المطلب: فلما رأيت ذلك في البيت والأصنام، ذهب عقلي حتى لا أدري ما أقول، وجعلت أمسح عيني ثم أقول: إني لنائم، ثم أقول: كلا إني ليقظان.

= قال الحافظ السيوطي في الخصائص الكبرى: ٥٣/١، وصححه الضياء في المختارة: ٢٣٣/٥، رقم: ١٨٦٤.
ـ وله طريق آخر من حديث أبي هريرة:
عزاه الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في كتابه جامع الآثار في مولد النبي المختار صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ٨٤٥/٢ ـ ٨٤٦: إلى الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسن بن هارون بن ثابت الصباحي وذكر سنده وقال عقبه: أنه لا يثبت.

(١) قال الحاكم في المستدرك: ٤٩٨/٣، رقم: (٤٢٣٤): (وقد تواترت الأخبار أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولد مختوناً مسروراً).

(٢) في الأصل وب: أبو علي.

(٣) في كتابه البشائر والأحكام: (٣١ ـ ٣٢أ) مخطوط.

قال: فخرجت أريد بيت آمنة، قال: [فلما خرجت من الباب][1] فإذا بالصفا يتطاول، وإذا بالمروة مثل ذلك ترتج، وأنا أنادي من كل موضع يا سيد قريش مالك كالخائف، أمطبوب أنت، فلا أحير جوابًا (٢٤/ب)، وإنما همّي بيت آمنة لنظر لابنها محمد ﷺ، وإذا أنا بجميع الطير حاشرة إليها، وإذا أنا بجميع جبال مكة مشرفة على منزلها، وإذا سحابة بيضاء على حجرتها، فلما رأيت ذلك دهشت حتى ما أدري ما أقول، ثم أمسح عيني وأقول: إني نائم، ثم أعلم أني يقظان، فلما أتيت منزل آمنة، لم أقدر أن أدخل من شدة فيحان المسك، ولمعان النور، فتحملت على الجهد مني حتى دنوت من الباب، فنظرت فإذا أنا بآمنة قد أغلقت الباب على نفسها، وكأنها ليس بها أثر ولا دم.

قال: فدفعت الباب دفعًا شديدًا، ودعوت يا آمنة!

فأجابتني بصوت خفي، فقلت لها: ويحك عجلي علي، وافتحي الباب قبل أن يتفطر كبدي، أو قبل أن تقطر عليَّ مرارتي في كبدي.

ففتحت الباب بسرعة، فتأيلتها[2]، فأول شيء وقع بصري من وجهها على موضع نور محمد ﷺ، فلما لم أر ذلك النور الذي كان في وجهها، صرفت يدي إلى حلتي لأسقها، وقلت: واغوثاه! أنا نائم أم أنا يقظان؟

فقالت: بل يقظان. مالك كالخائف الوجل، أمطبوب أنت؟

قلت: لا، ولكني طول ليلتي هذه في خوف ووجل، مالي لا أرى النور الذي كنت أراه في وجهك ساطعًا بين عينيك؟

---

(١) ما بين المعقوفتين لا يوجد في البشائر والاحكام.

(٢) بمعنى توقف وتمكث. انظر: الصحاح: ٦٨.

قالت لي (٢٥/أ): قد وضعته.

قلت: وكيف وضعيته ولست أرى عليك أثر النفاس والولادة، ولا أنكر من شأنك شيئًا إلّا أن النوُّر الذي كنت أراه في وجهك ساطعًا بين عينيك لا أراه؟

قالت: إني قد وضعته أتم وضع وأهونه، وأمرت أن أسميه محمدًا، وهذه الطير على حجرتي تسألني أن أدفعه إليها فتحمله وهذه السحاب تسألني كذلك.

قال عبد المطلب: فهاتيه حتى أنظر إليه.

فقالت له: إني قد رأيت ساعة ولدته شخصًا كأنه قضيب فضة وكالنخلة السحوق يقول لي: احذري أن تخرجيه لأحد من خلق الله ثلاثًا.

قال: فاخترط عبد المطلب سيفه وقال: أقتل نفسي أو ترينيه.

قالت له: هو في ذلك البيت، ففتح الباب فدخل، فإذا برجل هائل المنظر شاهر لسيفه، قد خرج من داخل البيت ومنعه من رؤيته وقال: لا سبيل لأحد عليه حتى تنقضي زيارة الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فارتعد عبد المطلب وألقى سيفه من يده، وخرج مبادرًا ليخبر قريشًا بذلك، فأخذ الله على لسانه فلم ينطق بهذه الكلمة وحدها سبعة أيام بلياليها. انتهى.

[فرح عبد المطلب بولادة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

وزاد صاحب الدر المنظم[1]: فلما كان بعد ثلاثة أيام، أتاه ونظر إليه وأعجب به، وذلك أنه وجده مختونًا مقطوع السُّرة، فلما رآه فرح به فرحًا شديدًا

(١) مخطوط: (٥٦/ب).

وقال (٢٥/ب): ليكونن لابني هذا شأن، فكان له أعظم الشان صلوات الله وسلامه عليه.

وقال ابن إسحاق[1]: إنَّ آمنة لما ولدته ﷺ أرسلت إلى جده عبد المطلب أنه قد ولد لك غلام فأته فانظر إليه، وحدثته بما رأت حين حملت به، وما قيل لها فيه، وما أمرت أن تسميه، فيزعمون أنَّ عبد المطلب أخذه فدخل به الكعبة فقام يدعو الله عَزَّوَجَلَّ ويشكر له ما أعطاه، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها.

وروي أنه قال يومئذ:

الحمد لله الذي أعطاني	هذا الغلام الطيب الأَرْدانِ
قد ساد في المهد على الغلمان	أعيذه بالبيت ذي الأركانِ
لأن يكون بلغة الفتيان	حتى أراه بالغ البيانِ
أعيذه من شر ذي شنئان	من حاسد مضطرب العيانِ
ذي همة ليس له عينان	حتى أراه عالي البنيانِ
أنت الذي سميت في الفرقان	في كتب ثابتة المثانِ

أحمد مكتوبًا عليَّ الشانِ

قلت: ولا منافات بين هذه القصة والتي قبلها، فإن بعث آمنة لعبد المطلب وتوجيهها إليه كان بعد تمام الثلاثة الأيام، وجهت عنه يوم الولادة قبل أن ينهاها الناهي على أن تظهره إلا بعد ثلاثة أيام والله أعلم.

وروي[2] عن آمنة أنها قالت: لما وضعته وفصل (٢٦/أ) وخرج مني، خرج

---

(١) في السيرة: ٩٧/١ وفي الأبيات بعض اختلاف، قلت: وهو عند العزفي نصاً عن ابن إسحاق.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات: ١٠١/١ ـ ١٠٢.

معه نور أضاء له كل شيء، ثم وقع على الأرض، فأخذ قبضة من تراب سجد عليها، ثم رفع رأسه إلى السماء. ذكره صاحب الدر المنظم[1].

[خبر اليهودي]

ومن ذلك ما ذكره ابن إسحاق[2] وغيره من أن يهوديًا كان يبيع العطر بمكة، فوقف على ملأ من قريش فيه صناديدهم: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة وغيرهما فقال لهم: هل ولد فيكم الليلة مولود؟

فقالوا: لا نعرف.

فقال اليهودي: أما إذا أخطأكم فبالطائف أو بفلسطين.

فقاموا وتفرقوا وعجبوا من قول اليهودي، فلما رجعوا إلى منازلهم سألوا **فقالوا:** نعم ولد فيها لعبد المطلب ابن، فجاؤوا بأجمعهم إلى اليهودي، فأخبروه بذلك، وأنه ولد فيهم مولود، **فقال اليهودي:** أرونيه.

فذهبوا إلى أمِّ النبي ﷺ فقالوا لها: أخرجي ابنك الذي ولدتيه، فأخرجته، فما نظر إليه اليهودي ونظر إلى الخاتم، وقع مغشيًا عليه، فعجب من ذلك كفار قريش، فلما أفاق من غشيته، **قال اليهودي:** أفرحتم يا معشر قريش، أما والله سيكون[3] لكم سطوة يخرج حديثها من المشرق إلى المغرب، لقد ذهبت والله دولة بني إسرائيل، فلما سمعوا ذلك منه خلصوا نجيا، وذكرهم في طلب الدين.

---

(١) في الفصل التاسع عشر: (٥٧/أ) مخطوط.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٤٩٧/٣ ـ ٤٩٨، رقم: (٤٢٣٣)، والبيهقي في الدلائل: ٨٩/١ ـ ٩٠، كلاهما من طريق ابن إسحاق ببعض اختلاف في الألفاظ.

(٣) في الأصل: ليسطون، وما أثبته من ب.

قلت: ولا منافات أيضًا بين هذا الخبر، وبين الخبر الأول، فإن رؤية اليهودي له كانت بعد ظهوره (٢٦/ب) وختم النبوة، وهو الذي يقتضيه كلام ابن إسحاق وهو الأظهر، والله سبحانه أعلم.

[خبر الحبر الذي كان بمكة]

ومن ذلك ما أخرجه أبو محمد عبد الله بن محمد بن يحيى في الخصائص، والحافظ أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي[1] وغيرهما عن والد أم عبد الله بن عمرو[2] بن عثمان أنه قال: لما كانت ليلة ولد فيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال حبر كان بمكة: يولد الليلة في بلادكم، هذا النبي الذي وصف بأنه يعظم موسى وهارون، ويقتل أمتهما، فإن أخطأكم فبشروا به أهل الطائف أو أهل أيلة، قال: فولد في آخر تلك الليلة، فخرج حتى دخل الحجر فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإن لموسى حق، فإني مؤمن به، ثم فُقِد فلم يقدر عليه.

[خبر آخر ليهودي]

ومنه ما ذكره صاحب الدر المنظم[3] قال: روي أن يهوديًا كان في بني عبد الأشهل يسمى يوشع، لم يكن فيهم يهودي غيره، وكان في صومعته، وكان

---

(١) عزاه له الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في كتابه جامع الآثار: ٨٢/٣.

(٢) في الأصل: عمر.

(٣) في الفصل الثالث عشر: (٥٥/أ) مخطوط.

قلت: وقد أخرجه ابن إسحاق في السيرة: ١٣٢/١ - ١٣٣، وأحمد في المسند: ٤٦٧/٣، البخاري في التاريخ الكبير: ٦٨/٤، رقم: (١٩٦٨)، والطبراني في المعجم الكبير: ٤٧/٧.

بنو عبد الأشهل يأتونه فيتحدثون عنده، وكان كثيرًا ما يقول: إنَّ بعد الموت بعثًا وجنة ونارًا، فيضحكون منه ويقولون: ما بعد الموت شيء، فيرد عليهم ذلك، فناداهم يومًا عند الصبح على الصومعة فاستنكروه واجتمعوا إليه فقالوا: مالك؟

قال: هذا كوكب أحمد قد طلع، وهذا كوكب لا يطلع إلّا (٢٧/أ) بالنبوة، ولم يبق من الأنبياء إلّا أحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجعلوا يضحكون، وجعل يقول: بأن والله مصداق قولنا، وتصديق كتابنا، يخبركم أن بعد الموت جنة ونارًا، إنما هم أهل الأوثان، فلما قدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة أسلم بنو عبد الأشهل كلهم سواه، فأخرجوه من بينهم، فلم يزل يتنقل من بلد إلى بلد حتى مات زمن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على دينه. انتهى.

وورد من مثل هذه الأخبار المتضمنة إعلام أهل الكتاب بولادته ليلة ولادته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يضيق عنه هذا المقتضب، وإنما نذكر فيه ما اختص بليلة الولادة المشرفة من الآيات المقترنة بالولادة، والعلامات متنوعة بحول الله تعالى.

[رؤية النور عند الولادة]

ومنها ما خرجه الإمام أبو علي سعيد بن السكن وذكره ابن إسحاق[1] عن فاطمة بنت عبد الله أم عثمان بن العاصي أنها شهدت ولادة آمنة أم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولادته عَلَيْهِ السَّلَامُ وقالت: إنها ولدته ليلاً، وما شيء أنظر إليه من البيت إلّا نَور، وإني لأنظر إلى النجوم تدنو حتى أقول لتقعنَّ عليَّ، فلما ولدت خرج

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة: ١/٩١ ـ ٩٢، من طريق ابن إسحاق.
وهو عند أبي نعيم في دلائل النبوة: ١/١٣٥، رقم: (٧٦)، والطبري في تاريخ الأمم والملوك: ١/٢٧٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ٣/٤٢٦، كلهم من غير ذكر الأبيات.

منها نور أضاء البيت الذي نحن فيه، فما شيء أنظر إليه إلا نَور.

قالت أم عثمان: ثم سمعوا هاتفاً من الجن يهتف على جبل الحجون لما ولد النبي ﷺ (٢٧/ب):

فأقسم ما أنثى من الناس أنجبتْ ... ولا ولدتْ أنثى من الناس واحدَهْ

كما ولدتْ زهرية ذات مفخر ... مجنبة لؤْمَ القبائل ماجدَهْ

قالت: وهتف آخر على جبل أبي قبيس بقوله:

يا ساكني البطحاء لا تغلطوا ... وميزوا الأمر بعقلٍ مَضِي

أم[1] بني زهرة من سِركم ... في غابر الدهر وعند البدي

واحدة منكم فهاتوا لها ... ممن مضى للناس أو من[2] بقي

واحدة مَنْ غيرهم مثلها ... جنينها مثل النبي التقي

واللفظ لغير ابن إسحاق.

[حادثة عجيبة]

ومن ذلك ما ذكره أهل السير[3] عن يحيى بن عروة عن أبيه أنَّ نفرًا من قريش منهم: ورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نوفل، وعبد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث، كانوا عند صنم لهم قد اجتمعوا عليه يومًا، وقد اتخذوا

(١) عند ابن أبي الدنيا في هواتف الجنان: (٧٤) إن بدل أم.

(٢) في الأصل وب: ممن وما أثبته من هواتف الجنان.

(٣) أخرجها الخرائطي في الهواتف: قال حدثنا عبد الله بن محمد البلوي بمصر، حدثنا عمارة بن زيد حدثني عبد الله بن العلاء حدثني يحيى بن عروة عن أبيه به، عزاه له ابن كثير في البداية: ٣٦/٢، والسيوطي في الخصائص: ٥٢/١.
وهو عند ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٣٣٦/٣٨.

ذلك اليوم عيدًا في كل سنة يعظمونه وينحرون عنده الجزور، ويأكلون ويشربون الخمر، ويعكفون عليه، فرأوه مكبوباً على وجهه فأنكروا ذلك، وردوه على حاله، فلم يلبث أن انقلب انقلابًا عنيفًا، فأخذوه وردوه إلى حاله، فانقلب الثالثة، فلما رأوه قد انقلب ولم يثبت اغتموا له.

فقال عثمان بن الحويرث: ماله قد أكثر التنكيس، إنَّ هذا (٢٨/أ) لأمر حدث، وذلك في الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ، فجعل عثمان بن الحويرث يقول:

أيا صنم العيد الذي صف حوله ... صناديد قومٍ من بعيد ومن قربِ
تنكست مغلوباً فما ذاك قل لنا ... بغاك سفيه أوتكوست[1] بالعتبِ
فإن كان عن ذنب أتينا فإننا ... نبوء باقرار ونلوي عن الذنبِ
وإن كنت مغلوبًا تكوست صاغرًا ... فما أنت في الأوثان بالسيد الربِ

قال: فأخذوا الصنم فردوه على حاله، فلما استوى هتف بهم بصوت جهير وهو يقول:

تردى لمولودٍ أنارتْ لنورهِ ... جميع فجاج الأرض بالشرق والغربِ
وخرت له الأوثان طرًا فأرعدت ... قلوب ملوك الأرض طرًا من الرعبِ
ونارُ جميع الأرض[2] باخت وأظلمت ... وقد بات شاه الفرس في أعظم الكربِ
وصارت عن الكهان بالغيب جنها ... فلا مخبر منهم بحق ولا كذبِ
فيا لقصيٍّ ارجعوا عن ضلالكم ... وهبوا إلى الإسلام والمنزل الرحبِ

(١) كوسته على رأسه تكويساً أي قلبته. انظر الصحاح: ٩٢٨.
(٢) عند ابن ناصر الدين في جامع الآثار: (٨٢٩/٢)، الفرس بدل الأرض.

وذكر بعد ذلك قصة خروج الأربعة يطلبون الدين ذكرها ابن إسحاق[1] وغيره وساقها أبو الربيع في الاكتفا[2] ونصه: ثم قال: ـ يعني الأربعة ـ بعضهم لبعض تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض. قالوا: أجل. فقال بعضهم لبعض تعلموا: والله ما قومكم على شيء، لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم (٢٨/ب) عَلَيْهِ السَّلَامُ، ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع، يا قوم التمسوا لأنفسكم، فإنكم والله ما أنتم على شيء، فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم، فأما ورقة فاستحكم في النصرانية واتبع الكتب من أهلها.

[حال ورقة بن نوفل]

وذكر الزُّبير بن بكار[3] بإسناد له إلى عروة بن الزبير قال: سئل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ورقة بن نوفل فقال: (لقد رأيته في المنام عليه ثيابٌ بيضٌ، فقد أظن أنه لو كان من أهل النار لم أر عليه البياض).

---

(١) في السيرة: ١/١٦٢ ـ ١٦٣.

(٢) ١/١٥٦ ـ ١٥٧.

(٣) في كتابه: جمهرة نسب قريش وأخبارها: ١/٤١٤، رقم: (٧١٥) قال: وحدثني عبد الله بن معاذ الصنعاني عن معمر عن الزهري، عن عروة بن الزبير فذكره.
قال السهيلي في الروض الأنف: ١/٢١٧ بأن إسناده جيداً، ونقل البقاعي في كتابه بذل النصح والشفقة للتعريف بالسيد ورقة: (١٦٤) عن الحافظ العراقي بأنه مرسل صحيح.
قلت: أخرجه أحمد في المسند: ٦/٦٥، والترمذي في الجامع: ٤/١٢٧، رقم: (٢٢٨٨)، والحاكم في المستدرك: ٥/٥٦٠ ـ ٥٦١، رقم: (٨٢٤٨) من حديث عروة عن عائشة مرفوعاً به.
قال الحافظ ابن كثير عن حديث أحمد في المسند: وهذا إسناد حسن، نقلاً عن البقاعي: ١٣١.

وكان يذكر الله في شِعره في الجاهلية ويسبحه، وهو الذي يقول في مثل ذلك[1]:

لقد نصحت لأقوامٍ وقلت لهم — أنا النذير فلا يغرركم أحدُ
لا تعبدن إلهاً غير خالقكم — فإن دعوكم فقولوا بيننا حددُ
سبحان ذي العرش سبحانًا يدوم له — رب البرية فردٌ واحدٌ صمدُ
سبحان ذي العرش سبحانًا نعود له — وقبل سبحه الجودي والجُمُدُ
مسخر كل ما تحت السماء له — لا ينبغي أن يناوي ملكه أحدُ
لا شيء مما ترى تبقى بشاشته — يبقى الإله ويودي المال والولدُ
لم تُغنِ عن هرمزٍ يوماً خزائنُه — والخُلد قد حاولتْ عادٌ فما خلدُوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح له — والإنس والجن فيما بينها بُرُدُ
أين الملوك التي كانت لعزتها — من كل أوبٍ إليها وافديفدُ (٢٩/أ)
حوض هنالك مورود بلا كذبٍ — لابد من ورده يومًا كما وردُوا[2]

هكذا نسبه ابن إسحاق لورقة.

قلت: ووقفت قديمًا على هذه الأبيات منسوبة لأمير المؤمنين الفاروق

---

(١) ذكرها الزبير بن بكار في جمهرة نسب قريش: ٤١٦/١ ـ ٤١٨، وعنه رواها الأصبهاني في الأغاني: ١٤/٣.
قلت: وهذه الأبيات قد ذكرها عم الزبير مصعب الزبيري في كتابه نسب قريش: ٢٠٨.
وقد أوردها السهيلي في الروض الأنف: ٢١٧/١، وياقوت الحموي في معجم البلدان: مادة (الجمد)، والنويري في بلوغ الأرب: ٢٧١/٢ ـ ٢٧٢، وابن كثير في البداية والنهاية: ٢٩٥/٢.
والبقاعي في كتابه بذل النصح والشفقة: ١٠٦ ـ ١٠٨. على اختلاف في ألفاظها.

(٢) البيتان الأخيران غير موجودين عند الزبير، وهما مذكوران عند السهيلي وغيره.

عمر بن الخطاب من شعره، ذكره أبو عبد الله بن بري التلمساني[١]، وإن كنّا قد رويناه في كتاب الاستيعاب[٢] للحافظ أبي عمر ابن عبد البر النمري مما مثل به عمر ﷺ، وقد ذكرت خبر ورقة وما قيل في إسلامه وعدمه وما لأئمتنا في ذلك في المقدمة التي علقتها على صحيح البخاري.

قال أبو الربيع[٣] عن ابن إسحاق: وفي هذا الشعر ألفاظ عن غير الزبير، والبيت الأخير كذلك، وفيه أبيات[٤] تروى لأمية بن أبي الصلت[٥].

[تنصر ابن جحش]

قال ابن إسحاق[٦]: وأما عبيد الله بن جحش فأقام على ما كان عليه من الالتباس حتى أسلم، ثم هاجر مع المسلمين إلى أرض الحبشة، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان مسلمة، فلما قدمها تنصر والعياذ بالله، وفارق الإسلام

---

(١) لعل اسم ابن برى تصحف، فإني لم أعثر على ترجمة هذا الرجل مع طول بحث، وربما يكون هو الملقب: بالثغري وهو أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي التلمساني، قال ابن أبي مريم في البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان: (٢٩٨) وصفه المازوني في نوازله بالشيخ الفقيه الإمام العلامة الأديب الكاتب أبي عبد الله أخذ عن الإمام الشريف التلمساني وغيره، ولم أقف على تاريخ وفاته، وقال التنبكتي في نيل الابتهاج: ١٥٢/٢ ولم أقف له على ترجمة.

(٢) ٤٦٤/٢ ـ ٤٦٥، في ترجمة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه.
وقال ابن كثير في البداية: ٢٩٥/٢: (وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يستشهد في بعض الأحيان بشيء من هذه الأبيات).

(٣) المسمى بالاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والثلاثة الخلفاء: ١٥٧/١.

(٤) كذا قال السهيلي في الروض: ٢١٧/١.

(٥) انظر: ديوانه: ١٦٠ ـ ١٦١، قسم ما نسب إليه أو إلى غيره.

(٦) انظر: السيرة لابن هشام: ٢٠٥/١ ـ ٢٠٦.

حتى هلك هنالك نصرانيًا، وخلف رسول الله ﷺ على زوجته بعده أم حبيبة، وكان حين تَنصر يمر بأصحاب رسول الله ﷺ يقول كلامًا معناه أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم تبصروا بعد.

[تنصر ابن الحويرث]

وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك (٢٩/ب) الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده، وذكر الزبير[١] أن قيصر ملكه على مكة، وكتب له إلى أهلها فأنِفَت قريش أن يدينوا لأحد، وصاح فيهم ابن عمه أبو زمعة الأسود بن المطلب بن أسد والناس في الطواف، إن قريشًا لقاح لا تملك ولا تُملك، فمضت قريش على كلامه، ومنعوا عثمان ما جاء يطلبه، فرجع إلى قيصر ومات بالشام مسمومًا، يقال سمَّه عمرو بن جفنة الغساني الملك، وكان عثمان يدعى البطريق، ولا عَقِب له.

[حال ابن نفيل]

قال ابن إسحاق[٢]: وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل في دين، يهودية ولا نصرانية، وفارق دين قومه واعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الأوثان، ونهى عن قتل الموءودة، وقال: أعبد رب إبراهيم وبادئ قومه بعيب ما هم عليه.

قالت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخًا كبيرًا مسندًا ظهره إلى الكعبة وهو يقول: يا معشر قريش، والذي نفس

(١) في جمهرة نسب قريش: ١/٤٢٧ ـ ٤٣٠.

(٢) في السيرة: ١/١٦٣.

عمرو بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري، ثم يقول: اللهم لو أني أعلم أي الوجوه أحب إليك عبدتك به، ولكن لا أعلمه، ثم يسجد على راحته.

[مصير زيد بن عمرو بن نفيل]

وسأل ابنه سعيد بن زيد وابن عمه عمر بن الخطاب بن نفيل رسول الله ﷺ أنستغفر (٣٠/أ) لزيد بن عمرو؟ قال: «نعم، فإنَّه يبعث أمة وحده»[١].

وقال زيد بن عمرو بن نفيل في فراق دين قومه[٢]:

أربًّا واحدًا أم ألف ربٍّ ... أدين إذا تقسمت الأمورُ

عزلت اللات والعزى جميعًا ... كذلك يفعل الجلد الصبورُ

فلا عزى أدين ولا ابنتيها ... ولا صنمي بني عمرو أزورُ

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة: ١٦٦/١.

قلت: وأخرجه أحمد في المسند: ١٨٩/١ - ١٩٠، والحاكم في المستدرك: ٥٤٧/٤ - ٥٤٨، رقم: (٥٩١١، ٥٩١٢)، والطبراني في المعجم الكبير: ٣٥٠/١، والبزار في المسند: ٣٦٠/١، والبيهقي في الدلائل: ٣٨٤/١، وغيرهم وفيه المسعودي وهو ضعيف، إلا أن له طريقاً آخر من حديث سعيد بن زيد بإسناد حسن أخرجه البغوي في حديث مصعب الزبيري: ٤٣ - ٤٤ رقم (١١) والبغوي كذلك في معجم الصحابة: ٤٥٦/٢ - ٤٥٨، رقم: (١١٤٣)، وأبو يعلى في المسند: ٢٦٠/٢ - ٢٦١، رقم: (٩٧٣)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني: ٧٨/٢، رقم: (٧٧٥)، والضياء في المختارة: ٣١٠/٣ وغيرهم.

وقد روي هذا الحديث بأسانيد أخرى من حديث زيد بن حارثة وغيره، انظر: الإصابة: ٥٥٢/١، رقم: (٢٩٢٣) ترجمة زيد بن عمرو بن نفيل العدوي والد سعيد بن زيد.

(٢) أخرجها ابن إسحاق في السيرة: ١٦٣/١ - ١٦٤، إلى وبينا المرء. وذكرها ابن هشام كاملة، وقد أخرجتها غالب كتب السير. انظر: نسب قريش لمصعب الزبيري: ٣٦٤ - ٣٦٥، وجمهرة نسب قريش للزبير بن بكار: ٨٢٦/٢ - ٨٢٧، رقم: (٢٤٤١).

ولا غُنمًا[1] أدين وكان ربًا — لنا في الدهر إذ حلمي يسيرُ
عجبت وفي الليالي معجبات — وفي الأيام يعرفها البصيرُ
بأن الله قد أفنى رجالاً — كثيرًا كان شأنهم الفجورُ
وأبقى آخرين ببر قوم — فيرمل[2] منهم الطفل الصغيرُ
وبينا المرء يعثر ثاب يومًا — كما يتروح الغصن المطيرُ
ولكن أعبد الرحمن ربًا — ليغفر ذنبي الرَّب الغفورُ
فتقوى الله ربكم احفظوها — متى ما تحفظوها لا تبورُ
ترى الأبرار دارهم جنانٌ — وللكفار حاميةٌ سعيرُ
وخزي في الحياة وإن يموتوا — يلاقوا ما تضيق به الصدورُ

وأنشد له القصيدة اليائية، قال: وذكر ابن هشام[3] أن أكثرها لأمية ابن أبي الصلت[4] وأولها:

إلى الله أُهدي مدحتي وثنائيا — وقولاً رصينًا لا يني الدهر باقيا
إلى الملك الأعلى الذي ليس فوقه — إلهٌ ولا ربٌ يكون مدانيا (٣٠/ب)
ألا أيها الإنسان إياك والردى — فإنك لا تُخفي من الله خافيا

في أبيات في التوحيد سهلة عجيبة ذكرها ابن إسحاق[5] وغيره رحمة الله عليه، قال: ويروى أن زيدًا كان إذا استقبل القبلة دخل المسجد قال: لبيك حقًا

(١) عند ابن هشام: ولا هبلاً.
(٢) عند البغوي: فيربو بدل فيرمل.
(٣) في السيرة النبوية: ١/٢٠٩.
(٤) انظرها في ديوانه: ١٩٤ ـ ١٩٧، قسم ما نسب إليه وإلى غيره.
(٥) في السيرة: ١/١٦٦، ورونها غالب كتب السير.

حقًا، تعبدًا ورقًا، عذت بما عاذ به إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، مستقبل القبلة وهو قائم إذ قال: أنفي لك راغم، في كلام مثل هذا، ثم ذكر قصة خروجه وسؤاله عن الدين حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها، ثم أقبل فجال الشام كلها، حتى انتهى إلى راهب بأرض البلقاء، كان ينتهي إليه علم النصرانية فيما يزعمون، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم؟

فقال: إنك لتطلب دينًا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم، ولكن قد أظنك زمان نبي يخرج في بلادك التي أنت منها، يبعث بدين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الحنيفية فالحق به، فإنه مبعوث الآن، هذا زمانه، وقد كان سأم اليهودية والنصرانية فلم يرض منها شيئًا، فخرج سريعًا حين قال له ذلك الراهب ما قال يريد مكة، حتى إذا توسط بلاد لخم فقتلوه، وبكاه ورقة ورثاه في أبيات ذكرها ابن إسحاق[1].

قلت: وإنما ذكرت قصة هؤلاء الأربعة استطرادًا، وإيثارًا للفائدة، وإن خرجت عن الشرط، فلسنا (٣١/أ) نذكر من المعجزات إلا ما اقترن بالولادة، وما صح إسناده لكتاب معتمد لإمام معتمد، وإلّا فلو ذكرنا الآيات العامة والمعجزات لكان موضوعًا في غير الغرض، والقطرة من البحر لا تشفي العليل صلوات الله وسلامه عليه.

[ارتجاس إيوان كسرى]

ومنها ما ذكره الإمام العالم الحافظ الرباني أبو سليمان الخطابي البستي[2]

---

(١) في السيرة: ١٦٣ ـ ١٦٦.

(٢) في كتابه غريب الحديث: ١/٦٢٢ ـ ٦٢٤.

قلت: وقد أخرجه: ابن جرير الطبري في تاريخه: ١/٢٧٦ ـ ٢٧٨، وأبو نعيم في الدلائل:=

ﷺ وغيره من المسندين المحققين عن أبي أيوب يعلى بن عمران البجلي قال: حدثني هانئ بن هانئ وأتت له مائة وخمسون سنة، أنه لما كان ليلة ولد فيها رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، قالوا: فلما ارتج إيوان كسرى، وسقطت شرفاته، عظم ذلك على أهل مملكته، فما كان بأوشك من أن كتب إليه صاحب اليمن يخبره أنَّ بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة، وكتب إليه صاحب الشام يخبره أن وادي السماوة انقطع تلك الليلة، وكتب إليه صاحب طبرية يخبره أن الماء لم يجر في بحيرة طبرية تلك الليلة، وكتب إليه صاحب فارس يخبره أن النيران خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة، فلما تواترت على كسرى الكتب، وانتشرت الأخبار، ظهر لأهل مملكته فأخبرهم الخبر، فقال الموبذان: رأيت (٣١/ب) أيها الملك تلك الليلة رؤيا هالتني، فقال: وما الذي رأيت؟

قال: رأيت تلك الليلة إبلاً صعابًا، تقود خَيْلاً عِرَابًا، قد اقتحمت دجلة، وانتشرت في بلادها.

فقال: لقد رأيت فما عندك فيها؟

قال: ما عندي في تأويلها شيء، ولكن أرسل إليَّ عاملك بالحيرة يوجه

= ١٣٨/١ ـ ١٤١، رقم: (٨٢)، والبيهقي في الدلائل: ١٠٣/١ ـ ١٠٧، وأبو سعد الخركوشي الواعظ في شرف المصطفى: ١٢١/١ ـ ١٢٧، رقم: (٥)، وأبو القاسم الأصبهاني في الدلائل: ١٣٤ ـ ١٣٦، رقم: (١٤٧)، وأبو سعيد النقاش في فنون العجائب: ٦٩، والحنائي في الفوائد: ٩٩٠/٢ ـ ٩٩٤، رقم: (١٩٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ٣٦١/٣٧ ـ ٣٦٣.

قال أبو القاسم الحنائي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مخزوم بن هانيء المخزومي عن أبيه، تفرد به أبو أيوب يعلى بن عمران البجلي، ما كتبناه إلا من هذا الوجه، وهو يدخل في دلائل نبوة نبينا ﷺ.

لك رجلاً من علمائهم، فإن عندهم بالحدثان.

فبعث إليهم عبد المسيح بن ثعلبة الغساني، فلما دخل عليه أخبره كسرى الخبر، فقال له: أيها الملك ما عندي في تأويلها شيء، ولكن جهزني إلى خالٍ لي بالشام يقال له: سَطِيح.

فأمر بتجهيزه، فلما قدم على سطيح ألفاه قد احتضر، فناداه، فلم يجبه، وكلمه فلم يرد عليه، فقال عبد المسيح:

أصمٌّ أم يسمع غطريف اليمن ... أم فاد[1] فازلمَّ[2] به شأو العننْ[3]

يا فاصل الخطة أعيتْ مَنْ ومَنْ ... وكاشف الكربة عن وجه الغضنْ

أتاك شيخ الحي من آل سَنَنْ ... وأمه من آل ذئب بن حجنْ

أبيض فضفاض الرداء والبدنْ ... أزرق نهْم[4] الناب صرار الأذنْ

رسول قَيْل[5] العجم يسري[6] للوسنْ[7] ... لا يرهب الرعد ولا ريب الزمنْ

تجوب بي الأرض علندات شزن[8] ... ترفعني وجن[9] وتهوي بي وجنْ

---

(١) بمعنى مات، وفي بعض الروايات: فاز. انظر: النهاية: ٣/٤٧٨.

(٢) فازلم: ذهب مسرعاً. انظر: جامع الآثار: ٢/٨٠٨.

(٣) في الأصل: الفتن بدل العنن، وما أثبته توافقت عليه المصادر، والمعنى هنا اعتراض الموت.

(٤) في الأصل: ضخم وما أثبته من باقي المصادر، وقد ذكر ابن ناصر الدين ضبط اللفظ والخلاف فيه فانظره في جامع الآثار: ٢/٨٠٩ ونهم الناب فسر بأنه حديد الناب.

(٥) القيل: الملك.

(٦) في الأصل: يهوى بدل يسري.

(٧) النعاس.

(٨) العلندات: النوق الصلبة القوية. والشزن: الشدة والغلظة.

(٩) الوجن: وهو المنقاد من الأرض في غلظ.

حتى أرى عاري الجآجي والقطن[١] تلفه في الريح بوغاء الدمن:[٢]

كأنّما حثحث[٣] من حضني ثكن[٤]

فلما سمع سطيح شِعْره (٣٢/أ) رفع إليه رأسه وقال:

عبد المسيح، على جمل مُشيح، أتى إلى سطيح، وقد أوفى على الضريح، بعثك ملك بني ساسان، لارتجاس الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبذان، رأى إبلاً صعابًا، تقود خيلاً عرابًا، حتى اقتحمت في الواد، وانتشرت في البلاد.

عبد المسيح، إذا كثرت التلاوة، وغاض وادي السماوة، وغاضت بحيرة ساوة، فليست الشام لسطيح بشام، يملك منهم ملوك وملكات، بعدد سقوط الشرفات، وكل ما هو آتٍ آت، ثم قضى سطيح.

فقال عبد المسيح:

شمر فإنك ماضي العزم شمير لا يفزعنك تعويقٌ وتغوير[٥]

إن كان ملك بني ساسان أفرطهم فإنما الدهر أطوارٌ أداهيرُ

---

(١) الجآجئ: جمع جؤجؤ وهو عظام الصدر، والقطن: لحمة بين الوركين.

(٢) البوغاء: دقاق التراب الطائر في الهواء، والدمن: وهي آثار الناس وما سادوا من الأرض.

(٣) أي حث واستعجل.

(٤) وثكن: اسم جبل بالحجاز. انظر: النهاية: ٢١٨/١.

(٥) رواها الخركوشي في شرف المصطفى: (١٢٦/١) بصيغة: تفريق وتغيير بدل تعويق وتغوير، وكذلك أثبتها ابن ناصر الدين بمثل ما ذكره الخركوشي.

وبقيلة جد عبد المسيح، وهو عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بقيلة، وحيان بالحاء المهملة، والياء المنقوطة المسفولة، ويقال: حسان بالسين.

وعبد المسيح هذا من الحيريين، وهو الذي صالح خالد بن الوليد على الحيرة.

وأما سطيح فقال ابن إسحاق[1]: واسم سطيح، ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن بن غسان.

وقال ابن دريد[2]: هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن عدي بن الذئب وهو الكاهن القديم، عُمِّر ثلاثمائة سنة، ولد في أيام سيل العرم، وعاش حتى أدرك (٣٣/أ) فيروز[3]، وله حديث، هذا قوله في كتاب الاشتقاق.

وقال في كتاب الجمهرة[4]: سطيح الكاهن، رجل من كهان العرب له أحاديث كثيرة، وهو أحد بني ذيب بن غسان، زعم ابن الكلبي أنه عاش ثلاثمائة سنة، خرج من[5] الأزد أيام سيل العرم، وعاش إلى أيام شيرويه بن هرمز، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة.

---

(١) في السيرة: ١/٥٧، إلا أن المذكور: سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب. وهو كذلك عند ابن هشام في سيرته: ١/٦٤.

(٢) الاشتقاق لابن دريد: ١/٤٨٧.

(٣) عند ابن دريد: أدرك أبرويز.

(٤) جمهرة اللغة: ١/٥٣١.

(٥) عند ابن دريد: معه بدل من.

وشيرويه هو بكسر الشين المعجمة، وفتح الراء والواو، ويروى بفتح الياء وسكون الراء، وكسر الواو، وآخره زاي، وهو كسرى المتقدم الذكر، وكان يقال له: كسرى ابروين وبروين أيضًا، هذه حكاية ابن دريد.

وحكى الطبري[1] الذي بعث عبد المسيح هو كسرى أنو شروان، وقال: وفي آخر ملكه كان مولد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذكر أنَّ الذي ملك بعد كسرى أنو شروان هرمز بن كسرى، ثم ملك بعده كسرى ابروين بن هرمز بن كسرى، وكان ملكه ثمانيًا وثلاثين سنة، وفي السنة الثانية والثلاثين من ملكه هاجر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة.

وتفسير ابروين بالعربية المظفر، وكسرى ابروين هو الذي كتب له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الذي رأى في المنام أنه عرض على الله عَزَّ وَجَلَّ، فقيل له: سَلم ما في يديك إلى صاحب الهراوة، وفي رواية أخرى: إنكم قد غيرتم فغير بكم، وانتقل الملك إلى أحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يزل (٣٣/ب) مذعورًا من تلك الرؤيا حتى كتب إليه النعمان بن المنذر بظهور رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتهامة، فأيقن أن الأمر سيصير إليه، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء، وهو على كل شيء قدير.

تنبيه: وقع في أبيات عبد المسيح الأول «أصم» وهو بفتح الصاد يقال: صم يصم صممًا بالفتح في المضارع، والكسر في الماضي إذ فككت الإدغام، والعامة تولع بضم الصاد في هذا الفعل، توهمًا أنه لما لم يضم فاعله، وينشدون:

صُـم صـدرها، وعفـى رسمهـا

بضم الصاد وذلك وهم، وإنما يقال: صم وأصمه الله وأصِم، وفي بعض

(١) في كتابه تاريخ الاسم والملوك: ٢/١٥٤.

الروايات يضبط: أصمُ بضم الميم.

وغطريف اليمن منادى، وتتبع ألفاظ المقطوعتين يخرج عن الغرض، ويستدعي الطول الذي ينافيه الاستعجال.

قلت: وعلى ذكر الإيوان الذي ذكر في هذه الآية ارتجاس وسقوط شرفاته فلنذكر من شأنه ما تيسر مما يليق بهذا المختصر، فأقول والله المستعان:

[تاريخ بناء الإيوان]

ذكر غير واحد منهم المسعودي[1] أن باني هذا الإيوان سابور بن هرمز، قال: وقد كان من قبل سابور من ملوك الساسانية يسكن بغربي المدائن من أرض العراق، فسكن سابور في الجانب الشرقي، وبنى هنالك هذا الإيوان، وقد كان ابروين بن هرمز أتم مواضع من بناء (٣٤/أ) هذا الإيوان.

قال: وقد كان الرشيد نازلاً على دجلة بالغرب من الإيوان، فسمع خادمًا من الخدم من وراء السرادق يقول: بنى هذا الإيوان ابن كذا وكذا، أراد أن يصعد عليه إلى السماء، فأمر الرشيد بعض الأستاذين من الخدم أن يضربه مائة عصا، وقال لمن حضره: إنَّ للملك نسبة، والملوك به أخوة، وأنَّ الغيرة بعثتني على أدبه لصيانة الملك، وما يلحق الملوك للملوك.

قال: وذكر عن الرشيد أنه بعد قبضه على البرامكة بعث إلى يحيى بن خالد بن برمك وهو في اعتقاله يشاوره في هدم الإيوان، فبعث إليه لا تفعل، فقال الرشيد لمن حضر في مجلسه: في نفسه المجوسية والحنق[2] عليها والمنع

(١) في مروج الذهب: ٢٥٩/١ ـ ٢٦٠.
(٢) عند المسعودي: الحنو عليها.

من إزالة آثارها، فشرع في هدمه.

ويقال: إنما قال ذلك في نفسه، فلما شرع فيه فإذا به تلزمه على هدمه أموال عظيمة لا تضبط كثرة، فأمسك عن ذلك، وكتب إلى يحيى يعلمه، فأجاب أن ينفق على هدمه ما بلغ من الأموال، ويحرض على فعله، فعجب الرشيد من تنافي كلامه في أوله وآخره، وبعث إليه يسأله عن ذلك، فقال: نعم أما ما أشرت به أولاً فأردت بقاء الذكر لأمة الإسلام، وبُعْد الصيت، وأن يكون من يرد في الأعصار، ويطرأ من الأمم في الأزمان، يرى مثل هذا البنيان العظيم، فيقول: إن أمةً قهرت أمة هذا بناؤها، فأزالت رسومها، واحتوت (٣٤/ب) على ملكها، لأمة منيعة عظيمة.

وأما جوابي في الثاني: فاخترت أنه شرع في هدم بعضه، ثم عجز عنه، فأردت نفي العجز عن ملة الإسلام أن لا يقول من وصف ممن يرد في الأعصار أن هذه الأمة عجزت عن هدم ما بنته فارس، فلما بلغ الرشيد ذلك من كلامه، قال: قاتله الله، فما سمعته قال قط شيئًا إلَّا صدق فيه.

وذكر غير المسعودي أنَّ الرشيد قال: لما سمع كلامه، ما زال ينصحنا راضيًا وغضبان، وقلت: رحمة الله عليهما ما أنصحه من خديم، وأنصفه من مخدوم.

وسمعت شيخنا أبا موسى بن الإمام رضوان الله عليه يقول إثر هذه الحكاية: جزاه الله من ناصح للإسلام خيرًا، ولو لم تحفظ له إلّا هذه المنقبة لكانت في الدلالة على فضله شاهده.

* * *

[التعريف بكسرى]

وذكر أبو الحسن المسعودي[1] أنَّ كسرى أنوشروان قال: ومعنى أنوشروان جديد الملوك، وقال غيره: معناه مجدد الملك، لما وفد عليه رسول ملك الروم قيصر بهدايا كثيرة وألطاف، فنظر إلى إيوانه، وحسن بنائه، واعوجاج في ميدانه، فقال: كان يحتاج هذا الصحن أن يكون مربعًا، قيل له: إن عجوزًا لها منزل في جانب الاعوجاج، وأن الملك أرادها على بيعه، فأبت فلم يكرها، وبقى الاعوجاج من ذلك على ما ترى، فقال الرومي: (٣٥/أ) هذا الاعوجاج أحسن من الاستواء.

وقال ابن إسحاق[2]: كان كسرى يجلس في إيوان مجلسه الذي فيه تاجه، وكان تاجه مثل القلنقل العظيم ـ فيما يزعمون ـ مضروبًا فيه الياقوت واللؤلؤ والزبرجد بالذهب والفضة، معلقًا بسلسة من ذهب في رأس طاقة في مجلسه ذلك، وكانت عنقه لا تحمل ذلك، وإنما يستر بالثياب حتى يجلس في مجلسه ثم يدخل رأسه في تاجه، فإذا استوى في مجلسه كشفت عنه الثياب، فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك إلا برك هيبة له.

وذكر غير واحد من وصف هذا التاج والإيوان ما هو أوسع من هذا، قلت: والقلنقل الذي وقع التشبيه به في التاج بقافين بينهما نون ساكنة هو المكمال الضخم، وكسرى هو اسم لكل ملك من ملوك الفرس، وكذلك خاقان لكل ملك من ملوك الترك، والنجاشي في ملوك الحبشة، وجرجير في ملوك افريقية في عهد النصارى، وفرعون في ملوك مصر من القبط، وكسرى كذلك في ملوك الفرس.

---

(١) في مروج الذهب: ٢٦٤/١.

(٢) في السيرة: ٥٢/١ ـ ٥٣.

* **تنبيه**[1]: كسرى فيه لغتان، فتح الكاف وكسرها، ورويناه في الحديث ضبطًا بالوجهين، فقال أبو علي البغدادي: وبالفتح هو عندنا، وهو بالفارسية خسرو، والنسبة إليه كسروي، والجمع فيه أكاسرة على غير قياس، لأنَّ قياسه أن يجمع على وزن (٣٥/ب) فعلون، فيقال فيه: كسرون، وكسرى بفتح الراء على المعروف في حكم المقصور.

* **تنبيه ثانٍ**: تقدم الاختلاف في كسرى الذي ولد رسول الله ﷺ على عهده وبقيت فيه زيادة تحقيق، ففي مختصر كتاب الطبري لغريب[2]: أن مولده ﷺ كان على ملك كسرى أنو شروان، وأنه الذي بعث عبد المسيح إلى سطيح، وأن ملكه كان ثمانيًا وأربعين سنة.

وذكر أبو عبيد البكري[3] أن مولده ﷺ كان لاثنتين وأربعين سنة من ملك أنو شروان.

وذكر المسعودي في مروج الذهب[4] أنه كسرى بن ابروين بن هرمز بن كسرى أنو شروان. قال المسعودي: وفي أيام ابروين حدثت حوادث تنذر بالنبوءة، وتبشر بالرسالة، وهو الذي أنفذ عبد المسيح، ومثله تقدم لابن دريد في كتاب الاشتقاق[5].

* **فائدة متمة**: ذكر بعض العلماء أنَّ كهانة سطيح لم تصب في عدة ملوكهم عدد الشرفات كما ذكر، قال: وهذا دليل على كذب الكهان وعدم

(١) انظر: النهاية: ١٧٣/٤.
(٢) كذا بالأصل وب: ولم يتضح لي المعنى وربما قصد أن المختصر لمؤلف غير معروف.
(٣) في كتابه المسالك والممالك: ٢٨٨/١.
(٤) ٢٧٨/١.
(٥) ٤٨٥/١.

صدقهم على الجملة، وأنهم كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخلطون، وأن أولياءهم من الجن يسمعون الكلمة فيضيفون إليها أعدادًا من الكذب.

[معنى الارتجاس]

وقولهم في هذه الآية: ارتجس الإيوان، الإرتجاس هو الاضطراب، وهو بمعنى الارتجاج، ومنه ارتجس (٣٦/أ) الرعد إذا سمع له صوت، وقولهم: الشرفات واحدها شرفة، بضم الشين وسكون الراء، وقال صاحب تثقيف اللسان[١]: يقولون: شرافة وفي الجمع شرافات، والصواب: شرفة، والجمع شرفات، وقولهم: فيه غاضت بحيرة ساوة، ساوة بالسين المهملة، مدينة معروفة، والسماوة، مفازة بين الكوفة والشام، وقيل: بين الموصل والشام، هذا قول أبي عبيد البكري[٢]، وفي مختصر العين: السماوة ماء في البادية، ويمكن أن يكون سمي باسم المكان تجوزًا.

[خمود نار فارس]

وقولهم: وكتب إليه صاحب فارس، وذكر قصة خمود نارهم، فلنذكر ما يتلخص من شأن هذه النار، وما تأدى إلينا من خبرها بحول الله تعالى استكثارًا من الفائدة، ونورد من ذلك إن شاء الله تعالى ما يليق بهذا المختصر المقتضب الوقتي الملحوظ بعين قبول المعذرة فنقول:

اعلم أنَّ الفرس كانت تعظم النار وتعبدها، ويقال في أصل عبادة النار أن قابيل لما قتل هابيل وفرَّ، غواه عدو الله إبليس وقال له: إنَّما تقبل قربان أخيك

(١) نقله عنه البرزنجي في الكوكب الأنور: ٢١٣.

(٢) في معجم ما استعجم: ٣/٧٥٤.

لأنه كان يعبد النار، في أخبار ذكرها غير واحد من المفسرين في قصة ابني آدم، وهذا على القول بأن قابيل كان كافرًا وهو الأظهر، وهو خلاف ما ارتضاه

ابن عطية[1] وفي كلامه (٣٦/ب) هناك تدافع لمن يتأمله حسبما أوضحناه في مجلس الإقراء عند الكلام على الآية الكريمة فلينظر نظر التأمل.

وأضيفت هذه النار لفارس قيل: لآل فارس، وفارس تنطلق على جماعة الفرس، وعلى بلادهم، وفي الحديث[2]: (تخدمهم فارس والروم) والمراد هنا الفرس، وهم الذين عبدوا النار وعظموها، وحافظوا على إيقادها محافظة من يرى ذلك دينًا لا يسوغ الإخلال به.

فلما كان ليلة مولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمدت، دلالة على انقطاع أمرها وتلاشي شأنها، وذهاب شيعتها، وانقطاع مدتهم وخمودها كان من نفسها لا بتركها فتكون صرفة كما أشار إليه بعضهم، وإن كانت آية إلّا أن الأول أبلغ في الإعجاز والله أعلم كما قيل في غيرها من الآيات حسبما هو مقرر في كتب علم الكلام، والكتب بذلك والتعجب منه واستغراب الواقع يدل على ما قررناه.

* * *

(١) في المحرر الوجيز: ١٤٦/٣، قال: (ومن هنا يقوى أن قابيل إنما هو عاصٍ لا كافر، لأنه لو كان كافراً لم يكن للتحرج وجه، وإنما وجه التحرج في هذا أن المتحرج يأبى أن يقاتل موحداً...).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: ١١٠/٤، رقم (٢٢٦١) ولفظه: (إذا مشت أمتي بالمطيطياء وخدمها أبناء فارس والروم، سلط شرارها على خيارها).
انظر تمام تخريجه بتوسع في رسالتي الدكتوراه وهي بعنوان: (عبد الملك بن حبيب ومنهجه في تفسير غريب الموطأ مع تحقيق كتابه).

[أول من اتخذ النار من ملوك فارس]

وذكر المسعودي[1] والبكري[2] أن أول من اتخذ النار من ملوك الفرس الأولى والثانية إفريذون وهو بفتح الراء، وسكون الياء، وبالذال المعجمة، والهمزة في أول مكسورة، وهو ملكهم.

وذكر المسعودي[3] أنه اتخذ لها عشرة بيوت، وأنها كانت قبل ظهور (٣٧/أ) زرادرشت، قال: ثم اتخذ بعد ذلك زرادرشت بيوت النيران.

قال أبو عبيد[4]: فاتخذ إفريذون بيتًا للنار بطوس، وبيتًا بمدينة بخارى، ثم اتخذ الملوك بعده بيوت النار في الممالك، قال: ومن البيوت الباقية الآن المعظمة عند أهلها بيت بمدينة دار بجرد من أرض فارس، كان زاردرشت قد أمر ليستأنف الملك أن يطلب نارًا كان يعظمها جَم، فطلبت فوجدت بمدينة خوارزم، فنقلها يستأنف إلى داربجرد، والمجوس تعظم هذه النار الآن أشد تعظيم، وهي أكرم نيرانهم، وكان له بيت نار باصطخر فارس، يعظمونه وهو الآن لا نار فيه، والناس يذكرون أنه مسجد سليمان على نبينا وعليه السلام.

[وصف مدينة اصطخر]

قال المسعودي[5]: وقد دخلته وهو على نحو فرسخ من مدينة اصطخر، فرأيت بنيانًا وهيكلاً عظيمًا، وأساطين صخر عجيبة، على أعلاها صور من

---

(١) في مروج الذهب: ٢/٢٥٢.

(٢) في المسالك والممالك: ١/١٧٥.

(٣) في مروج الذهب: ٢/٢٥٣.

(٤) ذكره في المسالك والممالك: ١/١٧٦.

(٥) في مروج الذهب: ٢/٢٥٤ ـ ٢٥٥.

الصخر ظريفة من الخيل وغيرها من الحيوان، عظيمة القدر والأشكال، محيط بذلك حيز عظيم، وسور منيع من الحجر، وفيه صور أشخاص قد شكلت وأتقنت، يزعم من جاور هذا الموضع أنها صور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفي جوف هذا الهيكل الريح غير خارجة منه في ليل ولا نهار، لها هبوب وحفيف، يذكر من هنالك من المسلمين (٣٧/ب) أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ حبس الريح فيه، وأنه كان عَلَيْهِ السَّلَامُ يتغدى ببعلبك من أرض الشام، ويتعشى في هذا الموضع، ويقيل في مدينة تدمر في الملعب المتخذ فيها، وهي في البرية بين العراق ودمشق وحمص من أرض الشام، يكون بينها وبين الشام خمسة أيام أو ستة، وهو بنيان عجيب من الحجر، وكذلك الملعب الذي فيها، وفيها خلق من الناس والعرب من قحطان.

[وصف مدينة جُور]

قال: وفي مدينة جور[١] من أرض فارس وهو البلد الذي يحمل منه ماء الورد الجوري، وإليه يضاف بيت النار، بناه أردشير بن بابك، وقد رأيته وهو على مقدار ساعة من جور على عين هنالك عجيبة، وله عيد، وهو أحد منتزهات فارس، وفي وسط مدينة جور بنيان كانت الفرس تعظمه، ويقال له: الطربال حرقه[٢] المسلمون، وذكر أنه إنما فضل ماء وردهم لصحة التربة وصفاء الهواء، قال: وألوان سكانها في غاية الحسن من اعتدال الحمرة والبياض، وبين جور وشيراز ـ وهي قصبة فارس ـ عشرون فرسخًا.

* * *

(١) في الأصل: خوز والصواب ما أثبته من مروج الذهب.
(٢) عند المسعودي: أخربه.

[ملوك آل ساسان]

قال المسعودي[(١)]: وذهب الأكثر من الناس ممن عني بأخبار الفرس أن جميع من ملك من آل ساسان من أردشير بن بابك إلى يزدجرد بن شهريار من الرجال والنساء ثلاثون ملكًا.

قال[(٢)]: ورأيت جماعة من الإخباريين وأصحاب (٣٨/أ) السير وأرباب الكتب المصنفة من التواريخ وغيرها يذهبون إلى أن سني الفرس إلى الهجرة ثلاثة آلاف سنة وستمائة وتسعون سنة، منها من كيومرث إلى انتقال الملك إلى منوشهر ألف وتسعمائة واثنتان وعشرون سنة، ومن منوشهر إلى زرادشت خمسمائة وثلاث وثمانون سنة، ومن زرادشت إلى الاسكندر مائتان وثمان وخمسون [سنة، فملك الاسكندر خمس[(٣)] سنين، ومن الاسكندر إلى ملك أردشير خمسمائة سنة] وتسع[(٤)] عشرة سنة، ومن أردشير إلى الهجرة أربعمائة وأربع سنين.

* تنبيه: هذا ما ذكره المسعودي، وأهل السير يقولون: وكان لها ألف عام لم تخمد إلى ليلة ولادة النبي ﷺ، وعلى هذا الذي حكاه المسعودي يكون لها أكثر، فتأوله بعضهم على صحة نقل المسعودي على أن الألف عام إنما حدد لها بمقدار تعظيم لها، من حين زرادشت الذي تزعم الفرس أنه نبي

---

(١) في مروج الذهب: ٢٨١/١.

(٢) المسعودي في مروج الذهب: ٢٨٢/١.

(٣) في المسعودي: ست بدل خمس.

(٤) في المسعودي: سبع بدل تسع.

مبعوث لها، ويحتمل أن التحديد بذلك لوقت محقق معلوم، ويقال: أن زادرشت زهد في الدنيا وترهب ولزم بيوت النار حتى مات.

واعلم أنَّ هذه أخبار لا يشهد لها من الصحيح خبر بالاعتبار والله سبحانه أعلم، وحسب المتأمل أن يعتبر طرق الأخبار ويبحث عن أصولها، ليقوى (٣٨/ب) عنده الظن بتصديق بعضها واعتباره، وبالله التوفيق.

[التعريف بالموبذان]

وأما الموبذان الذي وقع ذكره في قصة كسرى المتقدم ذكرها أيضًا فقالوا معناه: قاضي القضاة.

وقال البكري[1]: حافظ الدين.

والعجم تقدم المضاف إليه على المضاف بخلاف لغة العرب.

وقال المسعودي[2]: معناه القائم بأمر الدين، ومعناه قاضي القضاة، وهو رئيس الموابذة، ومعناهم القوام بأمر الدين في سائر المملكة، والقضاة المنسوبون للأحكام، وظاهر سياقة هذا الخبر أنه اسم مفرد.

وقال بعضهم: الموبذ هو الذي يعقد التاج على رأس الملك من الفرس، والجمع الموابذة، ولا يكون عندهم إلا من أهل الدين والحكمة، ولا يتم لملك الملك حتى يعقده الموبذان على رأسه، فيجوز الموبذان أن يكون تثنية لموبذ، وتكون نونه مكسورة، والظاهر أنَّه في هذه القصة مفرد لقول كسرى ما رأيت، فأفرد الضمير والأظهر أنه مفرد مركب والله أعلم.

(١) في المسالك والممالك: ٢٨٩/١.

(٢) في مروج الذهب: ٢٤٥/١.

[قصة النجاشي]

ومنها: ما ذكره قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن حجاج اللخمي[1] قاضي قضاة الموحدين أعزهم الله قديماً بمراكش في الإعلام عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما أن زيد بن عمرو، وورقة بن نوفل أتيا النجاشي بعد رجوع أبرهة عن مكة، (٣٩/أ) فلما دخلا عليه قال لهما: أصدقاني أيها القرشيان، هل ولد فيكم مولود أراد أبوه أن يذبحه فضرب عليه القِداح فسلم ونحرت عنه إبل كثيرة؟

قالا: نعم.

قال: فهل لكم علم به ما فعل؟

قالا: تزوج امرأة يقال لها آمنة بنت وهب فمات فتركها حاملاً.

فقال: هل لكم علم أولد أم لا؟

قال ورقة: أخبرك أيها الملك أني كنت ليلة قريبًا من وثن كنا نَطِيف به ونعبده، إذ سمعنا من جوفه قائلا يقول:

ولــد النَّبــي وذلَّــت الأمــلاك ... ونــأى الضــلال وأدبــر الإشــراك

وقال زيد بن عمرو بن نفيل: وعندي عجب أيها الملك. قال: هات.

قال: في مثل هذه الليلة التي ذكر فيها حديثه خرجت من عند أهلي وهم يذكرون حمل آمنة، حتى أتيت جبل أبي قبيس أريد الخلوة فيه لأمر رابني، إذ

---

(١) لم أظفر بترجمة لهذا العلم رغم تتبعي لها في مظانها ككتاب الاعلام للعباس بن إبراهيم المراكشي، والمعجب، والبيان المغرب، والمعجم لنويهض، والبستان لابن أبي مريم وغير من كتب تراجم المالكية المعروفة التي اعتنت بتراجم التلمسانيين.

رأيت رجلاً نزل من السماء له جناحان، قد وقف على جبل أبي قبيس مشرفًا على مكة، ونادى ذل الشيطان، وبطلت الأوثان، ثم نشر ثوبًا معه، فأهوى نحو المشرق والمغرب، فرأيته قد حال بين السماء والأرض، وسطع نور كاد يخطف بصري، وهالني ما رأيت، وخفق الهاتف بجناحيه، حتى سقط على الكعبة، فقال: ذلَّت الأصنام، وأدت زيغها، وأومأ إلى الأصنام التي على الكعبة فسقطت (٣٩/ب) كلها.

فقال النجاشي: ويحكما، أخبركما بما أصابني إني نائم في تلك الليلة التي ذكرتموها في قبتي وقت خلوتي، إذ بهاتف يقول: حلَّ الويل في أصحاب الفيل، رمتهم الطير الأبابيل، بحجارة من سجيل، ولد النبي الأمي، من أجاب سعد، ومن أبى عند، فذهبت أصيح فلم أطق الكلام، ورمت القيام فلم أطق القيام، فقرعت القبة بيدي، فسمع ذلك أهلي فتبادروا، فأومأت إليهم أن احجبوا عني الناس، فحجبوهم حتى أطلق الله لساني ويدي.

[تنكيس الأصنام]

وقال صاحب الدر المنظم[1]: ذكر أهل السير والمؤرخون لما يجب الاعتناء به من الخبر، أن الأصنام أصنام الدنيا كلها أصبحت في اليوم الذي ولد فيه رسول الله ﷺ منكوسة، وأصبح عرش إبليس قد سقط، فلما رأى ذلك إبليس صرخ صرخة اجتمعت إليه الشياطين، فقالوا: يا سيدنا ما الذي دهاك؟

فقال لهم: هذا محمد بن عبد الله مبعوث بالسيف القاطع، يبطل عبادة

(١) في الفصل الثامن والعشرين: (٧٥/أ)

الأوثان، ويدعو إلى عبادة الرحمن الذي لا نأتي موضعًا من مواضع الدنيا إلا وجدنا فيه ذكره.

[افتخار الأرض على السماء]

ومنها: ما ذكره أيضًا صاحب الدر المنظم[1] قال: روي في بعض الأخبار أن السماء كانت تفخر على الأرض قبل مولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣٠/أ)، فكانت السماء تقول للأرض: إنَّ العرش فيَّ، والملائكة والشمس والقمر والنجوم، وأنت خلو من هذا كله، وكانت السماء لها الفخر على الأرض إلى أن ولد محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فافتخرت به الأرض على السماء.

فقالت: إن كانت الشمس والقمر والنجوم والملائكة فيك، فقد تزيّد على ظهري نبي مبارك، نور العرش من نوره، وعلى ظهري مبعثه ودعوته، وعلى ظهري تستعمل شريعته، فسمع الله عَزَّوَجَلَّ افتخار الأرض على السماء بنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقال: لا جرم حيث افتخرت بحبيبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد جعلت تراب غربك وشرقك طهورًا لأمته المباركة، وجعلت مشرق الأرض ومغربها مساجد ومصلى، ولذلك قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا».

[تخفيف العذاب عن أبي لهب]

ومنها: ما روي عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: كنت مؤاخيًا لأبي لهب، مصافيًا له، فلما مات وأخبر الله عنه بما أخبر، حزنت عليه، وأهمني أمره، فسألت الله حولاً كاملاً أن يرينيه، فرأيته يلتهب في لظى، فسألته

---

(١) (٧٥/ب) مخطوط: الفصل الثلاثون في افتخار الأرض على السماء بمولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عن حاله فقال: إني صرت إلى النار في العذاب الأليم الدائم، لا يخفف عني ولا يروح إلّا ليلة الاثنين من بين الليالي، فإنه يرفع عني العذاب.

فقلت: ولم وكيف (٣٠/ب) ذلك؟

فقال لي: لما ولد محمد ﷺ في تلك الليلة، جاءتني أمة لي فبشرتني بولادة آمنة إياه، ففرحت لمولده، وأعتقت وليدة لي فرحًا مني به، فأثابني الله بذلك أن رفع عني العذاب ليلة كل اثنين.

وهذا خبر ذكره غير واحد[١]، واستدل به من ذهب إلى أن الكافر يخفف عنه بسبب عمل البر، ولا حجة فيه لما تقرر في موضعه.

(رنة إبليس)

ومنها: ما ذكره الخطيب الإمام العلامة أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي الخثعمي[٢]، والإمام أبو الربيع سليمان بن سالم الكلاعي[٣] عن تفسير بقي بن مخلد رحمه الله تعالى أن إبليس لعنه الله رنَّ أربع رنات، رنة حين لعن، ورنة حين أهبط، ورنة حين ولد رسول الله ﷺ، ورنة حين أنزلت فاتحة

---

(١) ذكره السهيلي عزاه له الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ١٧١/٩.
قلت: وأصل القصة أخرجها البخاري في الصحيح: كتاب النكاح ـ باب وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم: ١٩٦١/٥، رقم: (٤٨١٣)، وعبد الرزاق في المصنف: ٢١٢/٧، رقم: (١٣٩٥٥) كلاهما من حديث أم حبيبة موصولاً، أما قصية الاعتاق فهي من قول عروة بن الزبير معلقاً بصيغة الجزم، ووصل ابن سعد في الطبقات: ١٠٨/١، الارسال إلى عروة.

(٢) في الروض الأنف: ١٨١/١.
قلت: أخرجه أبو الشيخ في العظمة: ٤٢٨، رقم: (١١٣٥) وأبو نعيم في الحلية: ٢٩٩/٣، مقطوعاً عن مجاهد.

(٣) في كتابه الاكتفا: ١٦٧/١ ـ ١٦٨.

الكتاب، قال: والرنين والنخار من عمل الشيطان.

[رقبى اليهود لمولد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

ومنها: ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من حديث محمد بن سعد كاتب الواقدي[1] قال: كانت يهود قريظة والنضير وخيبر وفدك يجدون صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يبعث، وأن دار هجرته المدينة، فلما ولد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال أحبار يهود: ولد الليلة أحمد، فلما نبيء، قالوا: نبئ الليلة أحمد، يعرفون ذلك ويقرون به (٣١/أ)، ويصفونه، فما منعهم من متابعته إلّا البغي والحسد، فليلة مولده الشريف كانت معروفة مرتقبة.

[خروج النور]

ومنها: ما ذكره الحافظ أبو سعد عبد الملك بن محمد النيسابوري[2] رحمة الله عليه عن كعب الحبر أنه قال: أذن الله للنور أن يخرج من عبد الله إلى بطن آمنه في شهر رجب، وكان ذلك في ليلة الجمعة، فأمر الله خازن الجنة رضوانًا بأن يفتح أبواب الجنة والفراديس كلها، ونودي في السماء وصفاحها، وبشرت الأرض وبقاعها، بأن النور المكنون المتكون منه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستقر في بطن أمه الذي فيه يتم أمره، ويخرج إلى الناس بشرًا سويًا في شهر ربيع الأول، لاثنتي عشرة ليلة تخلو منه يوم الاثنين إلى خير أمة أخرجت للناس، فيا طوبى لها، ثم يا طوبى لها.

---

(١) في الطبقات: ١٥٩/١ ـ ١٦٠.

(٢) لم أقف عليه بعد طول بحث في شرف المصطفى له، وذكره ابن القطان في كتابه البشائر والاحكام (٢٨/أ) وعزاه لكعب.

ومنها: ما قاله كعب مما ذكره الحافظ أبو سعد[1] المذكور قال: وأصبحت يومئذ يعني يوم الحمل فيه أصنام الدنيا كلها يومئذ منكوسة، مضغوطًا فيها شياطينها، وأصبح عرش إبليس عدو الله منكوسًا، والملك المأمور به قد جعله في مطبق البحار، يغطه مضيق البحار أربعين يومًا، فلما أفلت خرج أسود محرقًا هاربًا إلى جبل أبي قبيس، فصاح، فأحدقت به الشياطين، فعرفهم بما حدث من الحمل الكريم، وما ينتظرونه (٣١/ب) من تغير الأوثان والشهادة بالوحدانية وصعوبة فتنة المسلمين عليهم، فاتفقوا بعد الارتياء على أنهم يأتونهم من قبل الأهواء، وفي ليلة مولده ظهر أثر ذلك.

[صفة الولادة]

ومنها: ما ذكره ابن إسحاق[2] وغيره قال: ويزعمون فيما تحدث به الناس والله أعلم أن آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ كانت تحدث أنها أتيت حين حملت برسول الله ﷺ، فقيل لها: إنك حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض فقولي:

أعيذه بالواحد من شر كل حاسد

وسميه محمدا، ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور، فرأت قصور بصرى من أرض الشام.

وعن ابن إسحاق[3]: أن آمنة رأت في منامها يقال لها: إنك قد حملت

---

(١) في شرف المصطفى: ٣٤٧/١.

(٢) في السيرة: ٩٦/١ ـ ٩٧، ومن طريقه أخرجه البيهقي في الدلائل: ٧٠/١، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ٨٢/٣.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الدلائل: ١٣٦/١، رقم: (٧٨).

بخير البرية، وسيد العالمين، فإذا ولدتيه فسميه، محمدا، فإن اسمه في الزبور: حامد، وفي الإنجيل: أحمد، وتعلقين عليه هذه التميمة، فانتبهت وعند رأسي صفيحة من ذهب مكتوب فيها هذه النسخة:

أعيـــذه بالواحـــد   مـن شـر كـل حاسـدِ
وكـــل خلـــق زائـــد   مـــن قـــائم وقاعـــدِ
عـــن السـبيل حائـــد   علـى الفسـاد جاهـدِ
مـــن نافـــث أو عاقـــد   وكـــل جـــنٍّ مـــاردِ
يأخـذ بالمراصـد (٣٢/أ)   فـــي طـــرق المـــواردِ

أنهاهم عنه بالله الأعلى، وأحوطه باليد العليا، والكف التي لا ترى، يد الله فوق أيديهم، وحجاب الله دون عاديهم، لا يطورونه[١] ولا يضرونه في ليل ولا نهار، ولا مقعد ولا قيام، أولى الليالي وأخرى الأيام، فولدته محفوظًا، وجعلتها عليه ﷺ.

ومن معنى هذه المكرمة المختصة هذه الليلة المعظمة ما ذكره الآجري[٢] عن بنت وهب بن زمعة قالت: كنا نسمع أن آمنة لما حملت برسول الله ﷺ كانت تقول: ما شعرت أني حملت ولا وجدت ثقلاً كما يجده النساء إلّا أني أنكرت رفع حيضتي عني، وأتاني آتٍ وأنا بين النوم واليقظة، فقال لي: هل شعرت بأنك حملت؟ فكأني أقول له: لا أدري! فقال: إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها، فكان ذلك يقر عندي الحمل، فلما دنت ولادتي أتاني ذلك الآتي فقال: قولي: أعيذه بالواحد... إلى آخرها.

---

(١) عند أبي نعيم: لا يطردونه.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات: ٩٨/١.

[تنافس المخلوقات في إرضاعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

ومنها: ما ذكره أبو سعد النيسابوري الحافظ[(١)]، وأبو محمد الحسن بن الفقيه الحافظ أبي الحسن ابن القطان[(٢)] عنه عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن الملائكة لما طافت به ليلة مولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأرضين، ورد على آمنه من بقاع الأرض (٣٢/ب) كلها، من مشارق الأرض ومغاربها، ومن أطباق السماوات، نادى منادٍ من قبل الله تعالى: يا معشر الخلائق، هذا محمد، طوبى لثدي يرضعه، وطوبى لأيدٍ تكفله، وطوبى لبيت يسكنه.

فقالت الطير: نحن أحق بإرضاعه.

وقالت السحاب: نحن أحق بإرضاعه، نحن المسخرات بين السماء والأرض، نحمله يرى الدنيا كلها وزواياها، ويعرف كل شجرة طيبة الثمر أطعمه إياها، وموضع كل عين باردة ونسقيه منها، ونغذوه بعد ذلك بماء المزن حولين كاملين، فناداهم منادي الله تعالى كفوا فإن الله تعالى جعل إرضاعه للآدميين، وأجرى ذلك على يدي حليمة بنت أبي ذؤيب.

فقيل لابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: هل رغبت الطير والسحاب في إرضاع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

قال: نعم، وجميع خلق الله عَزَّ وَجَلَّ إلّا الإنس.

وكان تَطَوُّف الملائكة به، ورجوعهم ليلة مولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حسبما تقدم من سياقه الخبر.

---

(١) في شرف المصطفى: ١/٣٦٣ ـ ٣٦٤، رقم: (١٠٩).

(٢) في كتابه البشائر والأحكام: (٣٥ق) مخطوط.

قلت: وهذه الأخبار وإن كانت وردت وفيها حمله ورضاعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا أنه وقع فيها ذكر مولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[موضع ولادته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

تكملة[1]: كانت ولادته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الصحيح عند أهل السير بالدار التي بمقربة من الصفا (٣٣/أ)، وهي الدار التي تعرف بمحمد بن يوسف الثقفي أخي الحجاج، واشترتها زبيدة، وبنتها وبنت فيها مسجداً، وأبرزت فيها موضع ولادته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي شيء لا يشك فيه، ينقله الخلف عن السلف.

قلت: وقد دخلته مع غير واحد من مشايخنا المكيين وغيرهم، وقل ما يتخلف أحد يوم المولد الكريم عن تعاهده والتبرك به من جميع أهل مكة شرفها الله، وهو يوم مشهود عندهم، والموضع مقصود للدعاء، معروف الإجابة، ظاهر البركة، يسَّر الله علينا تعاهده، ولا حرمنا بذنوبنا منه بفضله وكرمه، وبركة تلك المعاهد المكرمة، والمواضع المشرفة، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

[سوابق بدت قبل ظهوره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

ولنقتصر على هذا القدر من الآيات الواقعة في هذه الليلة الكريمة والمقترنة بها، ولو تتبعناها وما يتعلق بها من الأخبار والتواريخ لاستقل تأليفًا في عدة مجلدات، كما أنا لو ذكرنا ما ورد في شرفه السابق، وشهادة الوجود بفضله، وأنه سره ومعناه، وأن كل مختص من مخلوقات الله عَزَّ وَجَلَّ بفضل وأثره، ففضله صلوات الله عليه أكمل، وذاته المعظمة أبهى وأجمل، فهو خير خلق الله

---

(١) انظر: الروض الأنف: ١/١٨٤.

عمومًا وخصوصًا، ومن تضافرت على تفضيله (٣٣/ب) الأدلة ظاهرة ونصوصًا.

فكم وردت من آيات منبئة عن عناية الله عَزَّوَجَلَّ به، وتشريف مخلوقات بسببه، وسوابق بدت قبل ظهوره، وعجائب مستمدة من نوره، نشير إلى جمل منها، ونعبر بإيماء من الإعلام الجلي عنها، كما جاء من أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان نورًا قبل أن يخلق الله تعالى آدم بأربعة عشر ألف عام[1]، ومعرفة الملائكة به قبل

---

(١) يحسن بنا هنا أن نوقف الباحثين على إسناد حديث جابر المعروف بحديث النور، والذي أنكر كثير من المحدثين وجود إسناد له، وهذا إسناده خرجه الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد التميمي البصري المتوفى في أوائل القرن السادس في كتابه المسمى بتلقيح العقول في فضائل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ٤٢٧/١. رقم: (٤٥٥) قال: أخبرنا أبو القاسم عبد الملك بن علي، قال: حدثنا علي بن هارون، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن سليمان القزويني ببغداد، قال: حدثنا علي بن جعفر الفرغاني، قال: حدثنا إبراهيم بن علي المعري، قال: حدثنا محمد بن عبد الله عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله رحمه الله قال: سألت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلت: يا رسول الله، أول ما خلق الله أي شيء خلق؟

قال: (جعل نور نبيك من قبل أن يخلق الأنبياء بألفي عام، وكان ذلك النور يحوط بالقدرة، فإذا بلغ إلى العظمة سجد، فأصل السجود من ذلك النور، فقسم الله ذلك النور على أربعة أجزاء، فجعل أول جزء منها نور العرش، وجعل من الثاني نور القلم، ثم قال له اجر، فجرى القلم أربعة ألف عام، حتى كتب شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأومأ بالثالث إلى الجنة، وبقي الجزء الرابع، فقسمه على أربعة أجزاء، فجعل من أول جزء منها أنهاها، وأكرامها، وأشرافها وأنورها نور نبيك محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجعل الباقي في أنصار المؤمنين، وجعل الثالث في رؤوس المؤمنين، وجعل الرابع في قلوب المؤمنين، وهو المعرفة، ونور العرش من نور محمد، ونور القلم من نور محمد، ونور أخيار المؤمنين من نور محمد، ونور رؤوس المؤمنين من نور محمد، وعقول المؤمنين من نور محمد، فأي شيء أكرم على الله تعالى من محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسليما)

هذا الحديث بهذا الاسناد يحتاج إلى دراسة متأنية وافية من قبل المعتنين بهذا الفن، ولو كان المقام يسمح للكلام على اسناده من حيث الثبوت أو عدمه لفعلنا، ولكن ليس هنا مجاله ولعلنا في المستقبل نفرد له جزءاً.

خلق آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومعرفة آدم به بسماعه لتسبيحه في أسارير جبهته، ونصوعه نورًا في وجهه، وأخذ العهد عليه به، ورؤيته له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإيمانه به، وظهور بركته على شيث، وأخذ العهد عليه به، وأخذ العهد به على انوشر، وما ظهر له من العجائب والخوارق، وكذلك على زوجه وعلى مينان ومن بعدهما من الولد، ثم ظهور نوره على إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما ظهر له من العجائب، ثم انتقال نوره إلى نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وظهور بركته عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما ظهر فيه عن ظهوره على قومه، وانتصاره عليهم، وعند نجاته من إذايتهم، وما ظهر له في السفينة وعند استوائها على الجودي، ثم ما ظهر لهود عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ببركته، وما أعطاه الله عَزَّ وَجَلَّ من القوة والظهور والبسطة (٣٤/أ)، ثم ظهوره لإبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ورفوعه له، وظهور بركته عليه، ثم على إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعلى ولده قيدر، وما خاطبته به الوحوش والسباع والطير، ثم ظهوره ليعقوب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومعرفته به، وانتقال نوره من أب لابن، ومعرفة الجن والإنس به إلى أن انتقل إلى والده عبد الله في أخبار متعددة، وآثار مشهورة ذكرها صاحب انتقال النور[1] وغيره مروية عن علي بن الحسين بن علي عن أبيه عن جده رضوان الله عليهم، وعن عبد الله بن عباس، وعن كعب وعن غيرهم، أفردت في معانيها تصانيف.

وما ظهر لجده عبد المطلب قبل وجوده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتهيئة الوجود لولادته، واستقباله ليلة استهلاله، وما عمَّ العوالم من بركة تلك الليلة الشريفة صلوات الله عليه وسلامه، ثم ما خصه الله به بأن جعله وسيلة الأنبياء قبله، فبه

---

(١) تأليف محمد بن عمر الواقدي، عزاه له الحافظ أبو محمد الحسن بن القطان الفاسي في كتابه البشارة والإحكام وانظر كذلك المجلد الأول من كتاب شرف المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للحافظ أبي سعد الواعظ النيسابوري المعروف بالخركوشي، وكذلك المجلد الأول من الخصائص الكبرى المسماة بكفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للحافظ السيوطي تجد هذه الروايات مذكورات.

توسل آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فقبلت توبته، وأجيبت دعوته، وبه نصر الله نوحًا على قومه، وأخرجه من السفينة لما توسل به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وببركته قال الله تعالى في قصة خليله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الانبياء: ٦٩] وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وقذف بي في النار (٣٤/ب) في صلب إبراهيم) إلى غير ذلك من هذا النمط حسبما جاء ذلك في أخبار متضافرة في المعنى.

[أخذ العهد على الأنبياء]

ثم ما جاء من إيمان جميع الرسل والأنبياء به، وأخذ العهد عليهم في الإيمان به ونصرته، وعصمة الله له من المهالك، وما جاء في قصة أبيه الذبيح حين نذر عبد المطلب ذبحه، وما اشتملت عليه تلك القصة من العصم والعجائب، كابتهال جبريل حينئذ، وإسرافيل، واضطراب السماوات والأرضين ومن فيهن، وعصمة الله عَزَّ وَجَلَّ آباءه وانتقاله من الأصلاب الطيبة والأرحام المطهرة[1].

[أخبار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الكتب القديمة]

وما جاء في الكتب المنزلة من ذلك من ذكره وصفاته كنصوص التوراة في غير ما موضع، ونقل الأحبار لما ترجموه منها، ونقل ما جاء في الإنجيل من النصوص الصريحة، والآيات الموضحة، والصفات البينة، وما أقرَّ به من ذلك رهبان النصارى وعلماؤهم، وما نص عليه الحواريون وكبراؤهم، وما جاء عن نصارى نجران في ذلك حسبما ذكره أهل السير والخبر، وذكره في الزبور كذلك اسمًا ونعتًا وسيرة وخبرًا، حسبما ترجمه المترجمون له، ونقله الخلف عن

---

(١) انظر: رسائل الحافظ السيوطي في نجاة الأبوين الشريفين.

السلف، فما هو أجلى من الشمس ومن يهدي الله فما له من مضل، ومن يضلل الله فما له من هاد.

ثم ما جاء من معرفة جماعة (٣٥/أ) به من الأمم الماضية في القرون السالفة كقصة بختنصر في رؤياه، وإيمان تُبع الأكبر كذلك به، وما نقل في قصته من الأعاجيب، وإيمان تبع الأصغر كذلك به، وما وقع من التبشير به إذ ذاك، وما وقع من تبشير لؤي بن غالب به وهاشم وغيرهما، حسبما أورده أهل السير والخبر(١).

[صورته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأنبياء قبله]

ومن ذلك ما وجد من صورته مصورة في الزَّمن المتقادم والأعصر السوابق كلوح الرخام الذي وجد فيه صورته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واسمه، لما عزم مهلهل على إهلاك قبائل ربيعة، فنهضت إلى أرض تهامة، وهلاك مهلهل ببركة ذلك اللّوح.

وكوجود صورته في تابوت آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، واسمه وصورته التي رآها جبير بن مطعم في دير من ديارات النصارى في حديث عجيب ذكره ابن القطان(٢)

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن إسحاق، ودلائل النبوة لأبي نعيم والبيهقي، وشرف المصطفى للخركوشي وغيرها من كتب السير.

(٢) في البشائر والاحكام: (٢٤ ـ ٢٥/أ) مخطوط، وهو عند الآجري في كتاب الشريعة: ٤٥١، وأخرجه البيهقي في الدلائل: ٢٨٦/١ بسنده إلى جبير بن مطعم يقول: (لما بعث الله عَزَّوَجَلَّ نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وظهر أمره بمكة خرجت إلى الشام، فلما كنت ببصرى أتتني جماعة من النصارى فقالوا لي: أمن الحرم أنت؟ قلت: نعم، قالوا: أفتعرف هذا الذي تنبأ فيكم؟ قلت: نعم، قال: فأخذوا بيدي فأدخلوني ديراً لهم فيه تماثيل وصور، فقالوا لي: انظر هل ترى صورة هذا النبي الذي بعث فيكم؟

فنظرت فلم أر صورته، قلت: لا أرى صورته، فأدخلوني ديراً أكبر من ذلك الدير، وإذا فيه=

وغيره وصورته التي رآها أبو سفيان عند ملك الرُّوم وهم يتوارثونها ويعظمونها[١].

ومن ذلك ما وجد في بلاد الأندلس عند فتحها، وذلك أنّه كان بالأندلس بيت لا يدرى ما فيه، وكان كل ملك يلي يضرب عليه قفلاً، فلما ولي لذريق رام أن يعرف ما فيه، فنهاه العقلاء عن ذلك، وأشاروا عليه بأن يزيد قفلاً عليه كما فعل من قبله، فخالفهم ففتحه، فوجد فيه (٣٥/ب) صورًا كصور العرب، ووجد كتابة فيها: إذا فتح هذا البيت، ملك أصحاب هذه الصور هذه البلاد.

ذكره أهل فتح الأندلس[٢]، والقاضي أبو الفضل[٣] في العيون الستة، ومثل ذلك وجد في طينة قاعدة بلاد الزاب في القديم.

ومنها ما وجد عند ملك الصين، وذلك أنَّ رجلاً من قريش من ولد هبار

= تماثيل وصور أكثر مما في ذلك الدير، فقالوا لي: انظر، هل ترى صورته؟

فنظرت فإذا أنا بصفة رسول الله ﷺ وصورته، وإذا أنا بصفة أبي بكر وصورته وهو آخذ بعقب رسول الله ﷺ، وقالوا لي: هل ترى صفته؟

قلت: نعم، قالوا: أهو هذا؟ وأشاروا إلى صفة رسول الله ﷺ، قلت: اللهم نعم، أشهد أنه هو، قالوا أتعرف هذا الذي أخذ بعقبه؟

قلت: نعم، قالوا: نشهد أن هذا صاحبكم، وأن هذا الخليفة من بعده.

رواه البخاري في التاريخ الكبير: ١/١٧٩، رقم: (٥٤٥) مختصراً، وعنه قوام السنة الأصبهاني في دلائل النبوة: ٩٤، رقم (٧٩).

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة: ١/٢٨٧ ـ ٢٩١، وأبو القاسم الأصبهاني في دلائل النبوة: ٩١ ـ ٩٤، رقم: (٨٨) بإسنادهما إلى أبي أمامة الباهلي عن هشام بن العاص فذكره، وهو حديث طويل عجيب فقف عليه وانظره.

(٢) ذكره ابن القوطية في تاريخ افتتاح الأندلس: ٣٣.

(٣) هو القاضي عياض بن موسى اليحصبي صاحب الشفا.

بن الأسود خرج من البصرة إلى بلاد الهند، ولم يزل ينتقل فيها إلى أن وصل إلى بلاد الصين، وما زال يتوسل إلى أن بلغ إلى ملك الصين بعد أن أعلم الملك أنه من بيت النبوءة في العرب، فأمر بالبحث عن صحة نسبه، فلما تحققه أمر بإيصاله إليه، وقال للترجمان: سله عن منزلة الملوك عندهم، فلم يدر، فوصف له الملك أخبار الملوك وصفاتهم، ثم ذكر النبي ﷺ وقال له: أتعرف صاحبك إن رأيته ـ يعني النبي ﷺ ـ؟

قال: فقلت: فكيف لي برؤيته؟

قال: فأمر بسفط[(١)]، فأخرج، ووضع بين يديه، وتناول درجًا، فأخرج له صور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وصورة نبينا محمد ﷺ، ذكر القصة بطولها غير واحد[(٢)].

ومنها ما ذكره الواقدي[(٣)] أنه وقع في بلاد الشام مثل ذلك، ووجد في بيت هناك والله أعلم (٣٦/أ).

ومنها ما ذكره أبو محمد الشقراطيسي في كتاب الإعلام[(٤)] من حديث ابن لهيعة وهو المحدث المشهور قاضي مصر، وللناس في حديثه كلام لخصه بعض أشياخنا المصريين من المحدثين في ثلاثة أقوال:

---

(١) السفط: الذي يعبى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء، والسفط معروف، قال ابن سيده: السفط كالجوالق والجمع أسفاط.
انظر: لسان العرب: ١٠/١٨٧.

(٢) ذكرها المسعودي في مروج الذهب: ١/١٤٢ ـ ١٤٥، ضمن حادثة طويلة.

(٣) في كتابه فتوح الشام: ٢/٦٣.

(٤) واسمه: الإعلام بشواهد الأعلام لنبوة سيدنا محمد عليه السلام لأبي محمد عبد الله بن أبي زكريا الشقراطيسي، ذكره له أبو شامة المقدسي.

ثالثها: ما حدث به قبل احتراق كتبه فهو مقبول، وذلك لغفلة عرضت له مما وجد على باب القصر الكبير الذي يقال له: باب الريحان.

ومنه فتح باب الحصن، صنم من نحاس على خلقة الجمل، وعليه راكب عليه عمامة متكئًا على قوس غربية... وساق القصة بكمالها، وجاء من ذلك كثير.

[أخبار الكهان]

ومن ذلك ما جاء من أخبار الكهان كتباشير شق[1]، وسطيح، وشافع وغيرهم من الكهان، وتبشير الموؤودة ـ وهي السوداء بنت زهرة ـ به حين وضعت في حفرتها.

وحديث بلوقيا الإسرائيلي[2] العجيب السياقة، وخبره في جولانه الأرض وتطوافه بها، وما أطلعه عليه من أخباره ﷺ وشرفه وخصائصه، وخصائص أمته ونجاته من المهالك ببركته ﷺ، وشهادته بالحق، وسماعه شهادة ملك الليل والنهار بلا إله إلّا الله، محمد رسول الله، وملك الريح والبر، وملك قاف، وغيرهم من الملائكة عليهم الصلاة والسلام.

ومن (٣٦/ب) ذلك معرفة الملوك به قبل ظهوره وإطلال زمانه، كمعرفة الفرس به والحبشة والروم وملوك الأرضين، وذكرهم له، وإعلامهم بظهوره ﷺ، ومعرفتهم بصفته ووطنه، وموضع مولده وزمنه، ومهاجره، وصفات أمته حسبما توارثوا، علم ذلك عن أسلافهم.

---

(١) رواه ابن إسحاق في السيرة: ١/٢٢ ـ ٢٥، ومن طريقه أبو سعد في شرف المصطفى: ١/١٢٨ ـ ١٣٣، رقم: (٦).

(٢) أخرجه أبو سعد في شرف المصطفى: ١/١٣٧ ـ ١٥٧، رقم: (١٠) بإسناده.

[وجود اسمه ﷺ على العرش]

ومن ذلك ما وجد من كتب اسمه ﷺ كما وجدت صورته فيما قدمناه قبل، فاسمه ﷺ مكتوب في العرش[1] فعنه ﷺ: (لما أسرى بي إلى السماء إذا على العرش مكتوب لا إله إلا الله، محمد رسول الله).

وما جاء[2] أنَّ الله تعالى لما خلق العرش اضطرب فكتب عليه لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فسكن.

وأن آدم عليه السلام لما توسل به إلى الله في قبول توبته وغفران خطيئة فقال الله عز وجل له: من أين عرفت محمداً؟

فقال: (رأيت في كل موضع من الجنة لا إله إلا الله، محمد رسول الله)[3].

---

(١) أخرجه البزار في مسنده من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كما في كشف الأستار: ٣/١٦٢ ـ ١٦٣، رقم (٢٤٨٢).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣/٥١٦، رقم: (٤٢٨٥) موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وكذلك الخلال في كتاب السنة: ١/٢١٠ ـ ٢١١، رقم: (٣١٦)، وأبو الشيخ ابن حيان في طبقات المحدثين بأصبهان: ٣/٢٨٧.

(٣) و هو الحديث المشهور المعروف بحديث توسل آدم بالنبي ﷺ الذي رواه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب آيات رسول الله ﷺ التي في دلائل النبوة: ٣/٥١٧، رقم: (٤٣٨٦)، والطبراني في المعجم الأوسط: ٥/٣٦، رقم: (٦٥٠٢)، والمعجم الصغير: ٢/٨٢، والبيهقي في دلائل النبوة: ٥/٤٨٩، كلهم من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف، لكن للحديث شواهد منها الحديث الذي أخرجه أبو الحسن ابن بشران بإسناد (جيد لا بأس به) كما قال الإمام الصالحي في كتابه سبل الهدى والرشاد: ١/٨٦، أو بإسناد: (قوي) كما قال شيخنا الإمام الحافظ السيد عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري رحمه الله تعالى في كتابه الرد المحكم المتين:=

وفي رواية[١]: طفت في السماوات فلم أر موضعًا إلَّا رأيت فيه اسم محمد ﷺ مكتوبًا عليه، ولقد رأيته مكتوبًا على نحور الحور العين، وعلى ورق طوبى، وعلى ورق سدرة المنتهى.

وكما روي[٢] أنه مكتوب على باب الجنة لا إله إلا الله، محمد رسول الله، لا أعذب (٣٧/أ) من قالها.

وما روي[٣] من المكتوب في سفينة نوح عليه الصلاة والسلام لا إله إلا الله،

= ١٣٩، من حديث الصحابي الجليل ميسرة، قال ابن بشران: حدثنا أبو جعفر محمد بن عمرو قال حدثنا أحمد بن إسحاق بن صالح قال حدثنا محمد بن صالح حدثنا محمد بن سنان العوقي قال حدثنا إبراهيم بن طهمان عن بديل بن ميسرة عن عبد الله شقيق عن ميسرة قال قلت يا رسول الله: متى كنت نبياً؟

قال ﷺ: (لما خلق الله الأرض واستوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وخلق العرش، كتب على ساق العرش: محمد رسول الله خاتم الانبياء، وخلق الله الجنة التي أسكنها آدم وحوا، فكتب اسمي على الأبواب، والأوراق، والقباب، والخيام، وآدم بين الروح والجسد، فلما أحياه الله تعالى نظر إلى العرش فرأى اسمي، فأخبره الله تعالى أنه سيد ولدك، فلما غرهما الشيطان، تابا واستشفعا باسمي إليه).

أخرجه ابن النعمان بإسناده إلى أبي الحسن بن بشران به في كتابه مصباح الظلام: ٢٦ ـ ٢٧، وقد ساقه ابن تيمية في مجموع الفتاوى: (١٥٠/٢) مستشهدا به من طريق ابن الجوزي في الوفا إلى ابن بشران بالسند المذكور آنفاً والمتن.

قلت للحديث أيضاً شواهد موقوفة منها ما أخرجه ابن أبي الدنيا في كتابه الإشراف: ٣٠، رقم ٢٤ عن عبد الله بن مسعود، ومقطوعة منها ما أخرجه الآجري في كتاب الشريعة: (٤٢٢ ـ ٤٢٤) من حديث أبي الزناد.

(١) أخرجه أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم الختلي في كتابه الديباج: (٥٧) بإسناده إلى كعب الأحبار، وهو واه جداً كما قال الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في كتابه جامع الآثار.

(٢) ذكرها الحافظ ابن القطان في كتابه البشائر والإعلام: (٢٥ق) مخطوط.

(٣) ذكرها الحافظ ابن القطان في كتابه البشائر والإعلام: (٢٥ق) مخطوط.

محمد رسول الله.

وما روى[١] من أنه مكتوب في لوح من ذهب تحت جدار الغلامين اليتيمين في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢].

قال ابن عباس: لوح من ذهب مكتوب فيه: عجبًا لمن آمن بالقدر كيف ينصب، عجبًا لمن أيقن بالنار كيف يضحك، عجبًا لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، أنا الله لا إله إلا أنا، محمد عبدي ورسولي[٢].

وكما ذكر أنَّه وجد في الحجارة القديمة مكتوب: لا إله إلا الله، محمد رسول الله تقي مصلح، وسيد أمين[٣].

وحديث عبد الله بن خفاف وما وجد من اسمه ﷺ وصفته في تميمته الذي عرض له في طريق اليمامة[٤].

وما جاء من أن وَرْدًا في بلاد الهند أحمر مكتوب فيه بالأبيض: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وورداً أبيض مكتوب فيه بالأصفر: براءة من الرحمن الرحيم إلى جنات النعيم، لا إله إلا الله، محمد رسول الله[٥].

---

(١) ذكرها الحافظ ابن القطان في كتابه البشائر والإعلام: (٢٥ق) مخطوط.

(٢) أخرجه الخرائطي في قمع الحرص عزاه له السيوطي في الخصائص الكبرى: ١/٧، والبيهقي في الزهد الكبير: (٥٤٤).

(٣) ذكر هذه الآثار الحافظ أبو محمد ابن القطان في كتابه البشائر والإحكام: (٢٥/أ - ٢٦) مخطوط.

(٤) ذكر هذه الآثار الحافظ أبو محمد ابن القطان في كتابه البشائر والإحكام: (٢٥/أ - ٢٦) مخطوط.

(٥) ذكر هذه الآثار الحافظ أبو محمد ابن القطان في كتابه البشائر والإحكام: (٢٥/أ - ٢٦) مخطوط.

وعن جعفر رضي الله عنه وكان نقش إبراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم، لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أفوض أمري إلى الله، وألجأت ظهري إلى الله، فأوحى الله إليه تختم بهذا، فإني أجعل عليك النار بردًا وسلامًا (٣٧/ب)[١].

وما روي عن جعفر أيضًا رضي الله عنه قال: كان خاتم نوح عليه السلام لا إله إلا الله، محمد رسول الله[٢].

وما روي عن الحسن البصري رضي الله عنه أن نقش خاتم داود عليه السلام لا إله إلا الله، محمد رسول الله[٣].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن نقش خاتم سليمان عليه السلام لا إله إلا الله، محمد رسول الله[٤].

قلت: كان نقش خاتمه صلى الله عليه وسلم: محمد رسول الله، محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر، على ما رويناه في الصحيح[٥].

ومن ذلك ما روي عن بعضهم أنه قال: كنت على شاطئ البحر، فجاء غلامي بسمكة فنظرت إلى بياض شحمة أذنيها فإذا في إحداهما مكتوب: لا إله إلا الله، وفي الأخرى: محمد رسول الله[٦].

---

(١) ذكره الحافظ أبو محمد ابن القطان في كتابه البشائر والإعلام: (٢٦ق) مخطوط.

(٢ - ٣ - ٤) ذكر هذه الآثار الحافظ العزفي في كتابه الدر المنظم في مولد النبي المعظم: (٥٢) مخطوط.

وانظر: السنة للخلال: ١/١٥٦، رقم: (٢٠١)، والخصائص الكبرى للسيوطي: ١/٧ - ٨. وأحكام الخواتيم لابن رجب ففيها ذكر بعض هذه الآثار مخرجة من غير وجه.

(٥) أخرجه البخاري في الصحيح: ٥/٢٢٠٥، رقم: (٥٥٣٩)، ومسلم في الصحيح: (٢٠٩٢) كلاهما من حديث أنس بن مالك.

(٦) ذكره الحافظ ابن القطان في كتابه البشائر والإعلام: (٢٦/ب) مخطوط، وقد أخرجه=

[مشاهدات للمؤلف تحتوي على عجائب]

ومن ذلك ما وجد من كتب اسمه الكريم مفردًا في كثير من الأحجار والحيوانات وشاهدت منها بعضًا، لقد رأيت في حدود ما يقارب الأربعين وسبعمائة بمدينة فاس، وتكررت رؤيته بتلمسان المحروسة، رجلاً من أبناء مراكش من صنف الغزو[1] من أولاد الأكراد حسن الخلق، والناس يتوارونه ويتحدثون بخبره المستفيض، ويتكرر ذكر شأنه في مجلس ملك المغرب، وأن عنقه مكتوب فيه بخط مجود محمد من جنس اللحم بحمرة غريبة، ويذكرون أن أخاه بهذه المثابة مكتوب أيضًا (٣٨/أ) في عنقه في الموضع الذي وقع فيه الكتب من عنق أخيه.

قلت: وذبح في حدود سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة عنز بزاويتنا ـ بالعُبَّاد ظاهر تلمسان المحوطة زاوية مقام سيدنا أبي مدين رضي الله عنه ـ فلما أخرجت أحشاؤه وجد في كبده مكتوب بالأحمر القاني العجيب الذي نَعَر[2] من الجهة الأخرى ما هذه صفته: مُحَمَّدٌ، كتبًا والله وضبطًا، فجيء به إلى عمي وصنو أبي رحمة الله عليهما وهو مع سائر الأحشاء، فأحضر القاضي والشهود والملك، وكتب به رسم وذلك بحضرة شيخنا الإمام العلامة أبي موسى بن الإمام، وفقهاء تلمسان، وجعله في صوان من قطن وخرق وغيرها، وبعث به إلى مدينة سبتة المحروسة فارس، وكان سلطان المغرب رحمة الله عليه بها، فوصل به فتناولته من يد

= أبو الحسن بن البنا في كتابه (مناقب الأبرار فيما وجد على الأبنية والأحجار من طرائف الحكم والأشعار) بإسناده إلى عبد الرحمن بن هارون، ذكره الحافظ ابن ناصر الدين في جامع الآثار: ٣١٧/١.

(١) كذا بالأصل.

(٢) نعر العرق أي فار الدم منه. انظر: الصحاح: ١٠٥٢.

موصله وهو على حاله لم يتغير، إلّا أنه جفَّ من رطوبته، وبقي على حاله خطًا واضحًا وضبطًا بينًا، وهذا آخر العهد به.

[ ][1] المفاخر المحمدية الذي [ ][2] في قضية الجدي الذي ظهر بمدينة توزر سنة أربع وتسعين وستمائة، وكانت له (٣٨/ب) غرة بيضاء، وفيها مكتوب بخط بيّن بالسواد محمد مجود الحروف، وأن شاة ذبحت في بعض البلاد فوجد في شحم بطنها بالأحمر: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، واسم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكرر.

قال: ووجد في تونس حوت يعرف بالفاجوج، مكتوب في جانبه الأيمن بالحمرة: لا إله إلا الله، وفي الجانب الأيسر: محمد رسول الله.

قال: وسيقت لملك مصر دابة وحش في جانبها الأيسر على الفخذ مكتوب بالأسود: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

[عجائب أخرى يسوقها صاحب كتاب مناقب الأبرار]

وفيه أن صاحب مناقب الأبرار[3] حكى أن خوخًا في بعض البلاد فيه مكتوب بالخضرة: لا إله إلا الله في جانب، ومحمد رسول الله في جانب، من خارج إلى داخل، يتصل الخط بالعظم.

---

(١) بياض بالأصل مقداره: سطران ونصف السطر، وسقط من النسخة الأخرى المخطوطة المرموز لها بـ (ب) مقدار ورقة.

(٢) سقط مقدار كلمتين.

(٣) الذي يظهر أن الكتاب لأبي علي الحسن بن عبد الله بن البنا، وتمام اسم الكتاب: (مناقب الأبرار فيما وجد على الأبنية والأحجار من طرائف الحكم والأشعار)، ذكره ابن ناصر الدين في جامع الآثار: ٣/٣٦٩.

وفيه أن دباء ظهرت في توزر[1] سنة ظهور الجدي فيها مكتوب: محمد عيسى، ومشيمته فيها مكتوب: محمد، وتفاحة كذلك، وأن شجرة تفاح ظهرت بسبتة في سائر ثمرها مكتوب بالأحمر: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

وفي قبلة بيت المقدس حجر أبيض فيه مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم، محمد رسول الله خضرة حمرة، ورخامة كانت بجامع قرطبة فيها مكتوب بالأسود وهي بيضاء: محمد، وفي رخامات عدة مثل ذلك في بلاد شتى.

وفي السارية التي عن يمين المحراب (٣٩/أ) بجامع الزيتونة من تونس المحروسة: محمد لا إله إلا الله.

قلت: وبصحن المسجد الكائن بدرب ابن عون بمقربة من حمام ارفع رأسك سارية فيها مكتوب: محمد، بخط بيّن، وحجة بخط ملفق، ومحمد مكي، بخط ملفق.

وذكر في هذا التأليف في هذه الأنواع غرائب، وهو تأليف بديع، وتصنيف رفيع، جمع محاسن من هذا الباب، وضم ما هو عبرة لأولي الألباب، والآيات المحمدية أبهر، والمعجزات النبوية الباقية المستمرة أظهر، وحسبنا الله وكفى.

وإنما أوردت هذه الجمل إشارات وعيونًا تبركًا واستطردًا، وإعلامًا بأن بسطها وأمثالها لو جمع في عدد أسفار لم تف به، وأن الذي ينبغي أن يذكر في هذا المقتضب بعض ما اشتهر من الآيات والعلامات المختصة بليلة المولد، والمقارنة للولادة الكريمة، وأن سرَّ هذه الأمور ظهور ولادته ﷺ،

---

(١) وهي مدينة في جنوب تونس في بلاد الجريد. انظر: الحلل السندسية في الأخبار التونسية: ١/٤٠٤ ـ ٤٠٦.

ووجود ذاته الكريمة، وظهور مكنونه، وعموم الرحمة بولادته، وأنه لا شيء من الزمان يعدل تلك الساعة وتلك الليلة وشرفهما، فشرف كل زمان بحسب ما أضيف إليه، وفي هذه المقتضبات مقنع في الباب، ودلالة على أنها قطرة من عباب.

وقد أوردت جملاً منها مسندة موعبة مفصلة فيما عنيت به من شرح الشفا (٣٩/ب) بتعريف حقوق المصطفى للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى ﷺ في محالها، وأرجو من الله الذي لا يخيب من قصده أن ييسر في تكملة باقيه، وأن ينسئ الأمل فيه[١].

هذا آخر هذا الباب الثاني الذي وعدنا به، واقتصرنا فيه على هذه النبذة وإن قلّت، والصبابة وإن شفت، وبالله الاستعانة، وعليه التوكل والاعتماد في كل حال.

** ** **

---

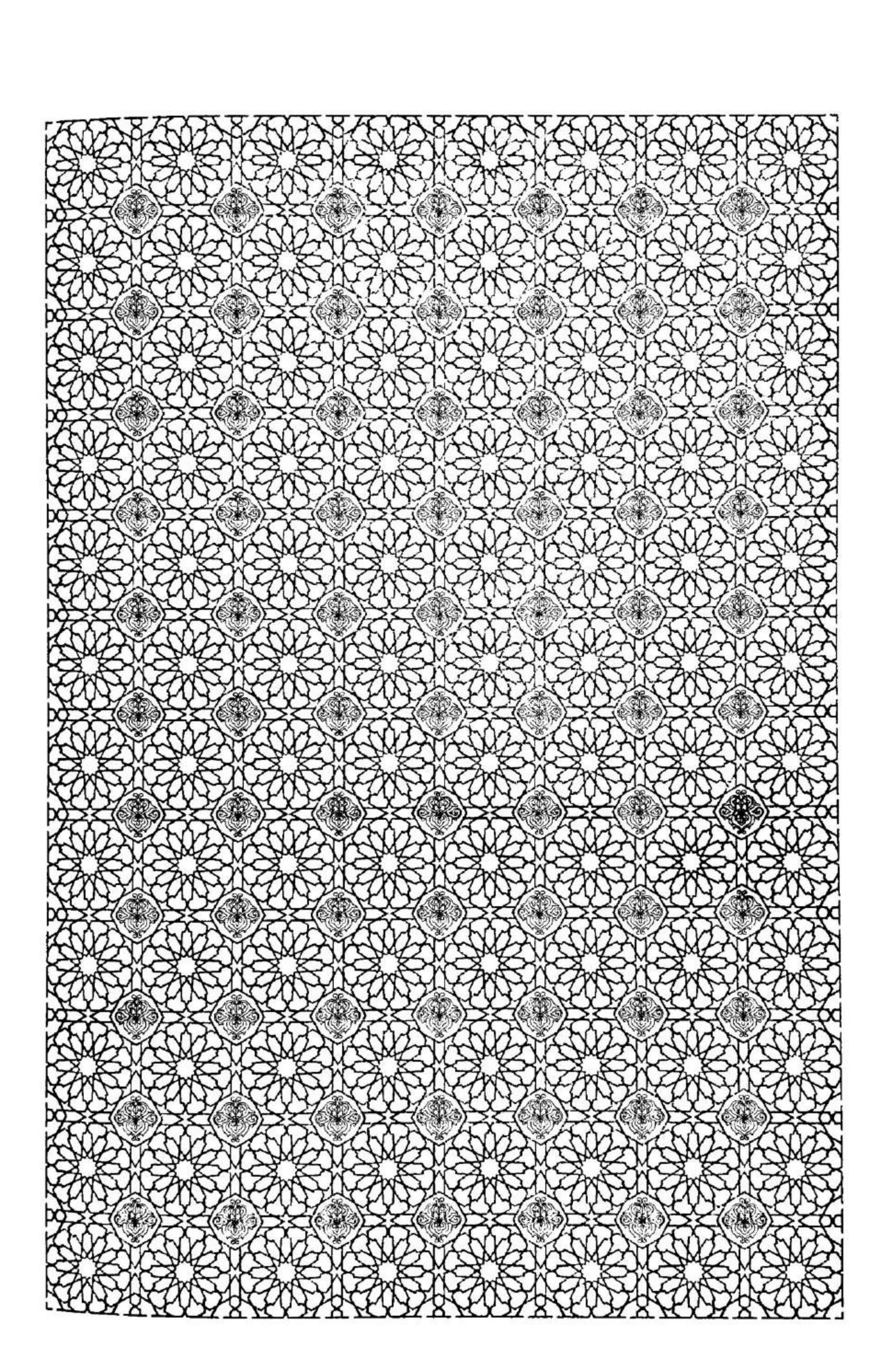
(١) المسمى: (بوح الخفافي شرح الشفا) توجد منه نسخة خطية في مكتبة غوطة تقع في خمس مجلدات.

انظر: المناقب المرزوقية القسم الدراسي: ٨٥.



البَابُ الثَّالِثُ

في الغرض المقصود من الجواب عن المسألة المسئول عنها



وفيه فصول

منها: ما يتعلق بمعاني الألفاظ المحتاج إليها في تحقيق المسألة وغير ذلك.

الأول
في مادة (شررف)

اعلم أن هذه المادة في اللغة موضوعة للعلو، قال الجوهري[1]: الشرف العلو، والمكان العالي، وقال الشاعر:

آتي النـدي فـلا يُقَـرّب مجلسـي وأقـود للشـرف الرفيـع حمـاري

يقول: إني خرفت فلا يشفع برأيي، وكبرت فلا أستطيع أن أركب من الأرض حماري إلا من مكان عالٍ، ورجل شريف، والجمع شرفاء وأشراف، مثل: يتيم وأيتام، وقد شرُف بالضم فهو شريف [اليوم][2]، وشارف عن قليل أي سيصير شريفًا ذكره الفراء، قال: ويقال: تشرّف بكذا أي عده شرفًا.

فهذا أصل هذه المادة (٤٠/أ)، فمن علا نسبه أو منصبه كان شريفًا بهذا الاعتبار، وبهذا جرى هذا الاسم المنتسب للعمود الطاهر النبوي الحسني والحسيني، إلّا أنه استعمال عرفي، فهو جارٍ عليه حقيقة عرفية، فمتى أجري على غيره لم يصح، ومتى تعمَّد سبه أو تنقيصه والنسب صحيح وادعى لمدعي إرادة غيره من مدلوله اللغوي فلا يعوَّل عليه، بهذا أفتى علماء المغرب، وهو خلاف ما رأيته لبعض أئمة العصر، وما نقل عن شيخنا أبي عبد الله بن

(١) في الصحاح: ٥٤٣ ـ ٥٤٤.
(٢) ما بين المعقوفتين لا يوجد بالأصل، وما أثبته من الصحاح.

عبد السلام[1] رحمة الله عليه من أن هذا الاشتهار غير مألوف في القديم وفصيح.

وقد سمعت صاحبنا الفقيه العلامة أبا عبد الله محمد بن أحمد العلوي الحسني التلمساني[2] يستشكل رسمه على المهيع المعروف في الرسوم والتعاريف.

والظاهر عندي والله أعلم أنه من الحقائق الجلية التي لا تحتاج إلى رسم كما قيل في غير موضع من العقود الفقهية، والتكاليف العملية، والله أعلم.

الثاني

في مادة (ف ض ل)

وموضوعه لغة ما كان خلاف النقص، قال الجوهري[3]: «والفضيلة خلاف النقص والنقيصة والإفضال والإحسان، ورجل مفضال، وامرأة مفضالة على قومها، إذا كانت ذات فضل سمحة، والمتفضل أيضًا الذي يدعي الفضل على أقرانه، ومنه قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ [المؤمنون: ٢٤]، (٤٠/ب) وأفضلت منه واستفضلت بمعنى، وفضلته على غيره تفضيلاً إذا حكمت له بذلك، أو صيرته كذلك، وفاضلته ففضلته إذا غلبته بالفضل»، انتهى.

---

(١) هو محمد بن عبد السلام الهواري التونسي، قاضي الجماعة، وشيخ الإسلام، له شرح عظيم على ابن الحاجب الفرعي توفي سنة: (٧٤٩هـ).
انظر ترجمته: كفاية المحتاج: ٢/ ٤٦١، ونيل الابتهاج: ٢/ ٥٩ ـ ٦٠.

(٢) و هو الشريف التلمساني صاحب كتاب مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، الإمام المحقق النظار، نشأ بتلمسان، وأخذ عن مشيختها، واختص بأولاد الإمام ثم ارتحل إلى تونس والتقى بابن عبد السلام، وأخذ عنه العلم ولده محمد، والشاطبي، وابن خلدون وغيرهم، توفي سنة: ٧٧١هـ.
انظر ترجمته: البستان: ٢٣٥ ـ ٢٥٧.

(٣) في الصحاح: ٨١٥.

فعلى هذا إنما يقال فيما يحكم بأفضليته على الغير فضله بفتح الضاد يفضله، خلافًا لمن ضبطه بكسرها من كبار العلماء، وإنما حكى الجوهري الكسر في الفاضل من الشيء، يقال فيه: فضل منه وفضل يفضل في الأول بالضم، ويفضل في الثاني بالفتح.

الثالث

مادة: (قدر)

وإن كان قد سبق ما للأئمة المفسرين فيه قال في الصحاح[1]: «قدر الشيء مبلغه، وقدر الله وقدره بمعنى، وهو في الأصل مصدر، وقال تعالى: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الحج: ٧٤] أي ما عظموا الله حق تعظيمه، والقَدَر والقَدْر أيضًا ما يقدره الله سبحانه وتعالى من القضاء، وأنشد الأخفش:

ألا[2] يا لقومي للنوائب والقدر ... وللأمر يأتي المرء من حيث لا يدري

ويقال: ما لي عليه مقدرة ومقدرة ومقدرة أي قدرة، ومنه قولهم: المقدرة تذهب الحفيظة، ورجل ذو مقدرة أي ذو يسار».

وأما من القضاء والقدر فالمقدرة بالفتح لا غير.

وقال الهذلي:

وما يبقى على الأيام شيء ... فيا عجبًا لمقدرة الكتاب (٤١/أ)

فهذه الألفاظ الثلاثة يحتاج إلى معرفة موادها ومعانيها وموضوعها لغة.

* * *

(١) للجوهري: ٨٤١.

(٢) في الأصل: أيا وما أثبته من الصحاح.

الفصل الثاني

في أفضلية بعض الأزمان على بعض بحسب ما تختص به لا بذواتها

وهذا مما لا تنازع فيه بين أهل العلم، وهو قطعي حسبما أشار إليه عز الدين[1]، فقد دلَّت الأدلة على تفضيل شهر رمضان جملة على غيره، وتفضيل ليلة القدر منه على غيرها من لياليه، كما دلَّت الأدلة على تفضيل أشهر الحج على غيرها من الأشهر، ويوم عرفة على غيره من أيامها، ويوم الجمعة على تفضيل أيام الأسبوع، والساعة فيه على غيرها من ساعاته إلى غير ذلك من الأزمان لخصوصيات منها ما هو ظاهر، ومنها ما لم يظهر، لكنا نعلم أنه لخصوصية الله عَزَّوَجَلَّ أعلم بها كما سيأتي، وهذا مما يحتاج إلى تقريره لتوقف مسألتنا الخاصة عليه يظهر ذلك في بسط أوجه الأدلة الموروودة وتقريرها إن شاء الله تعالى.

** ** **

(١) في كتابه قواعد الأحكام: (٤٩) في فصل: تفاوت أجور الأعمال مع تساويها باختلاف الأماكن والأزمان.
قال: (اعلم أن الأماكن كلها متساوية، وتفضلان بما يقع فيهما، لا بصفات قائمة بهما، ويرجع تفضيلهما إلى ما ينيل الله العباد فيهما من فضله وكرمه...).

الفَصْلُ الثَّالِثُ

فيما يفضل من بعض الأزمان على بعض

اعلم أن فضل الأزمنة ـ كما سبق ـ تارة يكون لما يختص به من الأعمال المقررة فيها والمقدرة بحسبها كشهر رمضان، فإنه فضل غيره من الأشهر باختصاصه بالصيام والقيام، ويوم الجمعة لما ورد فيه من الخير، واختصاصه بالتجميع (٤١/ب)، ولا كذلك يوم عرفة، فإنا لا نفقه موجب اختصاصه بعمل المختص به دون أيام العشر، وكذلك اختصاص أشهر الحج من بين سائر أشهر السنة، فإنا لا نفقه وجهه، والأيام كلها لله عَزَّوَجَلَّ.

وكذلك اختصاص بعض الأمكنة المفضلة بعمل دون عمل، كاختصاص الحجر بالتقبيل، ولهذا أشار الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1] في قوله: أما أني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبلك ما قبلتك، على أنَّه روي أن باب العلم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2] أجابه بما أجاب به، وأبدي له

(١) أخرجه البخاري في الصحيح: ٥٧٩/٢، رقم: (١٥٢٠).
ومسلم في الصحيح: كتاب الحج: (١٢٧٠).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: ١٠٩/٢ ـ ١١٠ رقم: (١٧٢٥) من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد ضعيف جداً من طريق أبي هارون العبدي عمارة بن جوين متروك ومنهم من كذبه. انظر التقريب: (٤٨٤٠)، ولفظه: قال أبو سعيد الخدري: حججنا مع عمر بن الخطاب، فلما دخل الطواف استقبل الحجر فقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولو لا أني رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبلك ما قبلتك، ثم قبله، فقال له علي بن أبي=

من الحكمة في ذلك ما أبدى، على أنها زيادة لم تثبت عن علي ثبوت المأثور عن عمر رضي الله عنه حسبما عرف ذلك في كتبه، والله أعلم.

فثبت إذًا أن ما ثبتت أفضليته منه ما علمنا من جهة الخبر سبب التفضيل فيه، ومنه مالا نعرفه من الأزمنة والأمكنة، أما فضيلة المساجد المشرفة الثلاثة فقد علمنا من الأدلة القرآنية، والأخبار النبوية، موجب أفضليتها: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٩٦]، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الاسراء: ١] ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤] إلى غير ذلك، والأحاديث في الباب مشهورة (٤٢/أ) معروفة وإن كانت حكمة الاختصاص فيها أولاً لا نفقهه.

** ** **

= طالب: بلى يا أمير المؤمنين إنه يضر وينفع، ثم قال بكتاب الله تبارك وتعالى قال: وأين ذلك من كتاب الله؟ قال: قال عزوجل: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) خلق الله آدم، ومسح على ظهره فقررهم بأنه الرب وأنهم العبيد، وأخذ عهودهم ومواثيقهم، وكتب ذلك في رق، وكان لهذا الحجر عينان ولسان، فقال له: افتح فاك قال: ففتح فاه فألقمه ذلك الرق، وقال: اشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة، وإني أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يؤتى يوم القيامة بالحجر الأسود وله لسان ذلق يشهد لمن يستلمه بالتوحيد).

فهو يا أمير المؤمنين يضر وينفع، فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أباحسن.

الفَصْلُ الرَّابِعُ

تقرر فيما تقدم أنَّ الأزمان تارة توصف بالفضل للمعنى الذي اختصت به من العمل المقدر فيها، وتارة توصف بالفضل للشرف المختص بها، وليلة القدر مما أبدي فيها موجب الشَّرف، ووجهه حسبما قدمناه مما نص عليه محكم القرآن، وما جاءت به الأخبار الصحيحة المأثورة عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وشرف ليلة مولده صلوات الله وسلامه عليه غير خفي أنها شرفت بولادة خير الخلائق وأكرمها، وأزكى البرية وأشرفها، وخاتم الأنبياء وسيد الرسل وسر الوجود ومعناه، ووسيلة الأنبياء المرسلين وإمام الملائكة والنبيين، ورحمة الله للعالمين، وأفضل الخلائق أجمعين صلوات الله عليه وعلى آله الأكرمين، وصحبه المنتخبين، وسلم عليه وعليهم.

** ** **

الفَصْلُ الخَامِسُ

من الباب الثالث

ليعلم الناظر فيما سطرناه، الواقف على ما أوردناه، المناظر لا بعين الانتقاد ما قررناه، الملاحظ بعين الإنصاف ما مهدناه، أني لم أقصد علم الله فيما تعرضت لتسطيره، ونهضت لتقريره، إلا الاستفادة والإرشاد، (٤٢/ب) وأن أعرض عليكم معشر الفضلاء ما سنح لتنظروه لا بغرض الانتقاد، مع إبداء ما ظهر من وَهْم أو ذهول، ومخالفة للمعروف من منقول، أو المعهود من معقول، وإني علم الله لم أقصد التظاهر عليكم بالخلاف وأطلب إلا ما عرف منكم ويليق بكم من الإنصاف.

وها أنا بحول الله أشرع في بسط الدليل، وتمهيد القصد والسبيل فيما إليه قصدت، وإياه من الأخيار نصرت، والأمر المطاع فيه امتثلت، وبالله عَزَّوَجَلَّ استعنت، وعليه سبحانه توكلت وبقول الأول تمثلت:

أئمتنا عطفًا علينا فإننا ... بنا ظمأ برح وأنتم مناهل

أفيدوا من فوائدكم، أفيضوا صبابة من مواردكم، انظروا نظر التأمل، تأولوا أحسن التَّأول، فأولاً ابتدئ بتحرير الدعوى، وتقرير المدعى، إذ هو الأول في المباحث والأولى.

فأقول في علمكم رضي الله عنكم: إنَّ هذه المسألة عُدِمَ النص فيها

لعلمائنا صريحًا فيما وقفنا عليه، ووصلنا بعد الاستقصاء والبحث إليه، فحق على من قاده العقل السليم، لسلوك المنهج القويم (٤٣/أ)، ويعلم من نفسه القصور والتقصير، أن لا يسلك مسلك الخطر والتغرير، فالمسألة ذات مداحض إلّا أن تكتنف العصمة، ومهامه إلّا أن تكتب السلامة، فلا بد فيها من تحرير الدعوى، وتخليصها من شغب الاختلاف، وتميزها من شعب الميل والانحراف، فأقول والله المستعان:

[الفائدة المجنية من بحث هذه المسألة]

النظر أولاً في الإقدام على الجواب عن هذه المسألة إذ لقائل أن يقول: هذه مسألة لا نصَّ فيها على تفضيل زمن على زمن، ونحن مقلدون فنقف عن الإقدام على الجواب فيها، لأنا نقول: قد قررنا فيما أسلفناه أن الأزمنة بالذَّات متحدة لا شرف لأحد أفرادها على الآخر، وإنَّما الشَّرف باعتبار ما وقع فيها والنظر فيه، وهذا هو سبيل الأخذ فيها.

○ **فإن قال**: إنَّ الجواب عن هذا السؤال غير لازم لأنَّه لا يتعلق بحكم اعتقادي ولا عملي، فالأخذ فيه خوض فيما لا يعني وهو منهي عنه.

◉ **قلت**: بل يتعلق به أحكام مثل ما تقدم لنا ذكره في ليلة المولد، كما إذا وقع تعليق الطلاق أو العتق أو غير ذلك على أفضل ليلة في السنة، فعلى الناظر في الفتوى أن ينظر في ذلك نظرًا يستوعب فيه أوجه المأخذ في فضل الليلتين معًا على المألوف من عوائد الأئمة المتصدرين في كل قطر للفتوى على مذهب (٤٣/ب) إمام من الأئمة.

وأيضًا فالجواب فيها متعين لوجوب طاعة من قلد الله أمرهم مع ما ظهر

فيه من المصلحة المعتبرة شرعًا.

○ **فإن قال**: لسنا من أهل الاجتهاد، ولا ممن يقرر الأحكام التي تعدم فيها النصوص لعدم الأهلية، وهذه مسألة اجتهادية، فلا نعرض لها بوجه.

⊙ **قلت**: ليس هذا من باب تقرير الأحكام، ولا من قبيل استنباطها، وإنما هو من باب استقصاء الأدلة، واستثمارها، لينظر فيها، وهو حظ الطالب المستفيد، فالبحث فيها إنما هو في إبداء الأمارات، وتقرير الدلالات الدَّالة على شرف كل ليلة منها، وقوة إحدى الجهتين بما يقوى به دليل ما تميزت به وذلك غير محجور ولا محذور.

○ **فإن قال**: ما يتمسك به المستدل منحصر في النص والإجماع والقياس، ولا نص في الأفضلية، ولا إجماع، ولا قياس.

⊙ **قلنا**: أما الأولان فصحيح، وأما القياس فتراه في بابه إن شاء الله، وبقي عليك ما يتمسك به المستدل من الاستدلال بطريق التلازم وطريق التنافي، **فالأول ثلاثة أنواع**:

١ ـ استدلال بالمعلول على العلّة.

٢ ـ وعكسه.

٣ ـ وبأحد المعلولين على الآخر.

والثاني ثلاثة:

١ ـ تنافٍ بين الحكمين وجودًا وعدمًا.

٢ ـ وتنافٍ بينهما وجودًا فقط.

٣ ـ وعكسه. (٤٤/أ)

وما تقرر في الترجحات بين الأدلة والأمارات، وسترى مالا يخرج عن هذه الأصول إن شاء الله تعالى.

○ **فإن قال:** ليس هذا من النوع الذي لا يدخله القياس عند الجمهور خلافًا للحنفية ومن قال بقولهم في الحدود والكفارات، ولا من باب القياس في الأسباب، فمن أي أنواع القياس هو؟

◉ **قلنا:** ستراه إن شاء الله في موضعه، فإذا وقفت عليه فاسلك في الرد عليه السبيل المعروف من القدح والاعتراض.

○ **فإن قال:** إذا عدمت أصول الدلالة لم يبق إلا الاستحسان، وهو إذا لم يستند لمسلك من مسالك الأدلة محذور.

قلنا: إنما اعتمدنا المسالك المستندة بالأدلة الشرعية المعتمدة على الأخبار الصحيحة، والأمارات المرجحة، وهي سبيل العلماء الذي لا يجهل.

○ **فإن قال:** المسألة توقيفية فلا يدخلها الاجتهاد والرأي.

◉ **قلنا:** التوقيف فيما شرفت به كل ليلة فيما اختصت به من عمل ولا سبيل لنا إليه أو القطع بتفضيل أحدهما على الأخرى، وأما الوصول إلى غلبة الظن في المدعى فغير بعيد لمن أجاد النظر، واستفرغ الوسع في الاستقصاء جهده والاستقراء فلسنا نأخذ فيها مأخذ الاجتهاد والرأي المأخوذ في استنباط الأحكام.

○ **فإن قال:** إحدى الليلتين ثبت فيها من الأدلة القرآنية والأخبار النبوية ما لم يثبت في الأخرى (٤٤/ب)، ومن شرط النظر فيما أشرت إليه تقارب المستند.

⊙ **قلنا:** الأدلة التي أشرت إليها الواردة في ليلة القدر ورد في ليلة المولد الشريف ما يقاومها بل يشف مما دل عليه التواتر المعنوي الذي لا نزاع فيه، وقد قدمناه في ذلك، فإذا تقرر وتحرر القصد والنظر.

فنقول: الكلام في الاستدلال على المطلوب في وضعين باعتبارين:

* **الأول:** في إيراد ما استدل به.

* **الثاني:** في إيراد ما أتوقع وروده عليَّ وجوابي عنه بحول الله تعالى.

** ** **

أما الفصل الأول

[الأدلة على أفضلية ليلة المولد]

فنقول: الدليل على ما نختاره من أثرة ليلة المولد بالمعنى الذي قدمناه من وجوه:

* **الأول**: إنَّ الشرف حسبما قدمناه هو العلو والرفعة، وهما نسبتان إضافيتان، فشرف كل ليلة بحسب ما شرفت به، وليلة المولد شرفت بولادة خير خلق الله عَزَّوَجَلَّ، فثبت بذلك أفضليتها بهذا الاعتبار.

* **الثاني**: إنَّ ليلة المولد ليلة ظهوره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليلة القدر معطاة له حسبما قدمناه، وما شرف بظهور ذات المشرف من أجله أشرف مما شرف بسبب ما أعطيه، ولا نزاع في ذلك، فكانت ليلة المولد بهذا الاعتبار أشرف.

* **الثالث**: إنَّ ليلة القدر إحدى ما منحه من شرفت ليلة المولد بوجوده من المواهب (٤٥/أ) والمزايا وهي لا تحصى كثرة، وما شرف بإحدى خصائص من ثبت له الشرف المطلق لا يتنزل منزلة المتشرف بوجوده، فظهر أن ليلة المولد أشرف بهذا الاعتبار وهو المطلوب.

* **الرابع**: إنَّ ليلة القدر شرفت باعتبار ما خصت به، وهو منقضٍ بانقضائها إلى مثلها من السنة المقبلة على الأرجح من القولين، وليلة المولد شرفت بمن ظهرت آثاره، وبهرت أنواره أبدًا في كل فرد من أفراد الزمان إلى انقضاء الدنيا.

* **الخامس**: إنَّ ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها، وليلة المولد شرفت بظهور النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها، ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممن شرفت بهم ليلة القدر على الأصح المرتضى، فتكون ليلة المولد أفضل من هذا الوجه وهو المطلوب.

* **السادس**: الأفضلية عبارة عن ظهور فضل زائد في الأفضل، والليلتان معًا اشتركتا في الفضل بتنزل الملائكة فيهما معًا حسبما سبق مع زيادة ظهور خير الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ليلة المولد، ففضلت من هذا الوجه على القولين جميعًا في المفاضلة بين الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

* **السابع**: إنَّ ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة عليهم الصلاة والسلام وانتقالهم من محالهم من الأعلى إلى الأرض، وليلة المولد (٤٥/ب) شرفت بوجوده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وظهوره، وما شرف بالوجود والظهور أشرف مما شرف بالانتقال.

* **الثامن**: ليلة القدر فضلت باعتبار عمل العامل فيها، فأنت إذا قدرت أهل الأرض كلهم عاملين فيها فلا يلحقون قدر من شرفت به ليلة المولد ولا يلحقون عمله في لحظة وإن كان في غيرها فثبتت أفضلية ليلة المولد بهذا الاعتبار.

* **التاسع**: شرفت ليلة القدر بكونها موهبة لأمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عناية به عَلَيْهِ السَّلَامُ، وشرفت ليلة المولد بوجود من وهبت ليلة القدر لأمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعتناء به فكانت أفضل.

* **العاشر**: ليلة القدر وقع التفضل فيها على أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليلة المولد الشريف وقع التفضل فيها على سائر الموجودات، فهو الذي بعثه الله عَزَّ وَجَلَّ

رحمة للعالمين فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فعمت به النعمة على جميع الخلائق، فكانت ليلة المولد أعم نفعًا بهذا الاعتبار، فكانت أشرف وهو المطلوب.

* **الحادي عشر**: ليلة المولد فضلت غيرها من ليالي السنة بولادته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فإنك تقول فيها ليلة مولد محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وتقول في ليلة القدر ليلة القدر، وهو إما الشرف وإما التقدير، والإضافة (٤٦/أ) في ليلة المولد إضافة اختصاص، وهي أبلغ من الإضافة إلى مطلق المشرف، فكانت أفضل بهذا الوجه وهو المطلوب.

* **الثاني عشر**: ليلة القدر إما ليلة الشرف أو ليلة التقدير، فهي وإن كان التقدير فيها من لوازمه شرفها باعتباره، وليلة المولد ليلة شرف عام لا امتراء فيه، فيثبت فضل ليلة المولد وهو المطلوب.

* **الثالث عشر**: ليلة القدر إنَّما يحظى بها العامل فيها فمنفعتها قاصرة، وليلة المولد متعدية منفعتها، وما كانت منفعته متعدية أفضل من غيره وهو المدعى.

* **الرابع عشر**: ليلة القدر ثبت في فضلها ما ثبت مما قدمناه إلّا أنه عرض فيها ما عرض من الخلاف في البقاء والرفع وإن ضعف، وليلة مولده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ شرفها باقٍ لما سنذكره بعد إن شاء الله تعالى، فكانت أفضل بهذا الاعتبار.

* **الخامس عشر**: المدعى أن ليلة المولد أفضل، ويدل عليه بأن نقول: زمن شرف بولادته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وإضافته إليه واختص بذلك فليكن أفضل الأزمنة قياسًا على أفضلية البقعة التي اختصت به ولحده عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بين أطباقها على سائر الأمكنة، وقد فضلتها إجماعًا فليكن الزمن الذي اختص بولادته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ

أفضل الأزمان (٤٦/ب) بهذا الاعتبار.

* **السادس عشر**: ليلة القدر فرع ظهوره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليلة المولد أصل ظهوره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والفرع لا يقوى قوة الأصل، ففضلت ليلة المولد بهذا الاعتبار وهو المطلوب.

* **السابع عشر**: ليلة المولد حصل فيها من الفيض الإلهي النوراني ما عمَّ الوجود، ووجوده مقارن لوجوده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يقع ذلك إلّا فيها، فوجب فضلها على غيرها وهو المدعى.

* **الثامن عشر**: ليلة المولد أظهر الله فيها سرَّ وجوده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي ارتبطت به السعادات الأخروية على الإطلاق، واتضحت الحقائق وتميز به الحق من الباطل، وظهر ما أظهره الله تعالى في الوجود من أنوار السعادة وسبيل المراشد، وافترق به فريق الجنة من فريق السعير، وتميز وعلا به الدين، وأصبح الكفر وهو الحقير، إلى غير ذلك من أسرار وجود الله عَزَّ وَجَلَّ في مخلوقاته، وما بهر الوجود من آياته ولم يثبت ذلك في ليلة من ليالي الزمان، فوجب بذلك تفضيلها بهذا الاعتبار وهو المطلوب.

* **التاسع عشر**: وهو تنويع في الاستدلال وإن كان معنى ما تقدم وهو أنا نقول: لو لم تكن ليلة المولد أفضل من ليلة القدر للزم أحد أمور ثلاثة وهي:

١ ـ إما تفضيل الملائكة (٤٧/أ) على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢ ـ أو العمل المضاعف.

٣ ـ أو التسوية.

وكلها ممتنع، أما الأول: فعلى الصحيح المرتضى، وأما الثاني والثالث

فباتفاق، وبيان الملازمة أن التفضيل في الأولى حصل بولادته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي الثانية: إما بنزول الملائكة أو العمل.

* **العشرون:** بعض زمن ليلة المولد الشريف هو زمن ولادته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكل زمن ولادته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل الأزمنة، فبعض ليلة المولد أفضل الأزمنة، وإذا فضل بعضها سائر الأزمنة فضلت ليلة القدر بهذا الاعتبار.

* **الحادي والعشرون:** أفضل الأزمنة زمن ولادته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا شيء من زمن ولادته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بليلة القدر، فلا شيء من أفضل الأزمنة بليلة القدر، وينعكس إلى قولنا: لا شيء من ليلة القدر بأفضل الأزمنة، وهذا إبطال لدعوى الخصم[1].

** ** **

(١) علق بالهامش بأن هذا من القياس وهو من الضرب الثاني من الشكل الأول من كليتين، والكبرى سالبة، أنتج سالبة كلية.
وهو كذلك: انظر: المطلع شرح إيساغوجي لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري: ١٤٠.
ومثل له: كل جسم مؤلف. (موجبة كلية صغرى)
ولا شيء من المؤلف بقديم. (سالبة كلية كبرى)
النتيجة: فلا شيء من الجسم بقديم. (سالبة كلية)

المقام الثاني

فيما أقدر وروده على الأدلة التي استدللت بها وما أقدر الاستدلال به على خلاف ما صرت إليه

❖ **النوع الأول: وفيه أبحاث:**

اعلم أن الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ بعينها لا ينبغي أن يختلف في تفصيلها على كل ليلة من الليالي على الإطلاق باعتبار الواقع فيها، وإنما الكلام في تفضيل (٤٧/ب) ما وافقها من ليالي السنة، وهذا هو الذي ينظر فيه مع ليلة القدر.

○ **فإن قلت:** دلَّ الدليل على أن ما تختص به ليلة القدر موجود في كل سنة على القول المشهور من بقائها وعدم رفعها، ولم يثبت في ليلة المولد ما يوجب اعتبارها في كل سنة، فوجب تفضيل ليلة القدر.

◉ **قلت:** دلَّ الدليل على مراعات فضلها باعتبار تكرر زمنها حسبما رويناه في صريح الصحيح وهو ما حدثنا به شيخنا الإمام شمس الدين ابن القماح[1] ثنا رضي الدين إبراهيم بن مضر الواسطي[2] ثنا أبو الكنى منصور بن عبد المنعم

---

(١) أبو المعالي محمد بن أحمد بن إبراهيم شمس الدين ابن القماح، القرشي، الشافعي، المصري، له تفسير القرآن، توفي سنة: (٧٤١هـ).
انظر ترجمته: ذيل التقييد: ١/٤٦ ـ ٤٧، والدرر الكامنة: ٣/٣٩١.

(٢) ورضي الدين هو أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن مضر المصري المعروف بابن مضر=

الفراوي[1][2] ثنا الإمام أبو عبد الله محمد بن الفضل الصاعدي الفراوي[3] ثنا الإمام عبد الغافر الفارسي ثنا أبو أحمد الجلودي حدثنا إبراهيم بن سفيان الفقيه ثنا مسلم ثنا زهير بن حرب حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا مهدي بن ميمون عن غيلان عن عبد الله بن معبد عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين؟

فقال: «فيه ولدت، وفيه أنزل عليَّ».

أخرجه مسلم[4]، وفي طريق: «وفيه بعثت، أو أنزل عليَّ فيه»[5].

ورويناه في سنن النسائي[6] من طريق ابن الأحمر وهي الطريق التي انفرد بها المغاربة على حسب ما قررناه في برنامج المرويات (٤٨/أ)، وفي كتاب: «عجالة المستوفز المستجاز في ذكر من سمع دون من أجاز بالمغرب ومصر والشام والحجاز»، وخرجه من طريق [أبي] قتادة هذا، وعنه أخرجه العزفي[7]

= التاجر، توفي سنة: (٦٦٤هـ).

انظر ترجمته: ذيل التقييد: ٢٤١/١ ـ ٢٤٢. الشذرات: ٣١٥/٥.

(١) بالأصل: المغراوي، والصواب ما أثبتناه بناء على ما هو موجود في كتب التراجم.

(٢) وأبو الكنى هو أبو الفتح، وأبو القاسم، وأبو بكر، المسند الجليل، حدث عن أبيه، وجده، وجد أبيه، وحدث عنه: ابن نقطة، وابن الصلاح وخلق كثير، توفي سنة: (٦٠٨هـ).

انظر ترجمته: التقييد: ٤٥٤ ـ ٤٥٦، وسير أعلام النبلاء: ٤٩٤/٢١، والشذرات: ٣٤/٥.

(٣) و هو الإمام الحافظ، سمع من البيهقي، والقشيري، وغيرهما، وعنه حدث ابن عساكر وغيره، يعرف بفقيه الحرم، توفي سنة: (٥٣٠هـ).

انظر ترجمته: التقييد: ١٠٢ ـ ١٠٣، سير أعلام النبلاء: ٦١٥/١٩، الشذرات: ٩٦/٤.

(٤) في الصحيح: كتاب الصيام: (١١٦٢/١٩٨).

(٥) مسلم في الصحيح: كتاب الصيام: (١١٦٢/١٩٧).

(٦) أخرجه النسائي في السنن الكبرى: ٢٦٠/٤، رقم: (٢٩٨٥).

(٧) في كتابه الدر المنظم: (١٤/أ) مخطوط.

وغيره فليراجع.

◉ **فقلت:** ثبت بهذا الحديث استمرار أفضلية ليلة المولد وصبيحتها، فشرفها باقٍ، ورعي زمنها ثابت إذ لا نزاع في صحة الحديث، ولا يرد عليه شيء من الأسئلة الواردة على المتون مما تقرر عند الأصوليين وأهل النظر، فالحاصل في ليلة القدر حاصل فيها مع مزية عدم الاختلاف الموجود في ليلة القدر، وهذا أدل دليل على ما ذهبنا إليه، والمنة لله عَزَّوَجَلَّ.

○ **فإن قلت:** ليلة القدر اختصت بأعمال لم توجد في ليلة المولد، وذلك يدل على كونها أفضل أو أشرف.

◉ **قلت:** الأعمال التي اختصت بها ليلة القدر، وإن كانت شريفة مشرفة إلّا أن ما اختصت به ليلة المولد المشرف أعم نفعًا، فإن ثمرة العمل في ليلة القدر إنما يعود بالنفع على العامل فقط دون غيره، وليلة المولد عاد نفعها على كل الخلائق كما سبق.

○ **فإن قلت:** ليلة القدر أنزل فيها القرآن إلى سماء الدنيا، ونجم نزوله بعد على النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بحسب الوقائع، وتقرير الأحكام وهو معنى قوله تعالى (٤٨/ب): ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] فوجب تفضيلها على غيرها.

◉ **قلت:** أما كلام الله تعالى القديم فلا يوصف بالنزول، ولا يوصف بالاستقرار، وإنما المستقر الألواح المشتملة على الألفاظ الدَّالة على المعنى القديم التي نزل بها الروح الأمين على سيد المرسلين صلوات الله عليه وعليهم، وقد نزلت مفصلة على النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، واستقرت بين دفتي المصحف متلوة لنا، ولله الفضل والمنة.

فالموهبة فيها كانت لنبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حيث إنها من جملة ما أنعم به عليه عَلَيْهِ السَّلَامُ لا لأجل الليلة بعينها، فكانت ليلة المولد المكرم أشرف بهذا الاعتبار.

○ **فإن قلت**: ليلة القدر شرفت باعتبارات:

١ ـ منها: أنها في رمضان.

٢ ـ ومنها: نزول القرآن فيها إلى سماء الدنيا كما تقرر.

٣ ـ ومنها: تنزل الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إلى الأرض للسلام على أهل الإيمان.

⊙ **قلت**: وكلها من خصائص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمته، فهو أصل المواهب وسبب فيض الخيرات والرغائب.

○ **فإن قلت**: ليلة القدر تتنزل فيها الملائكة للسلام على كل مؤمن ومؤمنة حسبما جاء ذلك في بعض الأخبار، وهذه مزية عظيمة لاخفاء بها، وخصوصية كبيرة لم تحصل في ليلة المولد (٤٩/أ) فكانت أشرف.

⊙ **قلت**: الثابت من ذلك كله ما نص عليه الكتاب في محكم الذكر وهو نزول الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام، وما جاء من الاختلاف في السلام هل هو بمعنى التحية أو السلامة أو غير ذلك مما أوردناه في فضله عن أئمة التفسير فتقدم موضحًا.

وأما ما ذكر من غير ذلك مما أورده المفسرون وغيرهم من تنزلهم على صور مختلفة، وبألوية مختلفة مركوزة في مواضع بتحية مخصوصة، فليست أحاديثها بالمعتمدة الصحة في الاستدلال كما سبق، فلم يبق إلّا نزولها عَلَيْهَا السَّلَامُ ليلة القدر، وذلك لا ينفي نزول الملائكة ليلة المولد لمثل ذلك والله أعلم.

وأيضًا: فإنَّ اختصاص ليلة القدر بتنزل الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هو لسلامهم على القائمين بها، العاملين فيها، كما جاء ذلك صريحًا في الأخبار المشار إليها، وذلك لا يوجب أفضلية ليلة القدر على ليلة المولد، إذ لا يمتنع اختصاص المفضول بخاصية لا توجد في الأفضل، كما في كثير من الأزمنة والأمكنة والأعمال.

○ **فإن قلت**: قد جاء أنَّ خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، وهو ثابت في الصحيح[1]، فدل على أنَّ يوم الجمعة أفضل الأزمان، فيفضل ليلة المولد.

⊙ **قلت**: هذا السؤال مشترك الإلزام بيني وبين من أدعى (٤٩/ب) غير ما ادعيته ثم لي أن أتبرع.

فأقول: الجواب عنه من أوجه:

* **الأول**: إنَّ الكلام في الليلة لا في اليوم، ولا يلزم من كونه أفضل الأيام أن يكون أفضل الليالي.

* **الثاني**: إنَّ موجب أفضليته نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي ولادة آدم فيه عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقبول توبته، وهبوطه إلى الأرض، وقيام الساعة فيه، فالمراد بالخيرية وجود هذه الأشياء، ووقوعها فيه، وأنها لم توجد إلّا فيه.

وأنت إذا نظرت إلى هذه الأمور وخبرتها، وجدت نور رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فائض عليها، فهو سر وجود آدم، وبالتوسل به إلى ربه قبلت توبته، وقيام الساعة رحمة لأمته لئلا يطول مقامهم، ولبثهم تحت الأرض حسبما

(١) أخرجه مسلم في الصحيح: (٨٥٤).

جاءت بذلك الأخبار الثابتة المأثورة عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* **الثالث:** إنَّه العيد الذي اختصت به هذه الأمة من أيام الجمعة كاختصاص اليهود بالسبت، والنصارى بالأحد، فهو من المواهب والرغائب التي منحها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيعود من القول فيه ما قدمناه في ليلة القدر، فاندفع السؤال، وإن كان غير وارد والله أعلم.

○ **فإن قلت:** ويرد عليك أيضًا يوم عرفة، فقد جاء فيه (٥٠/أ) ما رويناه في الصحيح[1] عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قوله: «ما رؤي الشيطان يومًا هو فيه أحقر ولا أدحر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وذلك لما يرى من تنزل الرحمة، وتجاوز الله عَزَّ وَجَلَّ عن الذنوب العظام» الحديث بكماله، فدل على أنه أفضل الأزمان، فيكون أفضل من ليلة المولد.

◉ **قلت:** الجواب عنه من وجهين:

* **الأول:** ما تقدم جوابًا أنَّ الكلام في الليلة لا في اليوم.

* **الثاني:** إنَّه من المواهب والرغائب المنعم بها عليه وعلى أمته صلوات الله وسلامه عليه كما تقدم قبله.

○ **فإن قلت:** وهي هدية أهديها لك أيها المنازع، لكني لما لزمني من الصدع بالحق والنصح لقصدي علم الله لظهور فائدة وأداء ما تحملت مما علمت وتعلمت أنصها عليك، ويغلب على ظني أنك لا تعثر عليها إلّا من كلامي، وهي أن الشيخ محي الدين يحيى بن مري النووي الشافعي شيخ أشياخي قال ما نصه مما كتبه في طرة على كتاب: رياض الصالحين من تأليفه ونقلته إلى أصلي

(١) أخرجه مالك في الموطأ: ٥٦٤/١، رقم: (١٢٦٩).

من هذا الكتاب من خطه: ليلة القدر أفضل ليالي السَّنَة، خصَّ الله بها هذه الأمة، وهي باقية إلى يوم القيامة.

وهي طرّة كما قدمناه، والأصل بطرره مروي.

فنقول: هذا نص أو قريب منه يدل على أفضلية (٥٠/ب) ليلة القدر على ليلة المولد لكونه قال فيها: أفضل ليالي السنة، وليلة المولد منها.

◎ **قلت**: هذا الذي قاله هذا الشيخ وإن كان من العلماء المشاهير والمحدثين المعتمدين إلّا أنه لم يذكر ذلك نقلاً ولا رأيًا، وكيف ما كان فلا تقوم علينا حجة، لأنه قال: خص الله بها هذه الأمة، فهي من المواهب المنعم بها على هذه الأمة عناية بنبيها ﷺ، وقد تقدم الاستدلال غير مرة بهذا على أنَّ ليلة المولد أشرف.

وأيضًا فإنه إنَّما أراد أفضليتها على سائر الليالي لما اختصت به من العمل، فهي أفضل الليالي التي تكثر فيها المثوبات وتتضاعف فيها الأعمال، ولهذا وصل بهذا الكلام ما ورد فيها وفي تعيينها، ونحن لا ننازع فيما اختصت له من العمل، وإنما الكلام في شرفها على ليلة المولد مع قطع النظر عن العمل، ولا دليل يدله على ذلك.

○ **فإن قلت**: قد ذكر الإمام عز الدين ابن عبد السلام ما يدل على اختصاص ليلة القدر بما لم تختص به ليلة سواها، ومن نصه في موضع من قواعده[1]: تفضيل الأماكن والأزمان [ضربان:

* **أحدهما**: كتفضيل الربيع على غيره من الأزمان، وكتفضيل بعض

(١) قواعد الأحكام: ٤٩.

البلدان على بعض بما فيها من الأنهار والثمار، وطيب (٥١/أ) الهواء وموافقة][١] الأهواء.

* الضرب الثاني: تفضيل ديني راجع إلى أنَّ الله يجود على عباده فيها بتفضيل أجر العاملين فيها كتفضيل رمضان على سائر الشهور، وكذلك يوم عاشوراء وعشر ذي الحجة، ويوم الاثنين والخميس، وشعبان، وستة أيام من شهر شوال فضلها راجع إلى جود الله وإحسانه [إلى عباده فيها.

وكذلك فضل الثلث الأخير من كل ليلة، راجع إلى أن الله سبحانه][٢] يعطي فيها من إجابة الدعوات، ومغفرة الزلات، وإعطاء السؤل، ونيل المأمول، مالا يعطيه في الثلثين[٣] الأولين، وكذلك اختصاص عرفة بالوقوف، ومنى بالرمي فيها، وبين الصفا والمروة بالسعي فيه، مع القطع بتساوي الأماكن والأزمان.

وقال في موضع آخر[٤]: (وليس يبعد من تفضل الرب سبحانه أن يأجر على أقل العملين المتجانسين أكثر مما يأجر على أكثرهما، كما فضل أجر هذه الأمة مع قلة عملها على أجر اليهود والنصارى مع كثرة عملهم، وكما فضل الله أجر الفرائض على ما يساويها من النوافل، طولاً على من يشاء من عباده، وكما أنَّ قيام ليلة القدر موجب لغفران الذنوب مع مساواتها لقيام ليلة من ليالي رمضان، وكذلك العمل في ليلة القدر خير من العمل في ألف شهر مع التساوي، وكذلك الصلاة في المسجدين أفضل منها في سائر المساجد مع

(١) يوجد بياض بالأصل، أثبته من ب.
(٢) سقط بين ما بين المعقوفتين من الأصل وب وما ذكرته من قواعد الأحكام.
(٣) في الأصل وب: الليلتين بدل الثلثين، وما أثبته من قواعد العز.
(٤) قواعد الأحكام: ٣٦ ـ ٣٧.

تساويها في جميع ما شرع فيها.

فإذا كانت الحسنة في ليلة القدر أفضل من ثلاثين ألف حسنة في غيرها مع أن تسبيحها (٥١/ب) كتسبيح غيرها، وصلاتها كصلاة غيرها، وقراءتها كقراءة غيرها، علم أن الله يتفضل على عباده في بعض الأزمان بما لا يتفضل به في غيره مع القطع بالتساوي، وليس ذلك إلّا تفضلاً من الإله، إذ لا فرق بين وقت ووقت، وكذلك تفضله عَزَّوَجَلَّ في الأماكن، ثم ذكر أفضلية المساجد الثلاثة).

قلت: جميع ما اجتلبته هو حجة لنا من حيث إن الأزمنة إنما تتفاضل بسبب ما يصحبها من العمل، ولا فضيلة لها بأنفسها، ونحن نقول بموجبه، وإذا كان ذلك كذلك ففضيلة ليلة القدر بما خصت به من العمل، وفضيلة ليلة المولد بما حصل فيها من الولادة الشريفة، مع استدامة الفضل بدليل الحديث الصحيح، والله أعلم.

○ **فإن قلت:** هذه مسألة اجتهادية وشروط الاجتهاد معدومة في العصر أو في الأكثر من أهله.

◉ **قلت:** قد قدمنا أنها ليست باجتهادية، بمعنى أن المقصود من البحث فيها استنباط الحكم، بل الغرض راجحية أحد الطرفين لينظر فيه سلمنا لكن لِمَ قلت: إن الاجتهاد لا يتجزئ، بل المختار عند المحققين تجزأته، والمسألة معروفة عند أهل الأصول[1].

---

(١) قال التاج السبكي في جمع الجوامع: (والصحيح جواز تجزي الاجتهاد) قال شارحه السيناوني في الأصل الجامع: (٣/٨٧): اختلف في جواز الاجتهاد بمعنى هل يصح أن يجتهد في بعض الفنون دون بعض، وفي بعض المسائل دون بعض والصواب جوازه، وعليه الأكثر.

○ **فإن قلت:** الاجتهاد فيها قد يؤدي إلى الخطأ، فإنها ليست بمنصوصة على ما تقدم، والخطأ في مثل هذا يؤدي إلى التأثيم.

⊙ **قلت:** المنصور في كتب أهل الأصول[1] عندهم، أن كل مجتهد (٥٢/أ) في المسائل التي لا نصَّ فيها مصيب، خلافًا لمن قال: إن المصيب واحد فيها على ما هو المعروف، والخلاف فيها منصوص عن مالك والشافعي رحمة الله عليهما، وتحريرها عندهم التفصيل: فإن كان فيها نصٌّ فقصَّر في طلبه فهو مخطئ آثم، وإن لم يقصر فغير مخطئ ولا آثم على ما تقرر في موضعه، هذا في الأحكام، ومسألتنا ليست منه، فهي أضعف، فلا يجري فيها خلاف، والله أعلم.

○ **فإن قلت:** الذي ينبغي في هذه المسألة الوقف، فهو أحوط وأسلم، لأنَّ الإقدام على ترجيح إحداهما على الأخرى يفتقر إلى أدلة مرجحة من غير تأويل ولا توجد في هذه المسألة.

⊙ **قلت:** دليل ترجيح كل ليلة منهما راجح عنه المرجح، وإلّا لم يصر إليه، والأدلة هاهنا أمارات تترجح بالنسب، وذلك كافٍ في الاستدلال على مثل هذه الدعوى حسب ما هو معروف عند أهل النظر.

○ **فإن قلت:** قد سئل من تعتمد فتواه في هذا الوقت عن هذه المسألة فقال: هذه مسألة لا نصَّ فيها، ولا دليل على ترجيح إحداهما، بل ورد في ليلة القدر ما هو معروف بخلاف ليلة المولد.

⊙ **قلت:** هي مسألة دعوى النفي، والمختار عند الأصوليين والجدليين أن النافي مطلوب بدليل النفي، والأدلة على ذلك متظاهرة ظاهرة[2].

---

(١) انظر: المستصفى: ٥٤١ ـ ٥٤٢

(٢) انظر: المستصفى: ٢٥٧ ـ ٢٦١، الإحكام للآمدي: ٧٢١ ـ ٧٢٢.

○ **فإن قلت:** نحن (٥٢/ب) مقلدون، وقد وجدنا أئمتنا أوردوا أحاديث أفضلية ليلة القدر ولم يوردوا في ليلة المولد شيئًا، فنقول بتفضيل ليلة القدر تقليدًا.

◉ **قلت:** لم نجد لأئمتنا ﷺ في تفضيل ليلة القدر كما زعمت نصًا، غاية ما في الباب أنهم نقلوا لنا ما ورد فيها من أدلة الفضل، وأسندوا طرقها، وذلك لا يدل على أفضليتها حسبما تقدم وتقرر.

○ **فإن قلت:** سلمت لك بما استظهرت به تساوي الليلتين في الشرف فما ثبت لكل ليلة منهما من الخصوصيات والفضل علة في تساوي الشرف.

◉ **قلت:** وأين أنت من وجود المزاحم في الأسباب التي جعلتها علة في الأفضلية، فعلل الأفضلية عندنا لا مزاحم لها بخلاف تعليلاتك، والعلة التي لا مزاحم لها في الأصل مقدمة على العلة التي بها المزاحم حسبما تقرر في الترجيحات عند أهل الأصول والجدل[1] وبالله التوفيق.

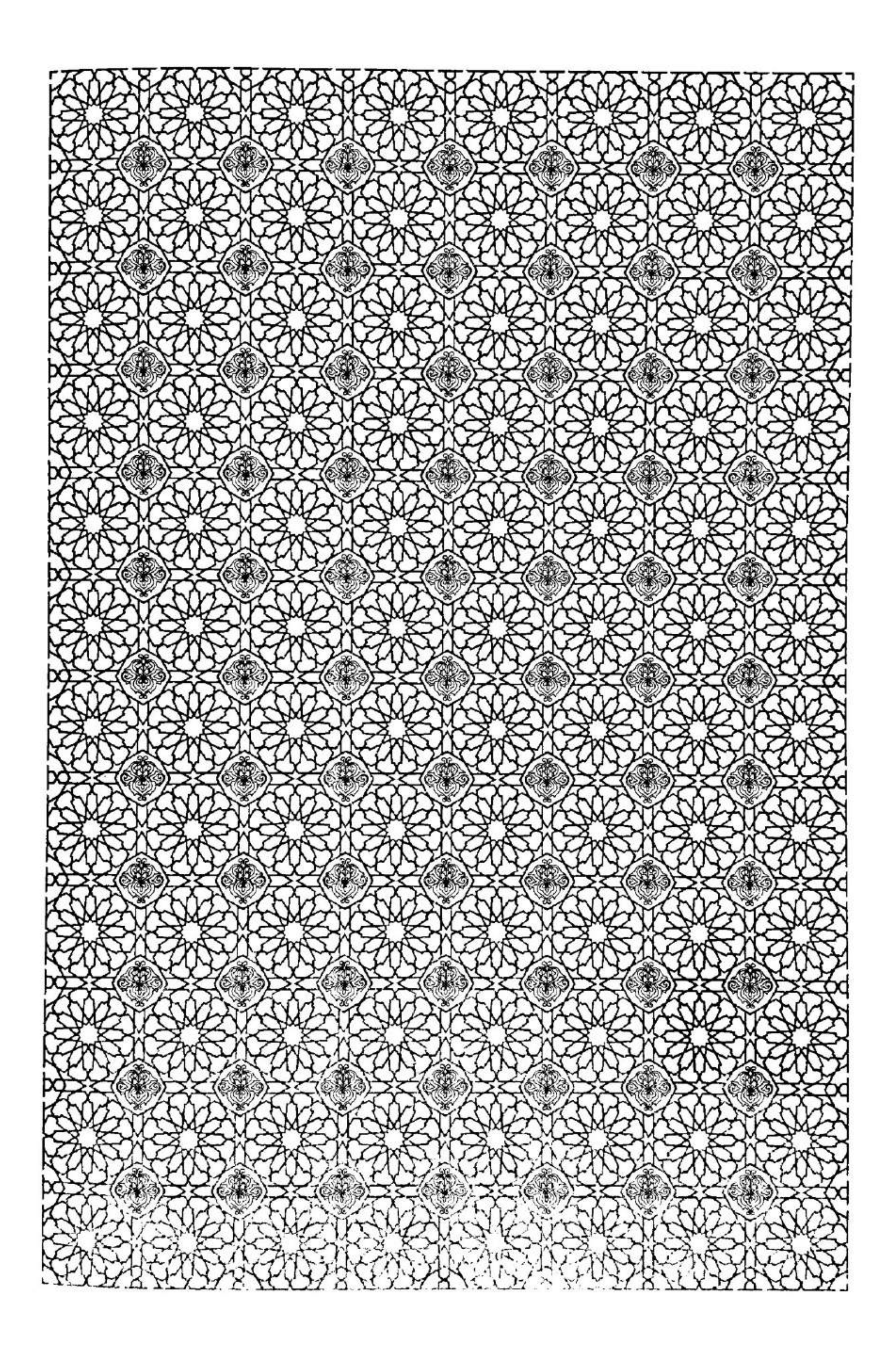
وفيما أوردناه من الأدلة على اختلاف أنواعها كفاية في التنبيه على مدارك النظر، ووجوه الاستدلال، وكيفية الأخذ في إقامة الأدلة على المدعى بحسب ما اقتضاه الوقت الحاضر، واهتدى إليه الذهن الكليل والخاطر، وأوجبه استعجال الأمر المتلقى بالامتثال، ولولا ذلك لنوعت الأدلة، واستكثرت (٥٣/أ) منها موردة بالطرق الجدلية مجراة على الأشكال المنطقية، وفي هذا القدر المورد ما يفتح أبواب المناظرة، ويحرك الأبحاث لذوي المحاضرة، ومن الله تعالى يسأل العون والإرشاد والهداية لما تقرّ به العين من رضاه عنّا في الحال والمعاد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) انظر: المستصفى: الباب الثاني في ترجيح العلل: ٥٩٢ ـ ٥٩٨.

* **تنبيه نبيه:** ذكر بعض أصحابنا المعتمدين احتمال أن تكون الولادة نهارية فأعملت النظر في ظواهر النصوص الواردة في الباب، فإذا هي أكثرها يشهد لهذا المعنى فإن كان الأمر كذلك فارتفع النزاع، وظهر أن لا معارضة، فإنَّ الغرض المسئول عنه معارضة الليلتين، فلا يبقى للنهار مزاحم إلا يوم الجمعة ويوم عرفة، وتقدم الجواب عنهما، وثبتت أفضليته، وإن كانت ليلية فقد دلَّت الأدلة على فضلها، والله أعلم.

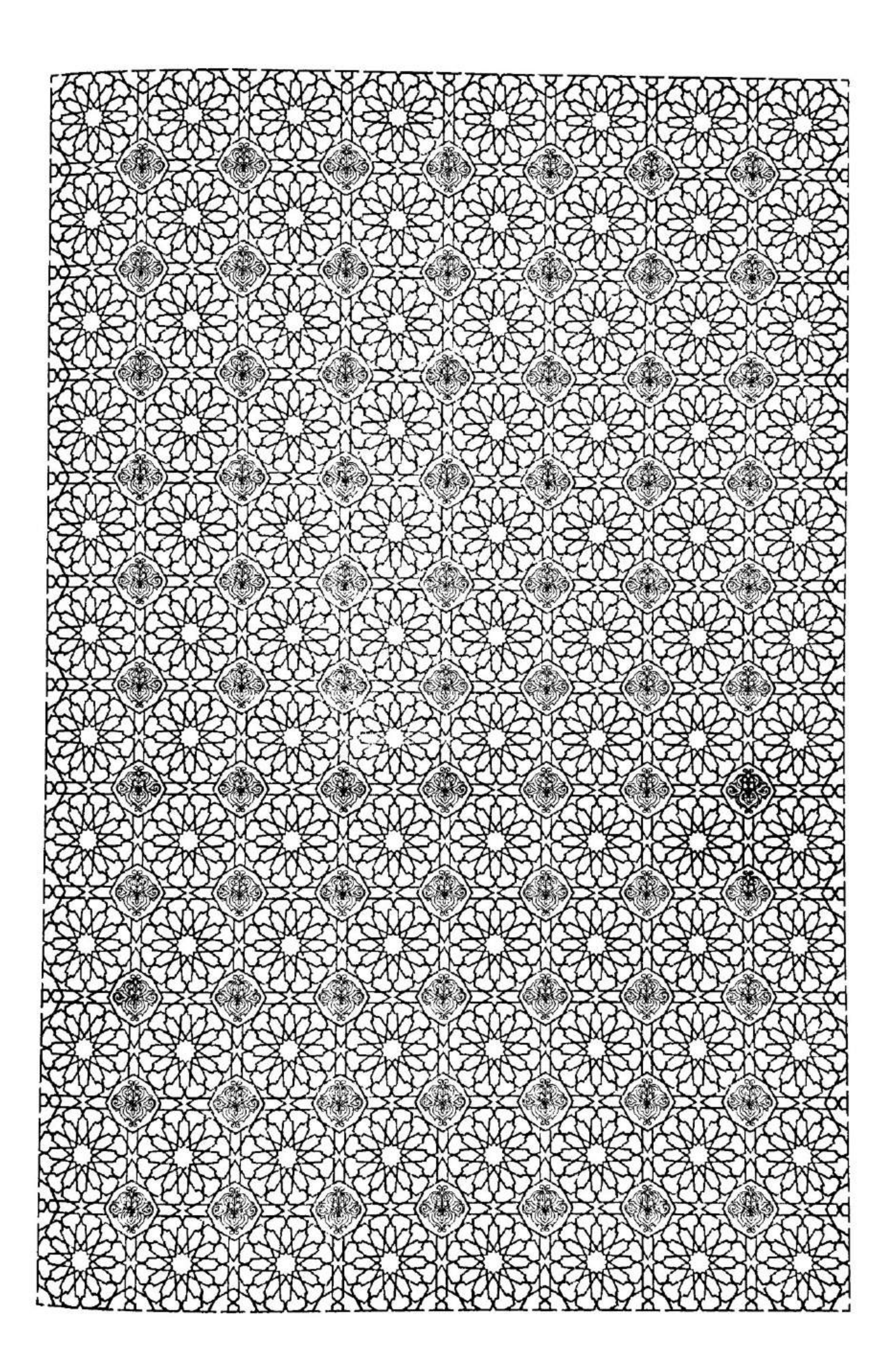
** ** **



خَاتِمَةٌ

لهذا المجموع المرجو من الله عَزَّوَجَلَّ النفع ببركته

وتشمل على فصول:



الفَصْلُ الأَوَّلُ

في الاعتذار عن التقصير

ولما كانت المسألة غير منتجة السبيل، خلية من القال المعتمد فيها والقيل، قصر فيها الخطو والمدى، وصعب فيها الاستبداد لتعذر الاقتداء بأئمة الهدى، ويرحم الله القاضي الإمام أبا طالب عقيل بن عطية نزيل (٥٣/ب) تلمسان وقاضيها، فإنه قال في آخر كتابه الذي صنفه في موازنة الأعمال[١] بعد أن جاء فيه بما انبهم على غيره ما نصه: (ولا غرو أن من حاول استخراج علم لم يجد من العلماء من نبه عليه، ولا ألفى من أهل الإدراك من يطرق له الطريق إليه، فإنه يستوحش، وإن أصاب، ويتهم نظره وإن أحسن، ويستقصر قوله وإن أجاد). انتهى.

وأنا اعترف حقًا بالقصور والتقصير، وأعتذر بأوجه من جملة[٢] المعاذير:

* **أولها:** الاستعجال لوجوب الامتثال.
* **وثانيها:** قلة ما يرجع إلى الاعتماد عليه من الكتب عند الاستدلال.
* **وثالثها:** شغب الخاطر المقسم، وانقسام البال.

---

(١) وهو كتاب تحرير المقال في موازنة الأعمال وحكم غير المكلفين في العقبى والمآل: ٧٩٣/٢.

(٢) بالأصل كلمة غير مفهومة لعلها: مجملات، وما أثبته من ب.

فحسب الواقف من علمائنا على ما سطرته، المتأمل من فقهائنا لما أوردته، أن ينظر بعين منصف، ويتأمل كلام من هو بالتقصير معترف، فالخير عَلِمَ الله قصدت، والبرَّ أردت، والأمر الواجب الامتثال امتثلت، والتوسل بجاهه ﷺ اعتمدت[1]، وعموم الانتفاع بهذا المجموع نويت، فإن أصبت فبمثلي الثواب أثبت، وإن أخطأت أجرت، فقد تقدم من كلام أئمتنا في علم الأصول ما أسلفته، ونبهت منه على ما اعتمدته.

** ** **

(١) والتوسل بالنبي ﷺ وبجاهه وبالصالحين مشروع بأدلة ليس هذا محل بسطها، ولم يحدث الانكار على هذه المسألة الفقهية إلا في عهد ابن تيمية ومن جاء بعده ممن تبنى رأيه واتجه وجهته، حتى صار هذا الإنكار سبيلاً لتكفير الأمة ورميها بالشرك الذي توصل به الدهماء الى استحلال دماء المسلمين، مخالفين ظاهر الكتاب العزيز المجيز لذلك في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾.

الفَصلُ الثَّاني

[رؤية الإمام العزفي للمولد]

سمعت شيخنا الإمام أبا موسى بن الإمام[1] رحمة الله عليه (٥٤/أ) وغيره من مشيخة المغرب يحدثون فيما أحدث في ليالي المولد في المغرب وما وضعه العزفي في ذلك واختياره، وتبعه في ذلك فيه ولده الفقيه أبو القاسم ـ وهما من الأئمة ـ فاستصوبوه واستحسنوا مقاصده فيه والقيام بها، وقد كان نقل عن بعض علماء المغرب إنكاره.

والأظهر في ذلك عندي ما قاله بعض الفضلاء من علماء المغرب أيضًا، وقد وقع الكلام في ذلك فقال: معناه لا شك أن المسلك الذي سلكه العزفي مسلك حسن، إلّا أن المشتغل في هذه الليلة بالصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والقيام بإحياء سنته ومعونة آله، ومساهمتهم وتعظيم حرمتهم والاستكثار من الصدقة وأعمال البرّ، وإغاثة الملهوف، وفك العاني، ونصر المظلوم هو أفضل مما سوى ذلك مما أحدث، إذ لا يخلو من مزاحم في النية، أو مفسد للعمل، أو دخول الشهرة، وطريق الحق والسلامة معروف، ولا أفضل في هذه الليلة مما ذكرناه من أعمال البر، والاستكثار من الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليحظى المستكثر منها ببعض ما ورد في فضلها.

---

(١) هو عيسى بن محمد بن عبد الله بن الإمام، التلمساني، إمام علم شامخ، له رحلة إلى المشرق وتصانيف مفيدة، توفي سنة: (٧٤٩هـ).
انظر: توشيح الديباج: ١٤٤ ـ ١٥١.

[فضل الصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

فقد روينا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم (٥٤/ب) تبلغني حيث كنتم». أخرجه أبو داود[١].

قالوا[٢]: ومعنى قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «عيدًا» أي لا تجعلوا قبري غير مقصود إلّا في الندرة كما يقصد العيد في العام مرتين، فمعناه الحث على الاستكثار من زيارة قبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقوله: «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا» أي لا تتركوا الصلاة في بيوتكم حتى تكون كالقبور التي لا يصلى فيها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «من صلى عليَّ عند قبري سمعته، ومن صلى عليَّ نائيًا أبلغته[٣]» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ورويناه في كتاب الترغيب والترهيب للحافظ أبي القاسم الأصبهاني[٤].

وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إنَّ البخيل من ذكرت عنده فلم يصلِّ عليَّ».

أخرجه أبو حاتم[٥]، وقال: هذا أشبه حديث روي عن الحسين، وكان

---

(١) في السنن: كتاب المناسك: ٢/٥٤٠. رقم: (٢٠٣٥).

(٢) انظر: شفاء السقام: (٢٣٢)، ونقل هذا الرأي ابن الإمام في كتابه سلاح المؤمن: (٤٥).

(٣) أخرجه أبو الشيخ في كتاب الثواب عزاه له السخاوي في القول البديع: (١٦٠) بإسناد جيد كما قال الحافظ ابن حجر العسقلاني.

(٤) ٢/٣١٧ رقم: (١٦٦٦)، انظر استيفاء تخريج الحديث في كتابنا حسم الجدال لمسألة شد الرحال

(٥) ابن حبان في الصحيح: ٣/١٨٩ ـ ١٩٠، رقم: (٩٠٩)، وهو عند الترمذي في السنن: (٣٥٤٦) وغيره.

الحسين يوم قبض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن سبع سنين إلّا شهرًا.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من صلّى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحط عنه عشر خطيئات[1]».

وعن أبي طلحة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو مسرور فقال: «إن الملك جاءني فقال: يا محمد (٥٥/أ) إنَّ الله تعالى يقول: أما ترضى أن لا يصلي عليك عبد من عبادي إلّا صليت عليه بها عشرًا، ولا يسلم عليك تسليمه إلّا سلمت عليه بها عشرًا؟ فقلت: بلى أي ربِّ».

أخرجه الإمام ابن حبان البستي في التقاسيم والأنواع[2]، ورويناه من طريق الإمام محب الدين الطبري إمام الحرم عنه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صعد المنبر فقال: «آمين آمين آمين، قيل يا رسول الله: إنك صعدت المنبر فقلت: آمين، آمين، آمين، فقال: إنَّ جبريل أتاني فقال: من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين.

ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله قل: آمين، فقلت: آمين.

ومن ذكرت عنده فلم يصلِّ عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل: آمين، قلت: آمين»[3].

---

(١) أخرجه ابن حبان في الصحيح: ٣/١٨٥ ـ ١٨٦، رقم (٩٠٤)، وهو عند أحمد في المسند: ٣/١٠٢ و٢٦١، والنسائي في السنن: ٣/٥٠.

(٢) ٣/١٩٦ رقم: (٩١٥). وهو عند أحمد في المسند: ٤/٢٩ ـ ٣٠، والنسائي في السنن: ٣/٥٠.

(٣) أخرجه ابن حبان في الصحيح: ٣/١٨٨، رقم: (٩٠٧)، وهو عند البخاري في الأدب المفرد: ٢٨٠، رقم: (٦٤٦) وغيرهما.

وعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإنَّ صلاتكم معروضة عليَّ».

قالوا: وكيف تعرض عليك وقد أرمت؟

قال: «إن الله عز وجل حرَّم على الأرض أن تأكل أجسادنا»(١) وفي رواية: «أجساد الأنبياء»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «من صلّى عليَّ عند قبري سمعته، ومن صلّى (٥٥/ب) عليَّ نائيًا وكل الله عز وجل به ملكًا يبلغني وكفي أمر دنياه وآخرته وكنت شهيدًا وشفيعًا». ذكره ابن عساكر(٣).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيما عبد لم تكن عنده صدقة فليقل في دعائه: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصلى على المؤمنين والمؤمنات»(٤).

والأحاديث الواردة في الباب متسعة وقد أخرجت قديمًا أربعين حديثًا

---

(١) أخرجه ابن حبان في الصحيح: ١٩٠/٣ ـ ١٩١، رقم: (٩١٠)، وهو عند أحمد في المسند: ٨/٤، وأبو داود في السنن: ٨٤/٢ ـ ٨٥، رقم: (١٠٤٠)، والنسائي في السنن: ٩١/٣، وابن ماجه في السنن: ٢٩١/٢، رقم: (١٠٨٥) وغيرهم.

(٢) عند أبي داود وابن ماجه ممن تقدم ذكره.

(٣) في تاريخ دمشق: ٣٠١/٥٦.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: ٢٧٧، رقم: (٦٤٠).

وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان: ١٨٥/٣، رقم: (٩٠٣)، وأبو يعلى في المسند: ٥٢٩/٢، رقم: (١٣٩٧) والحاكم في المستدرك: ١٧٩/٥، رقم: (٧٢٥٧) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وابن بشكوال في القربة: ٣٣ ـ ٣٤، رقم: (١٨) وغيرهم، انظر: القول البديع: ٢٦٩.

منوعة الإسناد في فضل الصلاة عليه، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فهي أفضل ما يستعمله المؤمن ليلتئذ حين يذكر ما في ظهوره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من النعم التي أنعم الله عَزَّوَجَلَّ بها على مخلوقاته، ويذكر ما خص به عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من الصفات الجميلة والأخلاق العظيمة والسير الكريمة، ويتذكر ما وقع في تلك الليلة من الآيات البينات والمعجزات المعجبات، ويستحضر حمد الله عَزَّوَجَلَّ وشكره الذي لا يفي بنقطة من بحر شكره على ما هداه إليه من الإسلام، وجعله من أمته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ويستغفر الله عَزَّوَجَلَّ في تقصيره في أداء ما وظفه عليه، وتثبطه عن المسارعة لتحصيل ما ندبه إليه، فتجمع بين الحمد والشكر، والصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاستغفار (٥٦/أ)، وتختم بالدعاء بما يعود عليه من مصالح الدنيا والآخرة، فلعل الله ببركة تلك الليلة الكريمة أن يتقبل دعاءه، لا حرمنا الله من خيره ورحمته بفضله.

** ** **

الفصل الثالث

رأيت أن أختم هذا المجموع المبارك بالكلام في مواضع تشتمل على فوائد:

الموضع الأول

في فضل الخلافة، وما خص الله به الخلفاء في الأرض من الفضل

ولنقتصر من ذلك على نبذ مختصرة، إذ الاستيعاب الوارد في ذلك في الآي والأخبار والآثار يستدعي استقلال تأليف، وكفى من ذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩] دليلاً على فضلها، إذ لا منزلة أعظم ولا أقرب من المحبة، والمحبة إفاضة النعم والاختصاص بالقرب، ولا مقام أعلى منها.

وروينا في الصحيح[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظلّه: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله عَزَّوَجَلَّ، ورجل معلق قلبه بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله عَزَّوَجَلَّ خاليًا (٥٦/ب) ففاضت عيناه». وهو من الأحاديث المتفق على صحتها وتخريجها.

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح: ٢/٥١٧، رقم: (١٣٥٧).
ومسلم في الصحيح: (١٠٣١/٩١).

قال بعض الأشياخ: ولا يمكن اجتماع هذه السبعة إلّا في إمام.

قال القاضي أبو الفضل[1] رحمة الله عليه: يحتمل أن يكون الظل هنا على ظاهره، وأما ظل العرش كما جاء في الطريق الآخر: في ظل عرشه، وإضافته إليه إضافة مِلْك، أو على حذف مضاف ويراد بذلك سائر الظلال، وكلها لله كما قال: ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وكل ما أكنَّ فهو ظل، وظل كل شيء كنه.

وقد يكون الظل هنا بمعنى الكنف والستر والعز، ويكون بمعنى في خاصته ويخصه بكرامته في المواقف، ومنه قوله ﷺ: «السلطان ظل الله في الأرض»[2] أي خاصته، وقيل: ستره، وقيل: عزه.

---

(١) انظر: إكمال المعلم له: ٥٦٢/٣، وبين كلام ابن مرزوق فيما نقله عن عياض في الإكمال بعض اختلاف.

(٢) أخرجه البزار كما في كشف الأستار: (١٥٩٠)، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول: ٤١٧/٦، رقم: (١٥١٤)، والبيهقي في شعب الإيمان: ٩٣/١١ ـ ٩٤، رقم: (٦٩٨٤) من حديث عبد الله بن عمر، وقال البيهقي عقبه:... و أبو المهدى سعيد بن سنان ضعيف عند أهل العلم.

انظر: فتح الوهاب بتخريج أحاديث الشهاب: ٢٨٣/١ ـ ٢٨٤، رقم: (٢١٨).

ولشيخنا المحدث السيد إبراهيم بن محمد بن الصديق الغماري رحمه الله تعالى بحث بعنوان: (السلطان ظل الله في الأرض ثابت عن النبي ﷺ ومشهور مستفيض) نشر في مجلة دعوة الحق المغربية عدد (٢٨٠) وهو مضمن في كتاب مقالات ومحاضرات في الحديث الشريف وعلومه: ٨٩ ـ ٩٧، قال في مقدمته:

فقد جاء من حديث ابن عمر، وأبي عبيدة بن الجراح، وأنس بن مالك، وأبي هريرة، وأبي بكرة، وأبي بكر الصديق.

ثم قال بعد كلام: وأما حديث أبي هريرة وأبي بكرة فيعتبر كل منهما حسناً لذاته، بحيث يرتفعان بالاعتضاد إلى درجة الصحيح لغيره...

وقد يكون بمعنى الرَّاحة والنعيم كما قيل: عيشي ظليل أي طيب، ومنه الحديث الآخر: «في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها خمسمائة عام»(١) قيل: في ذراها وكنفها، ويحتمل أن يكون في راحها وراحتها.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور يوم القيامة»(٢).

وعنه صلى الله عليه وسلم: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب (٥٧/أ) لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف»(٣).

قلت: والمرجو أن يكون إمامنا قد حصل هذه الخصال الثلاث، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «الإمام العادل» لا تكاد ترد دعوته.

[طاعة ولي الأمر]

وقد أوجب الله سبحانه وتعالى طاعتهم وامتثال أمرهم فقال جل وعز: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

وقد روينا في الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (على المرء المسلم السمع والطاعة أحب أو كره إلا أن يؤمر بمعصية) متفق عليه(٤).

وعنه رضي الله عنه قال: كنَّا إذا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة

---

(١) هو عند مسلم في الصحيح: (٢٨٢٦) لكن بلفظ: يسير الراكب في ظلها مائة عام بدل خمسمائة عام.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإمارة: (١٨/١٨٢٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة: (٦٣/٢٨٦٥).

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح: ٢٦٣٣/٦، رقم: (٦٧٧٦).

يقول لنا: «فيما استطعتم». متفق عليه[1].

وعنه رضي الله عنه، عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: «من خلع يدًا من طاعة، لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»[2]. والميتة بكسر الميم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك»[3].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني». (٥٧/ب) متفق عليه[4].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كره من أميره شيئًا فليصبر، فإنه من خرج من سلطان قيد شبر مات ميتة جاهلية». متفق عليه[5].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: «من أهان السلطان أهانه الله». رواه الترمذي[6].

---

(١) ومسلم في الصحيح: (١٨٦٧/٩٠).

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح: كتاب الإمارة: (١٨٥١/٥٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإمارة: (١٨٣٦/٣٥).

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح: ٢٦١١/٦، رقم: (٦٧١٨).
ومسلم في الصحيح: (١٨٤٩/٥٦).

(٥) أخرجه البخاري في الصحيح: ٢٦١٢/٦، رقم: (٦٧٢٤).
ومسلم في الصحيح: (١٨٤٩/٥٦).

(٦) في الجامع (السنن): ٨١/٤، رقم: (٢٢٢٤)، وهو عند أحمد في المسند: ٤٢/٥، ٤٨، والطيالسي في المسند: (٨٨٧)، والبيهقي في السنن: ١٦٣/٨ - ١٦٤ وغيرهم.

وروي عن عثمان ﷺ أنه قال: إنَّ الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن[1].

وروى هذا الأثر مرفوعًا إلى النبي ﷺ، ذكره الزاهد أبو الوليد الفهري.

وقال كعب: مثل الإسلام والسلطان والناس مثل الفسطاط والعمود والأطناب والأوتاد، فالفسطاط الإسلام، والعمود السلطان، والأطناب والأوتاد الناس، لا يصلح بعضهم إلّا ببعض.

وقد خرجت في هذا أربعين حديثًا مسندة، وأودعت جلَّها كتاب: (إيضاح المراشد) (وكتاب الإمامة)، وأودعته ما تشتمل عليه الخلافة من الحكم والفوائد، ولأئمتنا ﷺ في ذلك من التآليف ما هو معروف.

ورحم الله عبد الله بن المبارك فهو القائل[2]:

إنَّ الجماعــة حبــل الله فاعتصــموا	منــه بعروتــه الــوثقى لمــن دانــا
كــم يــدفع الله بالســلطان معضــلةً	في ديننـا رحمـة منـه ودنيانـا (٥٨/أ)
لـولا الخلافـة لـم تـأمن لنـا سُبُل	وكــان أضــعفنا نهبًــا لأقوانــا

والحكم في ذلك لا تحصى كثرة، فالله يحفظ بهم نظام الإسلام، ويبقيهم لحياطة الأنام، ويديم علاهم على الدوام، ويهديهم سبل السلام بمنه.

** ** **

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد: (١١٨/١) بإسناده إلى ابن القاسم عن مالك أن عثمان بن عفان كان يقول: فذكره.

(٢) ذكرها الباجي في سنن الصالحين: ٣٤١/١، رقم: (١٢٥٠).

الثاني: في فضيلة هذه الإيالة الكريمة

[فضل سلاطين الدولة الحفصية]

اعلم أنه لإخفاء بطهارة أصولها وزكائها، وفضيلة أولاها وأخراها، فالفاروق نبعتها، والمهدي قدوتها، والعدل شيمتها، والفضل خليفتها، والعلم طريقتها، والإحسان سيرتها، والجود سجيتها، والجمال سمتها، والكمال صفتها، يتوارثون المجد والجدا، ويتنافسون في الخير أبًا وجدًا.

فكم حفظت لهم من أخبار أنست مكارم الأوائل، ومآثر دثرت بسببها ما دون للأكابر من فضائل، وكم تليت من محامدهم من سور حفظت من بطون الدَّفاتر، وجليت من محاسنهم من صور في صدور المحارب وظهور المنابر، وكم نطقت بمحامدهم ألسن الأقلام وأفواه المحابر، وكم أسندت إليهم من أحاديث ثبت في مسند الصحيح طريقها، وانتظم في سلك المجد والشرف فريقها.

فَبِجَدِّ إمامنا المؤيد أبي زكريا[1]، حَيِيَ مَعْلَمُ الدِّين بعد دروسه، وأضاء بدره (٥٨/ب) التِّمِّ بعد طموسه، فاجتمع بحضرته أرباب المعارف جموعًا

---

(١) هو يحيى بن حفص، يعرف بأبي زكريا الأول، مؤسس الدولة الحفصية، وأول ملوكها، بدأ حكمه وهو ابن سبع وعشرين سنة، وأظهر براعة تدل على نضج سياسي مبكر، وقد اتخذ من تونس عاصمة بعد خلعه لخليفة الموحدين، توفي سنة: ٦٤٧هـ.

ـ انظر: الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية: ١٧٦.

ووحدانا، وهجرت للمهاجرة إليه معاهد أنيسة وأوطانًا.

وبالمستنصر ابنه[1] انتصر الإسلام، وحميت حوزته، وصال على أهل الصليب فذلَّت فئته، وخذلت دعوته، وبجده المولى المعظم سميه عزت طائفة التوحيد وانتظمت كلمته التوحيد وذلّت صولة الباطل وحصرت شوكته، بالمولى أبي زكريا[2] جده الأقرب جددت رسوم الدين، واتسعت دولته، وبفضائل إمام الملوك على الولاء، وقدوة العظماء من الخلفاء، مولانا أمير المؤمنين أبي يحيى[3] سارت الأمثال، وبالثناء على خلال كماله، وكمال خلاله، تعطرت الأندية المشرفة والخلال، فرحمة الله عليهم تترى، وبركاته تتعاهد أجداثهم المكرمة شفعًا ووترا.

وأما إمامنا هذا المعظم، فسيد الأملاك والخلفاء بلا مدافع، وإمامهم

---

(١) هو أبو عبد الله محمد المستنصر بن أبي زكريا بن عبد الله، يعتبر عهده العصر الذهبي للدولة الحفصية، وقد لقب بالخليفة، وقام بإنجاز الساقية التي أوصل بها الماء إلى مدينة تونس وجعل جانباً منها لجامع الزيتونة، كما أحدث بساتين غناء في ضواحي العاصمة، وقرب إليه الأدباء والشعراء والعلماء من الأندلسيين وغيرهم، توفي سنة: ٦٧٥هـ.
ـ انظر: الأدلة البينة النورانية: ٦٢ ـ ٧٤.

(٢) هو المولى أبو إسحاق إبراهيم الأول، كان مقيماً ببلاد الأندلس وله مواقف مشهورة مع عدو الدين، وكان ملكاً شجاعاً فيه غلظة، وقد ملك بلاد أفريقية ودانت له، توفي سنة: ٦٨٢هـ.
ـ انظر: الأدلة البينة النورانية: ٧٥ ـ ٧٩.

(٣) هو المولى أبو يحيى أبو بكر بن المولى أبي زكريا ابن المولى أبي إسحاق ابن المولى أبي زكريا، كان جميل الصورة، كامل القامة، شجاعاً، مهاباً محسناً، معتقداً في الفقهاء والصالحين، وكان أشد الملوك حباً، وأكبرهم همة، لا يقع بصره على مسجون إلا أطلقه في الحين، وكان لا يولي قاضياً حتى يشهد فيه بالخير من يثق بدنيه، توفي سنة: ٧٤٧هـ.
ـ انظر: الأدلة البينة النورانية: ٨٧ ـ ٩٠.

المتبع من غير منازع، جمع من الفضائل ما لم يجتمع قبلها قط لسواه، وحصل من أدوات التفضيل ما يعجز الخلفاء عن أن يبلغوا في أيسرها مداه، فلا جرم أظهره الله على عداه، وبلَّغه من أمله متمناه.

[الصفات التي يجب أن يتحلى بها الحاكم]

روي عن سليمان بن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ (٥٩/أ) أنه قال: العدل والرحمة يحرزان الملك.

وقديمًا قيل: أفضل الملوك من كان منزله بين الرعايا لكل واحد منهم فيه قسط، ليس أحد أحق به من أحد، لا يطمع القوي في حيفه، ولا ييأس الضعيف من عدله.

هو لعمري كذلك، قد سلك من هذه الخِلال الحسنة، والصفات المستحسنة أحسن المسالك، وفي حِكَم الهند: أفضل السلطان من أمنه البريء، وخافه المجرم، ومن هذا الباب قول جده الفاروق رضي الله عنه للمغيرة لما ولّاه الكوفة: يا مغيرة ليأمنك الأبرار، ولتخفك الأشرار، وقوله أيضًا رضي الله عنه: ثلاثة من الفواقر: جار ملازم، إن رأى حسنة سترها، وإن رأى سيئة أذاعها، وامرأة إن دخلت إليها لسنتك، وإن رغبت عنها لم تأمنها، وسلطان إن أحسنت لم يحمدك، وإن أسأت فتلك.

فبحكم جده الفاروق رضي الله عنه اقتدى، وبحكمه اهتدى، وبحلّة حليته ارتدى، فما أتم عقله من خليفة وأرصنه، وما أفضل هديه من إمام وأحسنه.

[فضل العقل]

فالعقل قوام الملك وأساسه، وزمام مقود الخير ومراسه، وقد قال رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أفضل الناس أعقل الناس»[(١)].

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (٥٩/ب): «العقل حيث كان إلف مألوف»[(٢)].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يا عويمر ازدد عقلاً تزدد من ربك قربًا»[(٣)].

وقال الفاروق رضي الله عنه: لست بالخب، ولا الخب يخدعني.

وقال المغيرة: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أفضل من أن يخدع، وأعقل من أن يخدع.

وتحفظ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أبيات جمعت مكارم الأخلاق فجعل أولها العقل وهي:

إنَّ المكارم أخلاق مطهرة	فالعقل أولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها	والجود خامسها والعرف ساديها
والبر سابعها والصبر ثامنها	والشكر تاسعها واللين عاشيها
والنفس تعلم أني لا أصدقها	ولست أرشد إلّا حين أعصيها
والعين تعلم من عيني محدثها	إن كان من حزبها أو من أعاديها

وقد قال كسرى: من لم يكن أكثر ما فيه عقله هلك بأكثر ما فيه.

---

(١) أخرجه الحارث ابن أبي أسامة في مسنده كما في بغية الحارث: ٢٦٠، رقم: (٨٤٦) عن داود بن المحبر صاحب كتاب العقل، وهي صحيفة أحاديث كلها موضوعة، لا يثبت منها شيء كما قال الحافظ ابن حجر في المطالب العالية: ٣/٢٠٦.

(٢) لم أقف على تخريجه لكن يظهر أنه من صحيفة العقل لداود بن المحبر.

(٣) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده كما في البغية: ٢٥٩، رقم: (٨٣٧) من طريق داود بن المحبر.

ونظمه بعضهم فقال:

مـا لـم يكـن أكثـره عقلـه أهلكـه أكثـر مـا فيـه

وحكى أن سبب قول كسرى هذه المقالة هو أن رجلاً جاء إليه فقال له: أنا أعمل ما يعجز عنه الخلائق، فقال: وما هو؟

فقال: يشد برجلي حبل طرفه برقبة الفيل وبرجلي الأخرى كذلك، ويشد (٦٠/أ) طرفه برقبة الفيل، ثم يساق الفيل بالزجر والضرب فلا أتزحزح.

ففعل، فتمت حيلته، ثم تعاطى أن يفعل ذلك بأربعة من الفيلة، فمرت بحدتها فقسمته شطرين.

فقال كسرى هذه المقالة التي حفظت عنه ونظم معناها.

[التحلي بالعلم]

وما أحسن نظره رضي الله عنه في العلوم، وبحثه عن نتائج الأفكار في مدارك الفهوم، وهي الخصلة التي هي في الملك شرط لازم، ووصف بالكمال لمن قام قاضٍ وحاكم، وقد قال الحكيم: كل عزّ لا يوجده علم مذلة، وكل علم لا يوجده عقل مضلة، ولا يمنع القيام بالملك طلبه.

فهذا موسى كليم الله ارتحل من الشام إلى مجمع البحرين في أقصى المغرب على بحر الظلمات إلى لقاء الخضر عليه الصلاة والسلام ليتعلم منه، فلما ظفر به قال له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦] وهو نبي الله تعالى وكليمه.

وهذا سيد الأولين والآخرين، وصفوة الله من خلقه أجمعين، قد أوصاه

ربه وعلمه، كيف يستزيد من خزائن علمه فقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، ولو كان في خزائنه أشرف من العلم لنبهه تعالى عليه.

وبالعلم فَخَر آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فقال تعالى: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١] فلما علمه وعجزوا، أمرهم (٦٠/ب) بالسجود له، وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] فمن تحلى به وحصله، فقدمه الله وكمله، وعلى غيره فضله، فالحمد لله الذي أتاه منه من فضله، ما عدَّ به من أهله، وكفى سؤاله الذين أبداه في هذه المسألة دليلاً على سلوك مناهجه، والمعرفة بمقدمات أنظاره المسددة ونتائجه، وقد اجتمع له أجر العلم وفضله، وفضل الإمامة وإن كان الإمام أفضل من العالم والمفتي حسبما نص عليه عز الدين بن عبد السلام في قواعد[1]، وما أعظم حلمه، وإن تعجب فعجب وإن تسألني تسأل من خبر وجرب، وباشر الأمور وعلم ما لم يعلمه غيره من الخاصة والجمهور، وخالط الملوك، وعرف ما سلكوه في السياسة من أوجه السلوك.

[تعاطي الحلم والابتعاد عن أشكال الغضب]

فلعمري لقد حاز هذا الإمام من هذه الخصلة الجميلة ما لم يحط به سواه، ولم يتحل به من عداه، وناهيك من خصلة أثنى الله بها على خليله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقال جلَّ وعز: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ﴾ [هود: ٧٥].

فسبحان من تفضل وأحسن، ثم أثنى وشكر على ما به امتن، وفي الذكر الحكيم: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، قال علي كرم الله وجهه:

(١) انظر: قواعد الأحكام: ٥٠٢ ـ ٥٠٥.

الصفح الجميل الرضا بلا عتب، وقيل: الصفح الجميل (٦١/أ) بلا توبيخ فيه، ولا حقد معه.

وروينا في الحديث الصحيح[١] أن رجلاً قال للنبي ﷺ علمني كلمات أعيش بهن ولا تكثر عليَّ فأنسى، قال: «لا تغضب».

وروي أن يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام لقي عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فقال: يا روح الله! أخبرني بأشد الأشياء في الدارين؟

قال: غضب الله.

قال: وما ينجي من غضب الله؟

قال: ترك الغضب.

قال: يا روح الله كيف بدأ الغضب؟

قال: التهور والكبر والفخر على الناس.

وفي الحديث عنه ﷺ: «وجبت محبة الله على كل من أغضب عليه فحلم»[٢].

ويقال إن إبليس لعنه الله يقول: إن الحديد من الرجال لم آيس منه وإن كان يحيى الموتى، لأنه تأتي عليه ساعة يحتد فيها فأصير منه إلى ما أريد.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ: ٤٩٢/٢، رقم: (٢٦٣٦).

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل: ٣٧٨/٦ في ترجمة مطرف بن عبد الله وقال عقبه ابن عدي: وهذا عن مالك منكر، وأخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان: ١٣٥/٢، وأبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب: ٧٥/٢، رقم: (١١٨٥) وقال المنذري في الترغيب والترهيب: ٤١٩/٣، وفي سنده أحمد بن داود بن عبد الغفار المصري شيخ الحاكم، وقد وثقه الحاكم وحده.

وروي أن جعفر بن محمد رضي الله عنه دخل على الرشيد وقد استخفه الغضب فقال: يا أمير المؤمنين إنك إنما تغضب لله، فلا تغضب له بأكثر من غضبه لنفسه.

وفي كتاب سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام: القاهر لنفسه أشد ممن يفتح المدينة وحده.

ورحم الله الأكثم بن صيفي فإنه قال: الصبر على جرع مرارة الحلم أعذب من جني ثمرة الندم.

ومن أمثال العرب: احلم تسد.

وكان سلم بن نوفل (٦١/ب) سيد بني كنانة ضربه رجل من قومه بسيف فأخذ فأتى به إليه، فقال: ما الذي حملك على ما فعلت، أما خشيت انتقامي، قال: فَلِمَ سودناك إلّا أن تكظم الغيظ، وتعفو عن الجاني، وتحلم عن الجاهل، وتتحمل المكروه في النفس والمال فخلا سبيله، فقال قائلهم:

تسود أقوام وليسوا بسادة ... بل السيد المعروف سلم بن نوفل

وقال الأحنف بن قيس: وجدت الحلم أنصر لي من الرجال.

قال رجل لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: لأسبنك سبًا يدخل معك قبرك، فقال له أبو بكر رضي الله عنه: معك يدخل لا معي.

وسبَّ رجل بعض الحكماء فقال له: إياك أعني، فقال له الحكيم: وعنك أعرض. وفي هذا المعنى قيل:

قل ما بدا لك من زور ومن كذب ... حلمي أصمٌّ وأذني غير صماء

وسبَّ الشعبي رجلٌ فقال له: إن كنت كاذبًا فغفر الله لك، وإن كنت صادقًا فغفر الله لي.

[نتائج الصفح]

قلت: وأنشدني شيخنا الولي الصالح العالم الخطيب أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد المجاصي التلمساني[1] بسنده إلى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أحد الفقهاء السبعة، وإن كنت رأيتها منسوبة لغيره (٦٢/أ):

الحذر ينفع ما لم يأتك القدر	فإن أتى قدرٌ لم ينفع الحذرُ
وليس من قدر إلا له سبب	وليس من سبب إلا له قدرُ
ليس الكريم الذي يوذي مجاوره	إنَّ الكريم الذي يوذى فيصطبرُ
ولا الحليم الذي إن سُبَّ سَبَّ ولـ	ـكن الحليم الذي إن سُبَّ يغتفرُ
من يحتفر حفرةً يومًا سينزلها	فإن حفرت فوسع حين تحتفرُ
إنَّ الشباب لهم عذرٌ إذا جهلوا	وليس يقبل من ذي شيبةٍ عُذْرُ

وقال رجل لعمرو بن العاص: والله لأتفرغن لك، قال: الآن وقعت في الشغل.

ومرَّ المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ على قوم من اليهود فقالوا له شرًا، وقال لهم خيرًا، فقيل إنهم يقولون: شراً وأنت تقول خيراً، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: كل ينفق مما عنده.

---

(١) المتوفى سنة: (٧٤١هـ) قال عنه المقري في نفح الطيب: ٥/٢٣٠ - ٢٣٢، (عالم الصلحاء، وصالح العلماء، وجليس التنزيل، وحليف البكاء والعويل) كان خاشعاً كثير البكاء حتى شهر به، كان لا يرفع طرفه إلى السماء حياء من الله وخشية، ومناقبه كثيرة لا تحصى.

انظر: البستان: ١٢١.

وقال أكثم بن صيفي رحمة الله عليه: من حلم ساد، ومن تفهم ازداد، وكفر النعمة لؤم، وصحبة الجاهل شؤم، ولقاء الإخوان غنم، والمياسرة يمن، ومن الفساد إضاعة الزاد.

وقال رجال للأحنف: إن قلت لي كلمة لتسمعن عشرًا، فقال الأحنف: لكنك لو قلت لي عشرًا لم تسمع مني واحدة.

وقال رجل لأبي ذر رضي الله عنه: أنت الذي نفاك معاوية من الشام، ولو كان فيك خيراً ما نفاك؟ فقال: يا ابن أخي إنَّ ورائي عقبةً كؤدًا إن نجوت منها لم يضرني ما قلت، وإن لم أنج منها فأنا شرٌ مما قلت.

وقال (٦٢/ب) لقمان لابنه: يا بني ثلاثة لا يعرفون إلّا عند ثلاثة، لا يعرف الحلم إلّا عند الغضب، ولا الشجاع إلّا عند الحرب، ولا أخوك إلّا عند الحاجة إليه.

وقيل يومًا للأحنف: ما أحلمك. فقال: لست بحليم ولكني أتحالم، والله إني لأسمع الكلمة فأجم لها ثلاثًا ما يمنعني من جوابها إلّا خوفًا من أن أسمع شرًا منها.

وأنشد بعضهم:

وليس يتم الحلم للمرء راضيًا ... إذا كان عند السخط لا يتحلمُ

كما لا يتم الجود للمرء موسرًا ... إذا كان عند العسر لا يتحشمُ

وقال بعض الحكماء: احذروا الغضب، فرب غضب استحق الغضبان به غضب الله عزوجل.

وقال أكثم بن صيفي: لا يكون الرجل حليمًا حتى يقول السفيه إنه

لضعيف مستذل، ولا يكون مخلصًا حتى يقول الأحمق: إنه لمفسد.

قلت: وقوله «مستذل» أراد أن يذل نفسه ذلَّ تواضع، وهو ذل العزة والشرف، وقد جاء شاهده من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] فانظر ما ثبت لمن اتصف بهذا الوصف الكريم من الشرف العظيم، وهو بمعنى قوله تعالى في وصف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (٦٣/أ) ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

قالوا: ومن أشعر بيت في الحلم قول كعب:

إذا أنت لم تعرض عـن الجهـل والخنـا أصـبت حليمًـا أو أصـابك جاهــل

[لا تغضب]

وكان ابن عون إذا غضب على أحد من قومه قال: سبحان الله بارك الله فيك.

وقال الأصمعي: دفع أزدشير إلى رجل كان يقوم على رأسه كتابًا وقال له: إذا رأيتني اشتد غضبي فادفعه إليَّ، وكان فيه اسكن فلست بالإله، إنما أنت بشر، يوشك أن يأكل بعضك بعضًا، وتصير عن قريب إلى الدود والتراب.

وقيل: إن أول من سَنَّ هذه تبع أمر أن يكتب في كتاب: اسكن فلست بالإله، وقال لصاحبه: إذا غضب فاعرضه عليَّ فكان إذا غضب عرضه عليه، فإذا قرأه سكن غضبه.

وقال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أفضل ما أعطي الرجل الحلم، فإذا ذكر ذكر، وإذا

أعطى شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا غضب كظم، وإذا قدر عفا، وإذا أساء استغفر، وإذا وعد أنجز.

وقال بعض الحكماء: إذا غلب على الرجل أربع خصال فقد عطب: الرغبة، والرهبة، والشهوة، والغضب.

وقيل لبعض الصالحين: إن فلانًا يقع فيك، فقال: لأغيظن من أمره، يغفر الله لي وله، قيل: ومن أمره؟ قال: الشيطان (٦٣/ب).

قال فضيل رضي الله عنه: ثلاثة لا يلامن على الغضب: المريض، والمسافر، والصغير.

وقيل للإسكندر: إن فلاناً وفلاناً ينتقصانك ويثلبانك، فلو عاقبتهما؟ قال: هم بعد العقوبة أعذر في قلبي ومنقصتي.

[الخلق الحسن]

وقيل للأحنف: ممن تعلمت الخلقَ؟ فقال: من قيس بن عاصم المنقري قيل: وما بلغ من خلقه؟ قال: بينا هو جالس في داره إذ جاءه خادم له بسفود عليه شواء، فسقط من يده، فوقع على ابن له فمات، فدهشت الجارية، فقال لهما: لا روعة عليك أنت حرة لوجه الله.

قلت: والمتصوفة يعبرون عن الحلم بالخلق.

وعن علي كرم الله وجهه أنه دعا غلامًا له فلم يجبه، فدعاه ثانيًا وثالثًا فلم يجبه، فقام إليه فرآه مضطجعًا، فقال: أما تسمع يا غلام؟ قال: نعم، قال: فما حملك على ترك جوابي، فقال: أمنت عقوبتك فتكاسلت، فقال: ارض فأنت

حرٌ لوجه الله تعالى.

وقيل في الإنجيل: عبدي اذكرني حين تغضب، أذكرك حين أغضب.

وحكي أن إبراهيم بن أدهم رحمه الله خرج إلى بعض البراري فاستقبله جندي فقال: أين العمران؟ فأشار إلى المقبرة، فضرب رأسه وأوضحه[1]، فلما جاوزه قيل له: إنه إبراهيم بن أدهم زاهد خراسان، فجاءه يعتذر إليه، فقال: إنك لما ضربتني (٦٤/أ) سألت الله لك الجنة، فقال: لك؟ فقال: علمت أني أؤجر، فلم أرد أن يكون نصيبي منك الخير، ونصيبك مني الشر.

وحكي أن أبا عثمان الحيري دعاه إنسان إلى ضيافة، فلما وافى باب داره قال: يا أستاذ ليس لي وجه دخولك للدار، وقد ندمت فانصرف، فرجع أبو عثمان فلما وافى منزله عاد إليه الرجل وقال: يا أستاذ ندمت وأخذ يعتذر إليه وقال: احضر الساعة، فقام أبو عثمان ومضى، فلما وافى باب الدار قال مثل ما قال في الأولى، ثم كذلك في الثالثة والرابعة وأبو عثمان ينصرف ويحضر، فلما كان بعد مرات قال: يا أستاذ أردت اختبارك وأخذ يعتذر ويمدحه، فقال أبو عثمان: لا تمدحني على خلق تجد مثله في الكلب، فالكلب إذا دُعي حضر، وإذا زجر انزجر.

قال الأستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله: سمعت الأستاذ أبا علي رحمه الله يقول: إن الله خص نبيه صلى الله عليه وسلم بما خصه به، ثم لم يثن عليه بشيء من خصاله بمثل ما أثنى عليه بخلقه فقال عز من قائل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

قال الواسطي: وصفه بالخلق العظيم لأنه جاد بالكونين، واكتفى بالله تعالى.

---

(١) أي أبدى وضح العظم وهو بياضه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٩٦/٥.

وقال الحسين بن منصور: معناه لم يؤثر فيك جفاء الخلق (٦٤/ب) بعد مطالعة الحق.

وقال أبو سعيد الخراز: لم تكن له همة غير الله عَزَّوَجَلَّ.

وإنما أطلت في هذا الفصل وأوردت فيه ما أوردت إعلامًا بما خص الله به هذا الخليفة المؤيد من هذه الخصلة الكريمة، والمنقبة العظيمة، وليشكر الله تعالى على ما وهبه من فضله، وأسبغ عليه من عميم طوله، وأتاه ما لم يؤت أحدًا من أمثاله، والحمد لله على جزيل إحسانه، وجميل أفضاله.

[جمال العفو]

وما أجمل عفوه عن الجاني، وتجافيه عن الجناة، ولعمري لقد شاهدت منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذا الباب ما لا يقدر قدره إلّا ذووا الألباب، وحفظ عنه في ذلك ما يضيق عن إيراده مثل هذا الكتاب، وما أجملها من صفة حسنة، وخليقة مستحسنة، أمر الله بها نبيه المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في محكم كتابه العزيز فقال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وروينا أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما نزلت عليه هذه الآية سأل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عن تأويلها؟ فقال له: حتى أسأل العالم، ثم ذهب ثم أتاه فقال يا محمد: إن الله يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عن من ظلمك[(١)].

---

(١) أخرجه ابن مردويه في تفسيره: قال أخبرني الحسين بن علي النيسابوري فيما أجازه لي، ثنا محمد بن أحمد بن يحيى الأنطاكي، ثنا إبراهيم بن محمد المديني، ثنا عبد الله بن نافع بن ثابت الزبيري، ثنا عبد العزيز بن عبد الله الماجشون عن محمد بن المنكدر عن جابر به.
عزاه له الحافظ الزيلعي في تخريجه على تفسير الكشاف: ١/٤٧٦ ـ ٤٧٧، رقم: (٤٨٢)، وساقه أيضاً من حديث قيس بن سعد بن عبادة، قال: حدثنا أحمد بن إسحاق بن نيخاب=

وقال له: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ...﴾ [لقمان: ١٧] الآية، وقال: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، (٦٥/أ) وقال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ...﴾ [النور: ٢٢] الآية، وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

قال أئمتنا رضي الله عنهم: كل حليم قد عرفت منه زلة، وحفظت عنه هفوة، وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبرًا، وعلى إسراف الجاهل إلّا حلمًا.

وروينا في الصحيح[1] عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلّا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها.

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته، وشج جبينه يوم أحد، شق ذلك على أصحابه شديدًا وقالوا: لو دعوت عليهم؟

فقال: «إني لم أبعث لعانًا، ولكن بعثت داعيًا ورحمة، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»[2].

وروينا عن عمر رضي الله عنه أنه قال في بعض كلامه: بأبي أنت وأمي يا رسول

= الطيبي، ثنا محمد بن يونس، ثنا عبد الله بن داود الخريبي، ثنا عبادة بن مسلم عن العلاء بن بدر، عن قيس بن سعد بن عبادة مرفوعاً به.

وقد أخرجه مرسلاً ابن أبي حاتم في تفسيره: ٢٥٣/٤، رقم: (٩٤٤٩).

(١) أخرجه البخاري في الصحيح: ١٣٠٦/٣، رقم: (٣٣٦٧).

ومسلم في الصحيح: (٢٧/٢٣٢٧).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بهذا اللفظ عن عبد الله بن عبيد، وقال: مرسل.

انظر: مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا: ٦٠، رقم: (١٦٨).

الله لقد دعا نوح قومه فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا، فلقد وطئ ظهرك، وأدمي وجهك، وكسرت رباعيتك، فأبيت أن تقول إلّا خيرًا، فقلت: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)[1].

وقد تكلم القاضي أبو الفضل[2] رضي الله عنه (٦٥/ب) على هذا الأمر بكلام حسن، وتكلمت في شرحه بما لو أوردت بعضه لخرجنا للطول عن الغرض.

[الكلام على العدل]

ولما قال له القائل: اعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، لم يرد في جوابه أن يبين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له، فقال: «ويحك فمن يعدل إن لم أعدل، خبت وخسرت إن لم أعدل»، ونهى من أراد من أصحابه قتله[3].

---

(١) قال الحافظ السيوطي في مناهل الصفا: ٦٠، رقم: (١٦٩) عن هذا الحديث أنه لا يعرف، وأيده الحافظ السيد أحمد بن الصديق الغماري في تخريجه للشفا المسمى بالاكتفا: (١٥٧ مخطوط) فقال: (هذا الكلام ذكروا أن عمر رضي الله عنه قاله للنبي صلى الله عليه وسلم عند وفاته يخاطبه وهو مسجى صلى الله عليه وسلم، ولكن لا وجود له في شيء من كتب السنة المسندة التي بين أيدينا، والغالب أنه من تركيب القصاص والوعاظ، إذ لو قاله عمر رضي الله عنه في مثل هذه الحالة لنقل غالباً في كثير من كتب السنة، وقد قال كل من ابن قطلوبغا والسيوطي والدلجي أنهم لم يجدوه أيضاً، فالله أعلم).

(٢) في الشفا: ٨٢/١ فقال: (انظر ما في هذا القول من جماع الفضل، ودرجات الإحسان، وحسن الخلق، وكرم النفس، وغاية الصبر والحلم، إذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا عنهم، ثم أشفق عليهم ورحمهم، ودعا وشفع لهم فقال: اغفر أو اهد، ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله: (لقومي) ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال: (فإنهم لا يعلمون).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح: ١١٤٨/٣، رقم: (٢٩٨١). =

ولما تصدى له ابن الحارث غورث أو دعثور[1] على اختلاف في اسمه ليفتك به، ورسول الله ﷺ تحت شجرة وحده قائلاً والناس قائلون في غزاةٍ فلم ينتبه رسول الله ﷺ إلّا وهو قائم والسيف صلتاً في يده، فقال: من يمنعك مني؟

فقال: «الله».

فسقط السيف من يده، فأخذه النبي ﷺ وقال: «من يمنعك مني»؟

فقال: كن خير آخذ. فتركه، وعفا عنه، فجاء إلى قومه وقال: قد جئتكم من عند خير الناس[2].

[العودة إلى فضل العفو]

وعن أنس رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ وعليه برد غليظ له حاشية فجبذه أعرابي بردائه جبذة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه، ثم قال: يا محمد احمل لي[3] على بعيري هذين من مال الله الذي عندك، فإنك لا تحملني من مالك ولا من مال أبيك.

فسكت النبي ﷺ (٦٦/أ) وقال: «المال مال الله، وأنا عبده» ثم قال:

= ومسلم في الصحيح: (١٠٦٢/١٤٠).

(١) في الأصل: أو غورث كررت مرتين، والصواب ما أثبته من كتاب غوامض الأسماء المبهمة للحافظ ابن بشكوال: ٣٩٠/١ ـ ٣٩٢ وذكر الخطابي احتمالاً آخر لاسمه وهو غويرث.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ البيهقي في دلائل النبوة: ٢٧٣/٣ ـ ٣٧٦، وهو في الصحيحين بدون ذكر سقوط السيف.

(٣) في الأصل وب: احملني وما أثبته من الشفا: ١٧٤/١.

ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي.

قال: لا.

قال: ولم؟

قال: لأنك لا تكافئ بالسيئات السيئة.

فضحك رسول الله ﷺ، ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير، وعلى الآخر تمر[1].

قال القاضي أبو الفضل[2] رحمه الله: والحديث عن حلمه ﷺ وصبره وعفوه عند المقدرة أكثر من أن يأتي عليه.

وحسبك بما ذكرناه، فما في الصحيح والمصنفات الثابتة إلى ما بلغ متواتراً مبلغ اليقين من صبره على مقاسات قريش، وأذى الجاهلية، ومصابرة الشدائد الصعبة إلى أن أظهره الله عليهم، وحكمه فيهم، وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم، وإبادة خضرائهم، فما زاد على أن عفى وصفح وقال: «ما تقولون أني فاعل»؟

قالوا: خيرًا أخ كريم، وابن أخ كريم.

فقال: «أقول كما قال أخي يوسف ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾» [يوسف: ٩٢][3].

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ البيهقي في الأدب: ١٢٥ ـ ١٢٦ من حديث أبي هريرة.
وهو عند البخاري في الصحيح: ١١٤٨/٣، رقم: (٢٩٨٠) ومسلم في الصحيح: (١٢٨/١٠٥٧) كلاهما من حديث أنس بنحوه.

(٢) في الشفا: ٨٤/١.

(٣) أخرجه ابن زنجويه في الأموال عزاه له السيوطي في مناهل الصفا: ٦٢، رقم: (١٧٩). =

وقد استوفيت الكلام على هذا الأصل في كتاب: «بوح الخفا في شرح الشفا» والوارد في الباب أكثر من أن يحصر، وقد قيل: الانتصار عدل، والعفو فضل، وفضل الله أحب إلينا.

وروي مرفوعًا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (ينادي منادٍ يوم القيامة من كان له على الله أجر (٦٦/ب) فليقم، فلا يقوم إلا من عفى في الدنيا)[1].

[العفو عند المقدرة]

وقال الفاروق رضي الله عنه: أفضل العفو عند المقدرة، وأفضل القصد عند الجدة.

ولما دخل عيينة بن حفص على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أحد المؤلفة قال له يا ابن الخطاب: والله ما تعطينا الجزل، ولا تأمر فينا بالعدل، فغضب عمر رضي الله عنه وهمَّ أن يوقع به، فقال له الحر ابن أخيه: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وإن هذا من الجاهلين، فوالله ما جاوزها عمر رضي الله عنه. وكان وقافًا عند كتاب الله عز وجل، وكان يقال: إن أولى الناس بالسلطان أحقهم بالرأفة والرحمة.

وقال سليمان بن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: لقد أبغض الله المتسرعين إلى هرق الدماء، وإلى هرق الدماء انتهت القسوة والغلظة والتباعد من الرحمة.

ومن المحفوظ: الكف عن الدماء مؤذن بالبقاء، والتسرع إلى إراقة الدماء قاضٍ بسرعة المحن والبلاء.

= وهو عند البيهقي في دلائل النبوة: ٥/٥٨، وأبي الشيخ في كتابه أخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ٤٨.

(١) أخرجه العقيلي في الضعفاء: ٣/٤٤٨، بنحوه من حديث أنس بن مالك وفيه الفضل بن يسار.

وقال معاوية ﷺ: إني لأرفع نفسي عن أن يكون ذنب أعظم من عفوي، وجهل أكبر من حلمي، وعورة لا يوازيها ستري.

وقال المأمون: ليس علي في العفو (٦٧/أ) مؤونة، ولوددت أن أهل الجرائم علموا رأيي في العفو، فيذهب الخوف عنهم، فتتخلص لي قلوبهم.

وقال عمر بن عبد العزيز ﷺ: ما قرن شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم، ومن عفو إلى قدرة.

وشفع الأحنف في محبوس عند السلطاني فقال له: إن كان مذنبًا وسعه الفضل، وإن كان بريئاً وسعه العدل.

وقال رجل للمنصور يا أمير المؤمنين: إن الانتقام انتصاف، والتجاوز فضل، والمتفضل قد جاوز حدَّ المنتصف، ونحن نعيذ أمير المؤمنين أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين، وأن لا يرتفع إلى أعلى الدرجتين، فاعف عنا يعف الله عنك، فعفى عنه.

وقال بعضهم لمسلم بن قتيبة لما عفى عنه: والله ما أدري أيها الأمير أي يوم أشرف أيوم ظفرت أو يوم عفوت؟

وقال بعض الحكماء:

وإذا بغـــى بـــاغٍ عليـــك بجرمـــه فاقتلـــه بـــالمعروف لا بـــالمنكر

ورُفع إلى أنو شروان أن العامة تعاتب الملك في معاودة الصفح عن المذنبين مع تتابعهم في الذنوب، فوقع المذنبون مرضى، ونحن أطباء، وليست معاودة الداء إياهم بمانعنا من معاودة العلاج لهم.

وقيل لبعض الحكماء: بلغ أمير المؤمنين عنك أمر سوء، فقال: إذًا

لا أبالي، فقيل له: ولم لا تبالي؟ (٦٧/ب) فقال: إن كان حقًا وسعني عفوه، وإن كان كذبًا وسعني عدله.

وقال رجل لعبد الملك لما ظفر بالمهلب ما رأيت أحدًا يا أمير المؤمنين ظلم ظلمك، ولا نصر نصرك، ولا عفى عفوك.

وقال بعض التابعين: المعاقب مستدعٍ لعداوة أولياء المذنب، والعافي مستدعٍ لشكرهم، ومكافأتهم أيام قدرتهم، ولأن يثنى عليك باتساع الصدر خير من أن تنسب إلى ضيقه، وإقالة العثرة موجبة لإقالة عثرتك من ربك، وعفوك عن الناس موصول بعفو الله عَزَّوَجَلَّ، وعقابك لهم موصول بعقاب الله سبحانه لك، والله يحب العافين.

وقال المنصور: عقوبة الأحرار التعريض.

وقال المأمون رحمة الله عليه.

لما رأيت الذنوب جلت عن المجازات بالعقاب
جَعَلْتُ فيها العقاب عفوًا أمضى من الضرب للرقاب

قال الأحنف: لا تزال العرب بينة الفضل ما لم تعد العفو ضيمًا، والفداء شرفًا.

وقال الحكيم: إذا انتقمت فقد انتصفت، وإذا عفوت فقد تفضلت.

وأتى موسى الهادي برجل قد جنى فجعل يقرعه بذنوبه ويهدده، فقال الرجل: إن اعتذاري مما تقرعني به رد عليك، واقراري بما ذكرت ذنب، ولكني أقول: فإن كنت ترجو في العقوبة راحة فلا تزهدن عند المعافات (٦٨/أ) في الأجر، فأمر بإطلاقه.

قلت: وأنشد بعض أشياخي للكاتب أبي الحسن علي بن محمد المصري في الباب ما تحسن المحاضرة به، وخاطب به الصاحب بهاء الدين بن حنا لما منعه رزقه رحمة الله عليهما:

لا تقطعن عادة برٍّ ولا تجعل عقاب المرء في رزقه
واحرص على العفو فإن الذي نرجوه عفو الله عن خلقه
وإن بدت من مذنب زلة فاستره بالاغضاء واستبقه
فإن إثم الإفك من مسطح يحط قدر النجم عن أفقه
وقد جرى منه الذي قد جرى وعوتب الصديق في حقه

أشار إلى سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ...﴾ [النور: ٢٢] الآية نزلت في الصديق ﷺ لما حلف أن لا يعطي مسطحًا ـ وكان قريبه ـ نفقة ولا يصله بمعروف، لأنه كان قد خاض فيمن خاض في حديث الإفك حسبما جاء في الصحيح[١].

وقال برزجمهر في معنى قولهم ليكن عقابك للتقويم لا للانتقام، وللزجر لا للهوى، لا ينبغي للملوك أن يكرموا أحدًا بهوان من ليس للهوان أهلاً، ولا أن يهينوا أحدًا بكرامة من ليس للكرامة أهلا، وتكن على الإساءة أقوى منك على الإحسان، ولا إلى البخل أسرع منك إلى البذل (٦٨/ب).

قلت: وكان في هذا الخليفة، قال الأول ولم يعده:

صفوح عن الإجرام حتى كأنه من العفو لم يعرف من الناس مجرمًا
فليس يبالي أن يكون به الأذى إذا ما الأذى بالكره لم يغش مسلمًا

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح: ٢/٩٤٢ ـ ٩٤٦، رقم: (٢٥١٨).

وقال جده الفاروق ﷺ: الغالب بالشَّر مغلوب، وما ظفر من ظفر بالإثم.

وقيل لإفلاطون الحكيم: أي شيء من أفعال الناس يشبه أفعال الله تعالى؟

فقال: الإحسان إلى الناس.

وقال بعض الحكماء: السيد الذي لا يشين حسن الظفر، بقبح الانتقام، وخير مناقب الملوك العفو.

وكان يحيى بن معاذ ﷺ يقول: سبحان من أذل العبد بالذنوب، وأذل الذنب بالعفو، إلهي إن عفوت فخير راحم، وإن عذبت فغير ظالم، إلهي إن كنت لا ترضى إلّا عن أهل طاعتك فكيف يصنع الخاطئون، وإن كان لا يرجوك إلّا أهل وقايتك فلمن يستغيث المستغيثون.

وقال الشاعر:

وإن الله ذو حلـــم ولكـــــن بعـــز الحلـــم ينـــتقم الحلـــيم

ولما وفد عقيل بن أبي طالب ﷺ على معاوية ﷺ أمر له بمائة ألف، فلما أراد الانصراف رأى في الطريق جارية بأربعين ألف درهم فرجع إلى معاوية فأخبره، فقال: وما تصنع بها؟

قال: تلد لي غلامًا فإن أغضبتني (٦٩/أ) يضرب مفرقك بالسيف.

فأمر له بها، فابتاعها فولدت مسلم بن عقيل، ثم قدم مسلم الشام فابتاع منه معاوية ضيعة، فبلغ الحسين بن علي ﷺ الخبر فكتب إلى معاوية إنا لا نجيز بيع مسلم. فقال: هذا كتاب الحسين يأمر برد المال.

فقال مسلم: أما دون أن أضرب مفرقك بالسيف فلا.

فضحك معاوية وقال: والله لقد تهددني أبوك بذلك قبل أن يشتري أمك.

فقال الحسين حين بلغه: غلبنا معاوية حلمًا وجودًا ﷺ.

وحكي أن المعتصم خرج عليه رجل من أوس بن ثعلبة يقال له: تميم ابن جميل، فوجه إليه المعتصم العساكر فأخذ أسيرًا، فأمر بضرب عنقه، وكان وسيمًا، فأحب المعتصم أن ينظر أين جنانه وبيانه من حسن وجهه، فقال تكلم يا تميم، إن كان لك عذر فأت بعذرك وأدل بحجة.

فرفع رأسه فقال: أما إذا أمر أمير المؤمنين فالحمد لله الذي أحسن كلَّ شيء خلقه، وبدأ خلق الإنس من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، يا أمير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين، ولَمَّ بك شعث المسلمين، وأخمد بك شهاب الباطل، وأنار بك سبيل الحق يا أمير المؤمنين، إن الذنوب تخرص الألسنة، وتصدع الأفئدة، وأيم الله لقد عظمت الجريرة (٦٩/ب)، وانقطعت الحجة، وعظم الجرم، ولم يبق إلّا عفوك أو انتقامك، وأنت للعفو أقرب، وهو بك أليق وأشبه، ثم أنشأ يقول:

أرى الموت بين السيف والنطع كامنًا ... يلاحظني من حيث ما أتفلتُ

وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي ... وأي امرئ مما قضى الله يفلتُ

وأي امرئ يدلي بعذر وحجة ... وسيف المنايا بين عينيه مصلتُ

يعز على الأوس بن ثعلب موقفٌ ... يسل على السيف فيه وأسكتُ

وما جزعي أني أموت وإنني ... لأعلم أن الموت شيءٌ مؤقتُ

ولكن خلفي صبيةً قد تركتهم ... وأكبادهم من حسرة تتفتتُ

كأني أراهم حين أنعى إليهم ... وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتُ

فـإن عشـت عاشـوا طيبـين بغبطـةٍ　　　أذود الـردي عـنهم وإن مـت مـوتُ

فبكى المعتصم وقال: إن من البيان لسحرا كما قال ﷺ[1]، كاد والله يسبق السيف العذل يا تميم، قد وهبتك لله ولرسوله ﷺ ولصبيتك، وعفوت عن زلتك، ثم عقد له ولاية على عمل، وخلع عليه وأعطاه وأرضاه.

قلت: قد أودعت من هذا الباب في تأليفي الذي سميته بـ «العفو والغفران ومقابلة الإساءة بالإحسان» وعارضت به كتاب: «العفو والاعتذار» ما فيه غنى وشفى وإجادة ليس (٧٠/أ) بها خفاء، وماذا يعد من أوصاف هذا الخليفة الإمام، وهي لو دونت لاستفرغت الأمدّة والأقلام، فجزاه الله عن خلافته ورعيته خير جزاء الخلفاء الأعلام، والأئمة الكرام، وأبقاه رحمة للأنام، وحسنة في الأيام، وأفاض على رعيته عدله وفضله وإحسانه على الدوام.

وقد ورد من كلام بعض السلف رضي الله عنهم من كانت له دعوة مستجابة فليجعلها في السلطان، ونحن نسأل الله تعالى لهذا الخليفة صلاح الأحوال، ونجاح الأعمال، وبلوغ الآمال، وقرة عين في النفس والأبناء والأولياء والأموال، وطول عزٍّ في طاعة ذي الجلال، ورضي الله عز وجل في كل حال، ونثني على فضله المألوف، ومعروفه المعروف بأطيب ثناء، وأقطع مقال، ونخلص الأدعية له على الدوام والاتصال.

** ** **

(١) تقدم تخريجه في أول الكتاب.

تكميل وتذييل

[اعتراف بالجميل لسلاطين الدولة الحفصية]

قلت: وإنما استرسلت في ذكر هذه الخصال، وأوردت ما ورد في فضلها والتخلق بها مما اتسع بها الكلام وطال، إعلامًا بأنها أفضل السير وأكرم الخلال، وبيان لمن سلف من علمائنا رحمة الله عليهم في إيرادها لعزتها، وإكثار (٧٠/ب) من محمدتها لندورها في الوجود وقلتها، وبأن خليفتنا رضوان الله عليه حمل رايتها، وحصَّل غايتها، وانفرد بها فيما أدركناه من الأعصار، وما انتهى إلينا فيما قاربها من السير المأثورة عنه والآثار.

وليعلم ﷺ أنها نعمة من الله سبحانه، خصه بها فيشكرها ويستزيد منها فيزيده الله من أمثالها ما يعجز عن أن يحصيها أو يحصرها.

وليعلم أن قبض اليد عن الانتقام موجب لدوام الإنعام، وحفظ نظام الملك على الدوام، وقد أوردنا من ذلك ما يشهد بصحته من كلام الحكماء والآثار المأثورة عن الأئمة العلماء، فهي ﷺ بشرى بدوام الملك واستصحابه، وحفظه في آله وذريته ومن انتهى إلى جنابه، والله يعلم أني لم أر فيمن رأيت من الملوك رحمة الله عليهم وإن كثروا، وبخلال الفضائل وفضائل الخلال اشتهروا، من دانه في العلم والحلم، وقاربه في الإدراك والفهم، وساواه في الخصلتين المحبوبتين لله الحلم والأناة، وحاذاه في العقل والحياء، وجاراه في الفضل والوفاء، ورعاية الكبراء، والمعرفة بمقادير الفضلاء، والمبرة بالعلماء، وإطابة

ذكر الأولياء، والثناء على من لاذ (٧١/أ) بجنابه الكريم من الخلصاء، والتجافي عن ذكر الأعداء، والتماس المعاذير للجهلاء، والشدة على أهل العداء، والسطوة على الأقوياء، والرحمة للضعفاء، وتأنيس الغرباء، والتهمم في جزيل الإحسان وواسع البذل والعطاء، وسدل الستر على ذوي العثرات والخطأ، إلى أمثال هذه الخصال التي يعجز عنها المعترض لها، والمفصل لجملتها على الاستقصاء.

ولو شرعت في استقصاء خلاله الكريمة وتهذيبها، وتفصيل مكارمه العميمة وتبويبها، وجمعت أمهات ملخصها ومحصولها، وأوضحت أنواع بيانها وتحصليها، لجئت بالبحر المحيط غريبًا مصنفًا، ولكنت بقية العمر لمفترقها مؤلفًا، ومع ذلك فلا يقول قاضي العقل فيه استقل ولا أكتفي.

[ثناء على الكتاب]

وقد بهرت ولله الحمد والمنة دلائل ما ادعيته، وظهرت براهين ما آثرته وتخيرته، وصدقت والله المشكور مقدمات ما استنتجته، ولاح صباح ما حبرته وجمعته، وتجلى فجر نهاره، واتضح ما أشرق من أنواره، وبان للمنصف وجه إيثاره، ونور إبداره، ثم أقول إنه لابد بحسب جري العوائد من اعتراض معترض، ونقد ناقد (٧١/ب)، فقديمًا قد قيل: من ألَّف فقد استهدف، وأنا إن شاء الله تعالى أورد ما أقدر أن يورده المنتقد في هذا المقتضب عليَّ، ويفوقه من سهر اعتراضه إليَّ، وحسبي الله ونعم الوكيل.

○ **فللمعترض أن يقول**: يا هذا لقد أطلت وأكثرت وأسهبت فيما زعمت وأطنبت، وأنت قد تعرضت لغير ما عنه سئلت، وحملت نفسك في المسألة فوق ما حملت، ورأيت أنك قد أغربت، وعما استعجم عن غيرك أعربت،

وليس الأمر يا هذا كما زعمت، ولا على الوجه الذي قررت، وبه أهممت، وغايتك كلام غيرك أوردت، وما تقدمك به من تقدم جلبت فقصارك نسخت.

[جواب المعترضين]

◉ فأقول: في جوابه قف أيها المنتقد في مكانك، وأقبل إن كنت موفقًا على شأنك، واسلك سبيل الإنصاف إن كنت منصفًا، ولاتك عن الاعتراف بالحق والصدع به متوقفًا، أما ما اعترضت به من الاتساع والإطالة، ومطاوعة القلم في المجارات المطلقة والإجالة، فهو بحسب ما اقتضاه المقام، وما يليق أن يقع به الافتتاح والاختتام.

[تلخيص لمادة الكتاب]

أما ما أوردته في الخطبة من تقرير الحال وتمهيده، والإعلام بموجب (٧٢/أ) تفريق الذهن وتبديده، فلتمهيد المعذرة عن الفكرة المقصرة.

وأما ما أودعته من الثناء على هذا المقام، فلما أوجبه الشرع من شكر الإنعام، وورد في ذلك من الأخبار الصحيحة والآثار المعتمدة ما أسنده الأئمة الأعلام، وما أشرت إليه من الحمد والثناء على ما اشتملت عليه حضرتهم العلية من علية العلماء، وكبار الفقهاء، والاعتراف بمالهم من التقدم على الولاء، والإقرار بأني مقصر عن مداهم، وأني لا أتخطى مراتبهم وأتعداهم، فالاعتراف بالحق إنصاف، والسكوت عن إبداء الواجب فيه عدول عن النهج القويم والسبيل المستقيم وانحراف، وحق على طالب العلم تعظيم أهله، ووضع الثناء عليهم في محله، والله يعلم أني اعترفت بذلك بالحق اللازم والمعتقد الجازم.

وما أوردته في أثناء ذلك من تقلبات الزمان وتغير الأحوال والنكبات

العارضة في دار المحن والانتقال، وموجب الهجرة والارتحال، فموعظة للواقف عليه وتذكرة، ولأن أذكر فضل الله عَزَّوَجَلَّ وأشكره، وزيادة في التمهيد لقبول المعذرة.

وما أوردته في ليلة القدر من الأحاديث والآثار، وكلام أئمة (٧٢/ب) التفسير ونقلة السير والأخبار، وما انضاف إلى ذلك من الشواهد، واتصل به من الفوائد، فاستيفاء لحقها، واستقصاء لما ورد في فضلها، وما يتعلق بها، ويدخل من الحكم والأحكام تحت ذيلها، واستيفاء لما عسى أن يورده المورد في استدلاله، ويرجع إليه في برهانه القياسي واعتلاله.

وما أوردته في ليلة المولد الشريف من الآيات، وجلبته من الخوارق وللعادات، واستكثرت من إيراده من جمل من المصنفات، فلما اعتمدت في أدلة التفضيل، ورجعت للاحتجاج بمقتضياته على التفصيل.

[سبب الاستطراد]

○ **فإن قال قائل**: فهلا اقتصرت على ما ذكر فيه موجب الفضل، وأضربت عما وقع فيه من الطول الممل؟

◉ **قلت**: ما قفيته بعد ذكر الفضائل من التواريخ الخبرية والنكت الأدبية، والفوائد المكملة، والقواعد الأصولية والمصطلحات الجدلية، والقضايا المنطقية، فهو صلتها التي توقفها على معرفته لا يجهل، وإيراد مثلها في الأدلة التفصيلية لا يهمل، ومن تأملها حق التأمل علم أنها ليست بدخيلة، وأنها في جنب ما يحتمله المحل قليلة.

○ **فإن قال**: ما أوردته (٧٣/أ) من الأدلة ونوعته، وفصلته من الحجج

وحصلته، وأوهمت به الاستكثار من الدلائل، وإن كثرت في العدِّ فهي قلائل، وبعضها في البعض متداخل، فهلا اقتصرت منها على الأقل المشيد مبناه، المتفق غير المتكرر معناه.

◉ **قلت:** شأن كبار الأئمة، ومشاهير علماء هذه الأمة، الاستكثار من الأدلة وإن تداخلت، وتنويع طرقها وإن اتحدت، فمهما اختلفت ولو بأدنى تباين نوعت، ومتى افترقت، بنوع ما من الاختلاف فرقت، ومن مارس كلام الإمام فخر الدين في مطولاته، وتفسيره وكثير من موضوعاته، وكلام الآمدي وغيرهما ممن يهتدى بهديه، ويقتفى منهج سبيله، ويعتمد على تحصيله وتأصيله، علم أنه سبيل سلكه الفضلاء، فلا يمتنع بعلم وإن قصر الخطو عن مداهم الاقتداء.

○ **فإن قال:** وما ذكرته في الخاتمة أي مناسبة بينه وبين ما وقع عنه السؤال، وما الذي دعا إلى الاستكثار منه والاسترسال؟

◉ **قلت:** قد قدمت لك ما أوجبه الله على العباد من شكر الآلاء، ومقابلة المحسن بالثناء، مع ما سبق تقريره، وتكرر تسطيره.

○ **فإن قال:** جميع ما رسمته وسطرته، ونقلته (٧٣/ب) وجمعته، وجلبته وانتقيته، معلوم لدى من صدر منهم أيدهم الله تعالى الأمر بالجواب، وعند من شاركك في هذه القضية من الأصحاب، فهلا اقتصرت على موضع الدلالة، واجتزيت فيما أوردته من النصوص بالإحالة، فمعرفتهم بمظانها معروف، وقيامهم على أصول ما اعتمدت على النقل منه متحقق مألوف.

◉ **قلت:** أما هذا فسؤال لعمرك في أحد الطرفين لازم الورود، وفي الطرف الآخر متعقب مردود، وأما إحاطة علم من أيدهم الله وأعلاهم، وإلى

مراقي المراتب العامة أسماهم، وتحصيلهم لأصولها، معرفتهم مجملها وفصولها، وتحقيقهم أيدهم الله لفروعها وأصولها، وقيامهم على الدواوين التي اعتمدتها، والأصول التي من مضمونها استخرجتها، وأن ما جئت به فنقطة من زاخر بحر علمهم، وما أقمته برهانًا فهو لمحة من خطرات ثاقب فهمهم، فعذري عنه ما قدمته، وفي أول هذا المقتضب أودعته، من أني إنما أتيت فيه بما رسموه، وأبديت فيه وجه ما علموه، وأوضحت المنهج الذي أوضحوه، وسلكت السبيل الذي نهجوه، فهي بضاعتهم ردت إليهم، والإفادة فيه مقصورة عليهم.

ولم يزل (٧٤/أ) هذا دأب علماء الخلفاء رضي الله عنهم في كل زمان، ولهم في ذلك مقاصد معروفة الاستحسان، منها تشحيذ الأذهان، والتحريض على ما يعود عليهم بالمثوبات الجزيلة والخيرات الحسان، والتنافس في الخير العائد بالنفع ما تعاقب الأزمان، وتنبيه الهمم العاجزة، وإيقاظ الفكر الفاترة، وإعلاء مقادير طلبة العلم وأهله، والحث على تحصيله وحمله، والتحريض على المسارعة لإحراز فضله، وأما في الطرف الآخر فمحل نزاع، على أنه لا ينكر حصول الاستفادة بجلبه والانتفاع.

[خاتمة متعلقة بفضل الاستغفار]

والآن آن أن نختم هذا المجموع المقتضب بالاستغفار، وما جاء في الختم من الدعاء الثابت في صحيح الأخبار، فروينا عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم آخرين يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم». رواه مسلم[1].

---

(١) في الصحيح: (٢٧٤٩/١١).

وروينا عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة رب اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم». أخرجه أبو داود[1] والترمذي[2] وقال: حديث صحيح.

وروينا عن ابن عباس (٧٤/ب) رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا، ومن كلِّ هم فرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب». رواه أبو داود[3].

وروينا عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر».

أخرجه أبو داود[4] والترمذي[5] والحاكم[6] وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم.

وروينا عن شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني، وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلّا أنت، من قالها في النهار موقنًا

---

(١) في السنن: ٢/٢٩٤، رقم: (١٥١١).

(٢) في الجامع: ٥/٤٣٣ ـ ٤٣٤، رقم: (٣٤٣٤). في نسختي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٣) في السنن: ٢/٢٩٥، رقم: (١٥١٣).

(٤) في السنن: ٢/٢٩٤ ـ ٢٩٥، رقم: (١٥١٢) من حديث زيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه.

(٥) في الجامع: ٥/٤٠٣، رقم: (٣٣٩٧). من حديث أبي سعيد الخدري.

(٦) في المستدرك: ٢/٤٥٠، رقم: (٢٥٩٦).

بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة». رواه البخاري[1].

وقوله: «أبوء» بباء مضمومة وواو ممدودة، ومعناه: أقر وأعترف.

فنختم بالاستغفار مما عسى أن يتضمنه هذا المجموع من خلل في النية، أو خطأ (٧٥/أ) في اللفظ، أو إهمال لحق أو إغفال لواجب، أو تقصير في متعين، ونسأله التوبة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

[حديث وقع عالياً لابن مرزوق يرويه بإسناده]

وأختم بما ختم به شيخ أشياخنا محب الدين الطبري فنقول: حدثنا شيخنا الإمام زين الدين أحمد بن محمد بن الإمام محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري المكي[2] بحرم الله تعالى حدثنا جدي أحمد بن محمد حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن المقيّر البغدادي تجاه الكعبة المعظمة زادها الله تعظيمًا وتشريفًا أخبرتنا الشيخة الصالحة العالمة الكاتبة فخرة النساء شهدة بنت أحمد بن الفرج الدينورية البغدادية قراءة عليها وأنا أسمع ببغداد مدينة السلام قالت: أخبرنا النقيب الكامل أبو الفوارس طراد بن محمد بن علي الزينبي أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران المعدل أخبرنا أبو علي الحسن بن صفوان البرذعي قراءة حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا حدثنا

---

(١) في الصحيح: كتاب الدعوات: ٥/٢٣٢٣ - ٢٣٢٤، رقم: (٥٩٤٧).

(٢) سمع على جده المحب الطبري سنن أبي داود خلا باب لبس القباطي إلى آخرها، وسنن النسائي، والتنبيه لأبي إسحاق وغير ذلك، توفي سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة بمكة ودفن بالمعلاة.

انظر ترجمته: ذيل التقييد: ٢/١٤٣ - ١٤٤، رقم: ٠٧٢٦ والدرر الكامنة: ١/٢٥٩.

داود بن عمرو الضَّبي حدثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن خالد بن أبي عمران أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قل ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من المجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات (٧٥/ب) لأصحابه: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا».

قال المحب الطبري[1]: هذا حديث حسن مليح عالٍ وقع لنا عاليًا أخرجه الإمام أبو عيسى الترمذي في جامعه[2] عن علي بن حجر عن ابن المبارك، وأخرجه النسائي في اليوم والليلة[3] عن سويد بن نصر عن ابن المبارك، فوقع لنا بدلاً عاليًا، ولله الحمد والمنة.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وقد روى بعضهم هذا الحديث عن خالد بن أبي عمران عن نافع عن ابن عمر.

---

(١) ذكره في كتابه غاية الإحكام في أحاديث الأحكام: ٢/٤١٣، رقم: (٣٢٣٣) وقال عقبه: أخرجه الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا، والحافظ أبو منصور في جامع الدعاء الصحيح.

(٢) كتاب الدعوات: ٥/٤٨١، رقم: (٣٥٠٢).

(٢) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة: (٤٠١) وابن السني في عمل اليوم والليلة: (٤٤٠).

(٣) كتاب الدعوات: ٥/٤٨١، رقم: (٣٥٠٢).

(٣) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة: (٤٠١) وابن السني في عمل اليوم والليلة: (٤٤٠).

[الحديث المسلسل بختم المجلس بالدعاء]

قلت: وحدثني شيخنا شهاب الدين زين التجار أحمد بن جمال الدين قاضي القضاة بحرم الله تعالى، فلما فرغت من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء، حدثنا إمام الحرم أبو العباس أحمد بن جمال الدين المكي الشافعي قراءة عليه فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم (٧٦/أ) المجلس بالدعاء أخبرنا الشيخ المعمر أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي حرمي فتوح الكاتب المكي فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء، فقال أخبرنا الشيخ الإمام الحافظ أبو حفص عمر بن عبد المجيد الميانشي سماعاً عليه بالمسجد الحرام، فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء، أخبرنا القاضي الإمام جمال الدين والإسلام قاضي الحرمين الشريفين أبو المظفر محمد بن علي الشيباني الطبري، فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء، أخبرنا الشيخ الإمام الأوحد مفتي الحرمين أبو طاهر يحيى بن محمد المحاملي فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء [قال: أخبرنا أبو الحسن جابر بن ياسين الحنائي، فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء][1] أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن بن العباس المخلص، فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء، حدثنا أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن بهلول بن حسان التنوخي فلما فرغ من القراءة دعا لنا، وختم المجلس بالدعاء، حدثنا أبي فلما فرغ من القراءة دعا لنا، وختم المجلس بالدعاء حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء، حدثنا مالك بن أنس رضي الله عنه، فلما فرغ من القراءة دعا لنا، وختم المجلس بالدعاء، حدثنا محمد بن شهاب (٧٦/ب) الزهري، فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس

(١) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل، وما أثبته من المنح البادية، والمناهل السلسلة.

بالدعاء، حدثنا عروة بن الزبير، فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء، قال حدثتنه عائشة ﵂، فلما فرغت من حديثها دعت لنا، وختمت المجلس بالدعاء، وقالت كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من حديثه وأراد أن يقوم من مجلسه يقول: **(اللهم اغفر لنا ما أخطأنا وما تعمدنا وما أسررنا، وما أعلنا، وما أنت أعلم به منا، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت)**[1] انتهى.

اللهم إنا نسألك أن تهب لنا ما سألك نبينا ﷺ، اللهم إنا نتوسل إليك بحرمة نبينا أن تغفر لنا ذنوبنا، وأن تكفر عنا سيئاتنا، وأن تقيل عثراتنا، وأن تستر عوراتنا، وأن تحسن مثابنا، وأن تنصر سلطاننا، وأن تمهد أوطاننا، وأن تبلغنا من خير الدنيا والآخرة أوطارنا، برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد المصطفى، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائماً، والحمد لله رب العالمين.

** ** **

(١) أسنده إلى الرضي الطبري، أبو عبد الله محمد الصغير الفاسي في كتابه المنح البادية في الأسانيد العالية والمسلسلات الزاهية والطرق الهادية الكافية: ١٠٦/٢، والأيوبي في كتابه المناهل السلسلة في الأحاديث المسلسلة: ٣٩٨ ـ ٣٩٩، ونقل عقبه قول إسماعيل العجلوني: أن الحديث المذكور ضعيف غريب التسلسل.

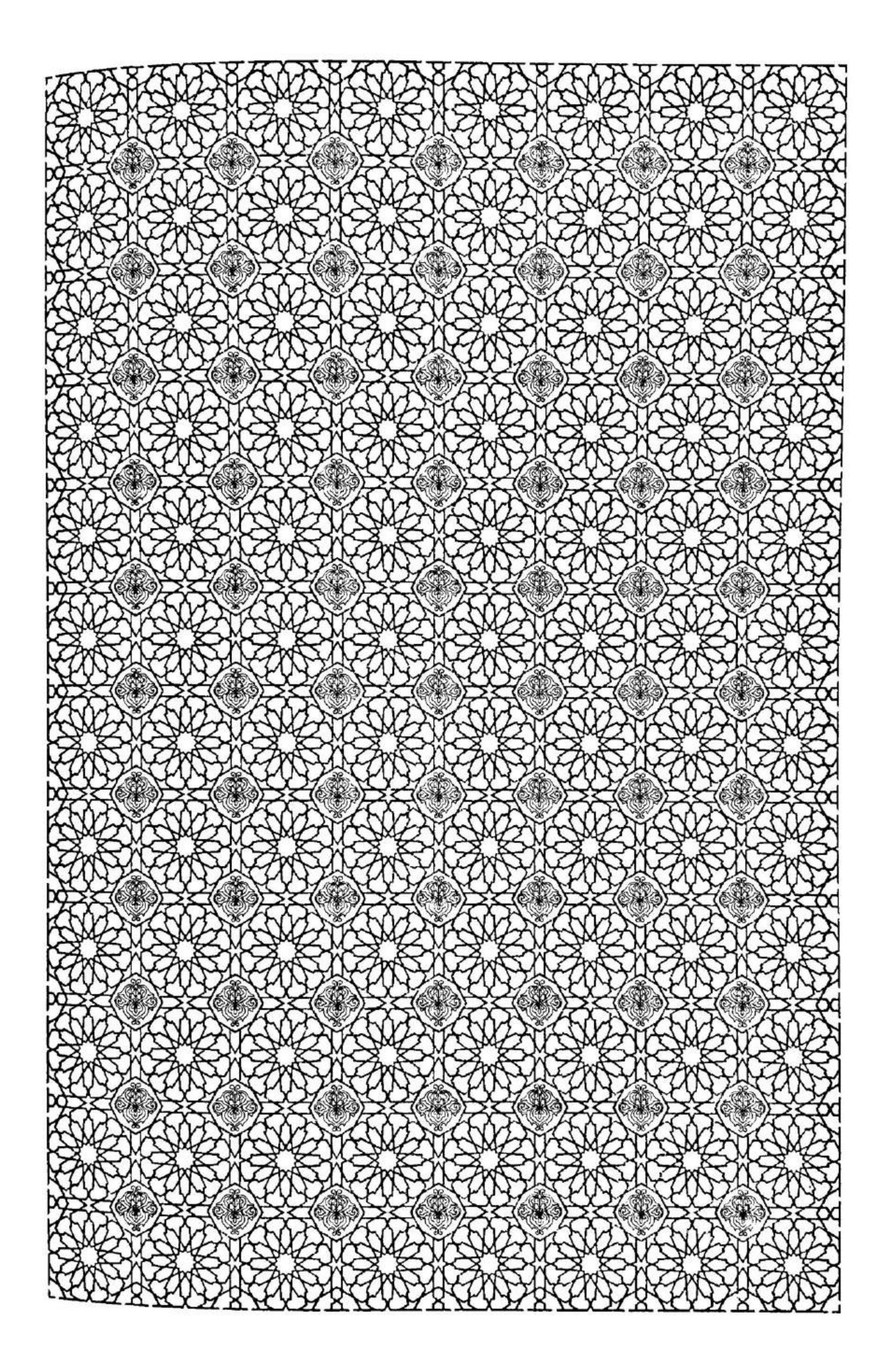


(ملحق)

وهو رد الإمام شهاب الدين
أحمد بن محمد المقري التلمساني
على
الشيخ عمر بن عبد الرحمن بن يوسف الجزنائي

المسمى

الإعلام للقريب والنائي
في بيان خطأ عمر الجزنائي



ترجمة المقري

«أحمد بن محمد بن أحمد المقري القرشي التلمساني»

ولد المقري المكنى بأبي العباس، والملقب بشهاب الدين بمدينة تلمسان سنة ست وثمانين وتسعمائة، قال عن نفسه: وبها ولدت أنا، وأبي، وجدي، وجد جدي، وقرأت بها ونشأت إلى أن ارتحلت عنها في زمن الشبيبة إلى مدينة فاس سنة: (١٠٠٩هـ) ثم رجعت إليها آخر عام: (١٠١٠هـ) ثم عاودت الرجوع إلى فاس سنة: (١٠١٣هـ) إلى أن ارتحلت عنها للمشرق أواخر رمضان سنة: (١٠٢٧هـ).

كان إماماً متفنناً متبحراً في العلوم، احتفلت به البلدان حينما ورد عليها قال المحبي في خلاصة الأثر: (٣٠٥/١) «وأملى صحيح البخاري بالجامع ـ أي الأموي بدمشق ـ تحت قبة النسر بعد صلاة الصبح، ولما كثر الناس بعد أيام خرج إلى صحن الجامع تجاه القبة المعروفة بالباعونية، وحضره غالب أعيان علماء دمشق، وأما الطلبة فلم يتخلف منهم أحد، وكان يوم ختمه حافلاً جدا، اجتمع فيه الألوف من الناس، وعلت الأصوات بالبكاء، فنقلت حلقة الدرس إلى وسط الصحن إلى الباب الذي يوضع فيه العلم النبوي في الجمعيات من رجب وشعبان ورمضان، وأتي له بكرسي الوعظ فصعد عليه، وتكلم بكلام في العقائد والحديث لم يسمع نظيره أبدا، وتكلم في ترجمة البخاري... وكانت الجلسة من طلوع الشمس إلى قريب الظهر... ونزل عن الكرسي

فازدحم الناس على تقبيل يده، وكان ذلك نهار الأربعاء سابع عشري رمضان سنة: (١٠٣٧هـ)، ولم يتفق لغيره من العلماء الواردين إلى دمشق ما اتفق له من الحظوة وإقبال الناس».

توفي بمصر سنة: (١٠١٤هـ).

وقد ترك عدداً من المؤلفات المهمة التي عليها معول الناس منها:

١ ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب.

٢ ـ أزهار الرياض في أخبار عياض.

٣ ـ إضاءة الدجنة من عقائد أهل السنة.

٤ ـ فتح المتعال في مدح النعال. وغير ذلك كثير.

** ** **

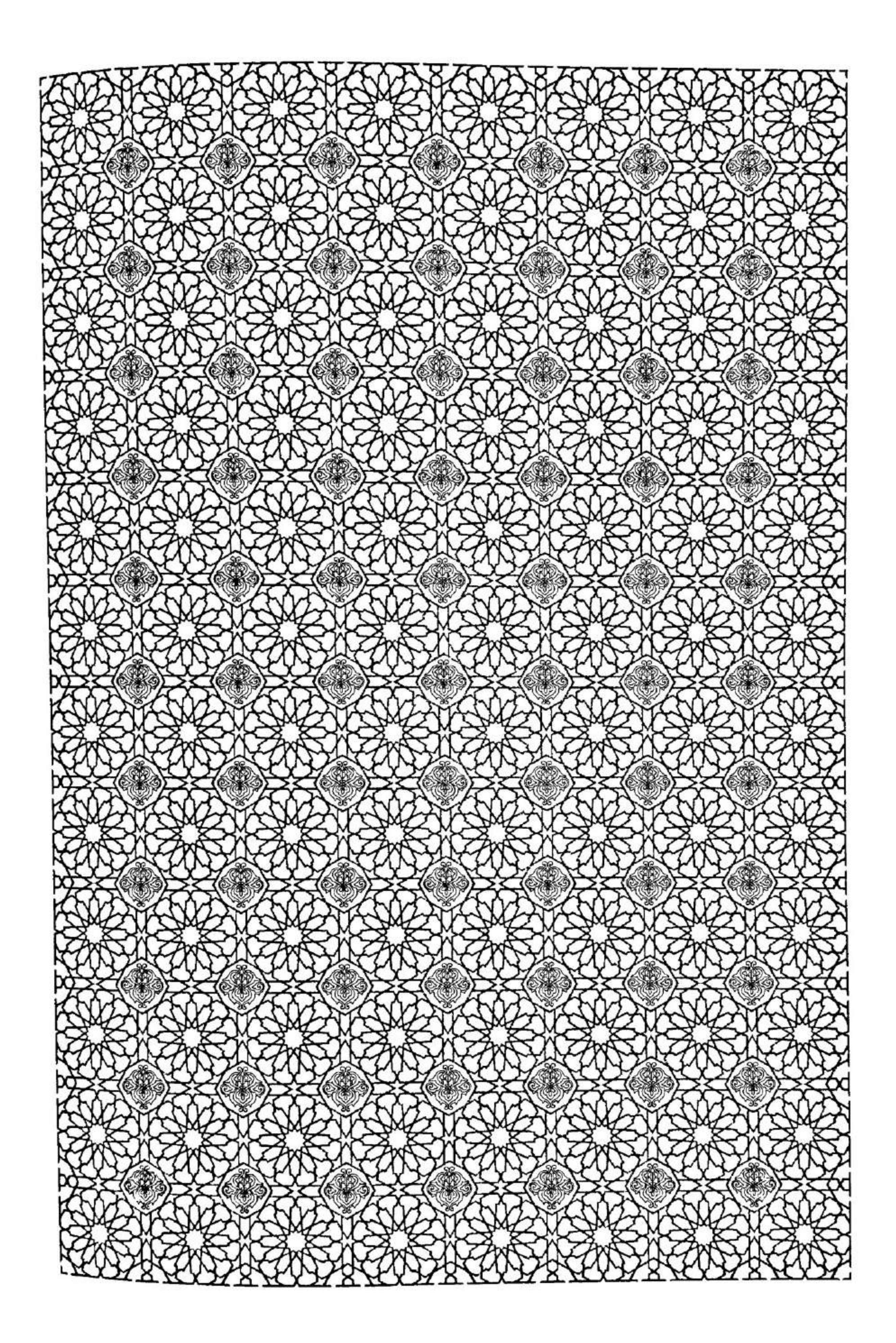
ترجمة الجزنائي

«عمر بن عبد الرحمن بن يوسف الجزنائي الفاسي»

له ترجمة مقتضبة ذكرها التنبكتي في كتابه: (كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج) (٣٢٨/١) وهي على النحو التالي:

هو الفقيه المعمر، ناف على الثمانين سنة، له تعقب على مواضع من شفاء عياض، وعلى الخطيب المحدث ابن مرزوق الجد، رد عليه في ذلك الإمام أبو العباس الونشريسي وغيره، كان حياً عام أحد عشر وتسعمائة، له فتوى في جنائز المعيار، أخذ عنه علي بن هارون.

** ** **



بعد الحمد لله ـ: وقع السؤال فيما مضى وتقدم: هل ليلة القدر أفضل من ليلة مولده ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

فتولى الجواب في المسألة الإمام الأسنى، فريد دهره، ووحيد عصره، العالم الكبير، العادم النظير، الذي له على أهل زمانه أعظم الحقوق، وهو الشهير بابن مرزوق، فذكر فضائل ليلة القدر، وأطنب فيها غاية الإطناب، ثم ذكر فضائل ليلة مولده ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأتى فيها بأعجب العجاب، ثم انه صرح بأن ليلة مولده ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أفضل، واستدل على ذلك بما استدل، فقيل له: ليلة القدر فضائلها الباقية، تتكرر في كل سنة آتية، وفضائل مولده ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ لم توجد إلا في تلك الليلة؟

فقال: بل تتكرر كل ليلة تقابلها، وأخذ يتطلب الأدلة، فاستدل أنها توجد فيما يوافق تلك الليلة تلك الفضائل بحديث صحيح، وزعم أنه لم يبق بعد هذا الدليل قولة لقائل، وذلك أنه سئل عن صيام يوم الاثنين ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ فقال: (فيه ولدت، وفيه أنزل علي) فجعل ذلك دليلا على أن (تلك) الفضائل تتكرر وتستدام.

قلت: أما الليلة التي ولد فيها سيد الأولين والآخرين فلا يعدلها في الفضل شيء، فأنه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رحمة للعالمين، وليلة تقدر بعض رحماته، ولا يخالف في ذلك أحد من المسلمين، وإنما الكلام فيما يقابلها ـ وهي ليلة إثني عشر ـ على المشهور من ربيع الأول، فهذا هو محل النظر بين الليلتين أيهما أفضل؟

فالذي عول عليه هذا الإمام، أن ذلك موجود في كل ليلة تقابلها، وبدأ

في ذلك وأعاد، وطول في ذلك حتى خرج عن المعتاد، ورأى أن فضيلة الليلة التي ولد فيها سيد الثقلين هي موجودة فيما يقابلها، واستدل بحديث يوم الاثنين، وأكثر في ذلك حتى قال: ما معناه ومن عنده شيء غير هذا، فهذا وقت الميدان، فهذا مقتضى قوله، وطول بذلك اللسان؟

وعندي أن ما ادعاه غير متعين، وما استدل به غير بين، وذلك أن ليلة مولده ـ صلى الله عليه وسلم ـ ظهرت فيها أمور خارقة للعادة بالعيان، كانقضاض الشهب، وتنكيس الأصنام، وارتجاج الإيوان، وهتف الجن، وإخماد نار المجوس، وغير ذلك مما ظهر للعيان وبرز للمحسوس، وهناك فضائل باطنة، استأثر بها الملك القدوس، فكما أن هذه الخارقات لم تظهر إلا في تلك الليلة السعيدة، كذلك الفضائل الباطنة، ومن ادعى وجودها في غيرها فدعواه بعيدة، فإن ذلك رجم بالغيب، ولا يسلم مدعيا بغير دليل من الغيب، وما استدل به من حديث يوم الاثنين فليس له في ذلك دليل، وذلك بين ظاهر لكل حاذق نبيل، لأنه يلزم منه أن يكون يوم من الاثنين تكون فيه تلك الفضائل، وهذا لا يقوله هذا الإمام ولا يقوله قائل، وأيضا فإنه لا خلاف أن يوم الجمعة أفضل من يوم الاثنين، فإذا اضمحل هذا الدليل ولم يبق له أين ـ انتهى.

قال أحمد بن محمد المقري ـ وفقه الله ـ: كتب الإمام الونشريسي بخطه على قوله: فاذا اضمحل هذا الدليل ما نصه:

قلت: اضمحلال الدليل لا يكون إلا بمصادمة دليل له أقوى، وإنه لم تأت بمطلق دليل أصلا فضلا عن دليل أقوى، وقصارى ما رددتموه به مجرد الدعوى، وهو لا يفيدكم فائدة، وما الزمتموه يلتزمه ونلتزمه عنه، ودليله ما أبداه من الحديث الصحيح، وهو بين لمن معه مسكة إنصاف، ولا سيما ـ والفضائل

عملية، ولا توخذ بقياس، (وذلك فضل الله يوتيه من يشاء).

فإذا تقرر هذا، فاسمع يا عمر، إذا بدت رايات النصوص في ميادين الكفاح، طاحت أعلام المقاييس في مهاب الرياح، وعجبا من هذا الرجل كيف يحكم باضمحلال دليل الخصم في أفضلية يوم الاثنين، ويدعى أفضلية يوم الجمعة عليه بالكتاب والسنة والاجماع، وأي دليل له من الكتاب يسلم له، وأي إجماع يسلم له ويقبل منه، حتى يزيف به دليل الخصم، وقد طلب بتحقيق هذا الاجماع نقلا عن الأئمة، فاشتغل بالروغان والحيدة، وقد حكى بعض الأكابر إجماع الأمة على أفضلية ليلة القدر على يوم الجمعة، وعلى يوم عرفة، فما حيلتك أيضا في رد هذا الاجماع وإنكاره. انتهى كلام الونشريسي.

ولنرجع الى كلام الجزنائي فنقول: بعد قوله (ولم يبق له أين) ما نصه: ومما قال هذا الإمام أيضا ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن الإمام أبا بكر بن العربي ـ رحمه الله ـ قال: من فضل الله تعالى على هذه الأمة أن أعطاها ليلة القدر، فجعل لها عاما بألف شهر، ثم قال الإمام ابن مرزوق: هكذا وقع لهذا الإمام وصوابه: جعل لها ليلة بألف شهر ـ وأن كانت كما قال، إلا أن الواقع ما ذكرناه، وهذا أبلغ في التفضيل وسعة الإحسان. انتهى.

قال أحمد المقرى ـ وفقه الله: كتب الشيخ الونشريسي ـ رضي الله عنه عند قوله ـ ومما قال هذا الإمام إلى آخره ـ ما نصه: **قلت:** قولت الرجل ـ يا أخي ما لم يقل: اذكروا أمواتكم بخير، واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا، ولا تصف أحداً منهم بما فيكا. انتهى.

ولنرجع إلى ما كنا نصدده فنقول: قال الجزنائي بعد قوله: (وسعة الاحسان) ما نصه: فعرض لي في كلام هذين الإمامين ـ رضي الله تعالى عنهما ـ

إشكال، وذلك أن ابن العربي جعل العام بمثابة ألف شهر، وابن مرزوق جعل الليلة بمثابة ألف شهر، وكل واحد منهما لا يساعده القرآن، فإن الله ـ تعالى ـ يقول: ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[1] ولم يقل بمنزلة ألف شهر، فقد تكون خيراً من ألف شهر بأضعاف كثيرة ـ كما قال تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾[2].

فأنت ترى فضيلة الآخرة على الدنيا، لاسيما عند من يرى أن الألف لم يقصد به العدد، وإنما أراد الدهر كله ـ كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[3] ـ إنما أراد هاهنا: الأبد، ولم يرد العدد، والسلام على من يقف عليه، ولم أرد بما قلته الانتقاد عليهم ـ رضي الله تعالى عنهم ـ وإنما أردت ظهور الحق من حيث هو (حق)، قال ذلك وكتبه بخط يده الفانية، العبد المذنب عمر من عبد الرحمان بن يوسف الجزنائي ـ لطف الله تعالى بالجميع ـ مسلماً على من يقف عليه، والحمد لله رب العالمين.

أقول ـ والله سبحانه وتعالى المستعان ـ قد سلم هذا المعترض صحة حديث يوم الاثنين، غير أنه استبعد الاستدلال به بل أبطله، واستبعاده يدل أنه مزكوم عن فهم معنى ذلك الحديث، واحتجاج العالم المحقق ابن مرزوق به على ما صرح به من استدامة التفضيل فيما يقابل الليلة السعيدة، هو في محله على ما نقله عنه، وهو ظاهر جلي، وبيان ذلك أن جوابه ـ صلى الله عليه وسلم ـ للسائل بعد أن نبئ ونزل عليه الوحي، وبين جوابه وولادته أزيد من أربعين سنة، فجوابه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أدل دليل، لكل فطن نبيل، على إثبات الفضيلة والشرف لليلة السعيدة وصبيحتها، واتصال ذلك وتكرارهما في كل ليلة تقابلهما من وقت

---

(١) الآية: ٣ ـ سورة القدر.

(٢) الآية: ٤ ـ سورة الضحى.

(٣) الآية: ٩٦ ـ سورة البقرة.

ولادته الى وقت جوابه للسائل، ثم بعد الى قيام الساعة.

وقول المعترض في المسألة الثالثة ـ قبل هذا ـ: ومن ادعى وجودها في غيرها، فدعواه بعيدة وذلك رجم بالغيب، ولا يسلم قائلها بغير دليل من العيب، هو كلام صدر من المعترض بغير تأمل، لم يدر فيه ما يقول، يستوجب عليه خلع لسانه، بعد تعزيره وهد أكارنه، لأنه أثبت فيه سوء الفهم والبعد عن الصواب ووجوب العيب، والرمي بشبه الكذب ـ وهو الرجم بالغيب ـ لمن قال باستدامة التفضيل وتكراره في كل زمان يقابل بالزمان الذي ولد فيه سيد الخلق، وأتى بمن التي هي للعموم، فعمت كل شخص، ومن جملتها نبينا صلى الله عليه وسلم ـ لأنه أخبرنا وخبره صدق، وشهادته حق ـ بتكرار الفضيلة واستدامتها، إلى قيام الساعة في جوابه للسائل عن صيام يوم الاثنين، فقال: **فيه ولدت، وفيه أنزل علي.**

فراعى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فضيلة اليوم الذي ولد فيه، ولاحظ شرفه من يوم ولادته إلى حين الجواب، فكيف يصف هذا المعترض من ادعى تكرار الفضل والشرف بسوء الفهم والعيب، والرجم بالغيب، ونبينا ـ صلى الله عليه وسلم، مدعيه.

وقوله: يلزم منه الى قوله: وهذا لا يقوله قائل. **وقوله:** أيضا لا خلاف أن يوم الجمعة أفضل من يوم الاثنين، فاضمحل هذا الدليل، ولم يبق له أين، وجعله الخوارق الظاهرة، والفضائل الباطنة مقصورة على تلك الليلة.

فجوابه عن هذه الفصول الثلاثة أن يقال له: أنت بمثابة رجل يطلب ولده وهو على عنقه، لأن الحديث المسلم صحته عندك، يخبرك أن إلزامك تلك الفضائل في كل اثنين إلزام صحيح عامل، ونفيك الخلاف عن يوم الجمعة قول باطل، وجعل تلك الخوارق مع الفضائل قاصرة على تلك الليلة شيء لا يفهمه

عاقل، لكون الحديث المذكور نصاً صريحاً في ولادته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يوم الاثنين نهاراً، والذي تقرر عند علمائنا - رضي الله تعالى عنهم - أن الأزمان والبقاع لا فضيلة فيها لذاتها، ولكن لما خصت به، وحل بها، فكما فضل الموضع الذي ضم جسده - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على جميع أقطار الارض وبقاعها اجماعا، لان شرف كل زمان ومكان، بحسب ما شرف به، فيوم الجمعة له فضل جسيم، وشرف عظيم، لكون آدم - عليه سلام الله تعالى - خلق فيه، واهبط وتيب عليه، فروعي شرفه، وفضله من ذلك الوقت الى وقتنا هذا بعد قون واعصار لا تعد ولا تحصى، فيكون هذا الزمان الذي ولد فيه سيد الخلق، اولى أن يراعى بالتعظيم والاجلال، وبالدعاء فيه والابتهال؟ انتهى.

قال أحمد بن محمد المقري - وفقه الله -: كتب الامام الونشريسي - صب الله عليه شآبيب رحمته - على قول هذا المؤلف، فيكون هذا الزمان إلى آخره - ما نصه: قلت: قال بعض أهل الحقائق: لصاحب الوقت يومان:

يـــوم بـــأرواح يبـــاع ويشـــتر نقـــدا وآخـــر لا يســـام بـــدرهم

وفصل الفضل بينهما:

ومـا تفضـل الأيـام أخـرى بـذاتها ولكـــن أيـــام المـــلاح مـــلاح

فافهم الإشارة، انتهى كلام الونشريسى.

قال أحمد بن محمد المقري وفقه الله: أشار الإمام الونشريسي بقوله: بعض اهل الحقائق إلى أشهر أسلافنا، الإمام العلامة، القاضي بالحضرة الفاسية - أيام المتوكل عنان، الشيخ العارف، القدوة المؤلف، الكبير الشهير، أبو عبد الله المقري التلمساني القرشي[1] رضي الله عنه، فإن ذلك النص كلامه

(١) أبو عبد الله محمد بن محمد المقري القرشى، الفقيه الحجة. (ت٧٥٨هـ)، انظر الاحاطة=

في كتاب الحقائق والرقائق له، وهو كلام منور، وبالله التوفيق.

ولنرجع الى ما كنا بصدده من كلام المؤلف الراد على الجزنائى، قال ـ بعد قوله والابتهال: فإن رتب الشرف أبداً مختلفة: فليس يوم ولد فيه سيد الأنبياء والرسل، كيوم خلق فيه آدم عليهم أجمعين سلام الله ـ في الشرف سواء، فأين قولكم يوم الاثنين لا تكون فيه تلك الفضائل، ولا يقول هذا الكلام قائل؟ وأين قولكم: فاذا اضمحل هذا الدليل، ولم يبق له أين؟ وأين تحجيركم تلك الفضائل مع الخوارق على تلك الليلة؟ فلا تقف أيها الرجل ما ليس لك به علم، ولا تتبع من امور دينك الا الامر المهم، وواجب عليك أن لا تختصر شيئا من كلام العلماء، ولا تنقله بالمعنى ولا بالمقتضى ـ إن أردت تعقبه، فإن النقل أمانه، والتحريف خيانة، وبعد تعقبك اياه ينظر الناس فيه، فيقرأ ويسمع، والحق أحق وأولى أن يتبع.

ومن هناك ينكشف عن المسألة الغبار، ويتبين الفرس الجنيب من الفار، وما ذكرتم أيضا في آخر كتبكم عن الإمام ابن العربي ـ رحمه الله تعالى ـ حين تكلم عن ليلة القدر فقال: من فضل الله تعالى على هذه الأمة، أن جعل لها عاما بألف شهر، وإن كان كما قال.

ثم إنكم ـ بارك الله تعالى فيكم ـ أفرغتم كلامهما في قالب الاشكال والتعقيد، ليتهيأ لكم الرد عليهما والتعقيب، فقلت: عرض لي في كلامهما إشكال، فإن الأول جعل العام بمثابة ألف شهر، والثاني جعل الليلة بمثابة ألف شهر، وكل واحد منهما لا تساعده الآية، لأن القرآن لم يقل: بمنزلة ألف شهر،

= ١٣٦/٢، نيل الابتهاج ٢٤٩، التعريف ٥٩، المرقبة العليا ٩٦، البستان ١٥٤، النفح ٢٠٣/٥، تعريف الخلف ٤٩٣/٢، سلوة الانفاس ٢٧١/٣.

وإنما قال ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ قلت: ظاهر كلامك أن القرآن لم يقل بمنزلة، إنهما قالاه، وهما لم يقولا بمنزلة ولا بمثابة، ولم يتلفظا بواحد منهما.

قال أحمد المقري ـ وفقه الله ـ: كتب الونشريشي هنا ما نصه: قلت: صحة الرد عليه، تتوقف على تحقيق متن كلام الشيخ ابن مرزوق ـ رحمه الله ـ انتهى.

رجع الى كلام المذكور، قال ـ بعد قوله منهما ـ ما نصه: وانما القائل لذلك انت، لتركب عليه اعتراضك، وهلا قلت ـ كما قال من سبقك بالسيادة، ولين الجانب، فقلت: صوابه كذا، فتكون مثله في السيادة والأدب أو تقارب، وأنت أيها السيد والأخ ـ في الله تعالى ـ دع الولوع عنك بمثل هذا، وأقبل على شأنك، وانظر إلى سنك.

قال أحمد المقري ـ وفقه الله ـ: كتب الونشريسي على قوله سنك، ما نصه، قلت: ويرحم الله القائل:

أبعد الاربعين تروم هزلا فما بعد العشية من عرار

انتهى.

رجع، قال المذكور: واعلم أن العلماء هم أهل الله ـ تعالى ـ وخاصته وحماه، فلا ترع حول الحمى، تقرب إلى الله ـ تعالى ـ بغير هذا، وليكن هذا آخر النصح اليكم. والسلام.

خاتمة: ذكر هذا الفقيه أبو حفص عمر، كلاماً ختم به المسألة الثالثة المتقدم ذكرها، ونص ذلك الكلام: ولم أرد بما قلته الانتقاد عليهم ـ رضي الله تعالى عنهم ـ وإنما أردت ظهور الحق من حيث هو حق، قال ذلك وخطه بيده

الفانية، عمر بن عبد الرحمن بن يوسف، الشهير بالجزنائى، مسلماً على من يقف عليه، والحمد رب العالمين. انتهى.

قلت: هذا الكلام في نفسه في غاية الحسن والأدب، والتواضع مع هؤلاء العلماء والاولياء الجلة ـ رضي الله تعالى عنهم أجمعين. ثم انى تأملت هذا الكلام وألفاظه الواقعة في المسائل الثلاث المتقدمة، فوجدتها تنافي ما قصده من ظهور الحق والأدب معهم، والتواضع والدعاء لهم ـ رضي الله تعالى عنهم.

فمن ذلك: قوله: ومن ادعى وجود هذه الفضائل في غيرها، فدعواه بعيدة، وذلك رجم بالغيب، ولا يسلم قائلها بغير دليل من الغيب، ومنها ليس له في حديث يوم الاثنين دليل، وذلك بين ظاهر لكل حاذق نبيل، ومنها هذا الكلام لا يقوله قائل. ومنها: وطول بذلك اللسان، وأبدأ وأعاد، حتى خرج عن المعتاد. ومنها: فاضمحل دليل يوم الاثنين، ولم يبق له اين. ثم ختم كتابه ـ وكان ختامه مسكاً، مخبراً عن القاضي أبي الفضل عياض ـ رحمه الله تعالى، ورضى عنه ـ بقوله: وهذا لا يليق بما قصده، والذي يليق به أن يقول كذا وكذا، ثم يقول: هذا هو الصواب، ولو كان حياً لم يسمعه إلا الموافقة على ما قلناه والسلام. انتهى.

قلت: الظواهر إذا تكررت وتظافرت، قامت عند علمائنا ـ رضي الله عنهم ـ مقام النص، يقول هذا الفقيه: لم أرد إلا ظهور الحق، كلام جرى على لسانه، فهو محمول على المجاز، والحقيقة ما اقتضته ظواهر هذه الألفاظ، وشهدت به القرائن الحالية، ودل عليه سياق كلامه ـ وهو شهود نفسها وتعظيمها، ورؤية حظها، واتباع هواها، وانفراده لا بزعمه في وقته بالسؤدد، ومساواته لهؤلاء العلماء المعترض عليهم في العلم والحفظ والفهم، بل يرى أن

له شفوفا عليهم في اعتقاده لكونه غاص على ما أغفلوه، وعلم ما جهلوه، فكان ذلك سبباً للحط من أقدراهم الرفيعة، وغضا لهم عن مناصبهم العلية، وبحصول ذلك في نظره نسب لبعضهم العيب، ورماه بما يقارب الكذب الذي هو الرجم بالغيب، ولبعضهم القصور والغفلة، ولآخرين البعد عن الصواب، وعدم فهم الكتاب، مع انه وضع عليه خمسمائة مجلد بعد خروجه من بلده غريباً مهاجراً، ويرى في ذلك كله أنه على المنهاج القويم، وصراط الله المستقيم، وليت شعري ما معنى قوله في الإمام ابن مرزوق: وأبدأ وأعاد حتى خرج عن المعتاد، ما هذا المعتاد عنده؟ وما حده؟ فإن العلم نور الله عَزَّوَجَلَّ، فاذا أشرق من صدر صاحبه واسطاع أيملك حصره أو يستطاع؟

وقد قدمنا في هذه الخاتمة، ما ختم به أبو حفص كتابه بما فيه كفاية، وأعظم دلالة على جرأته في نقله، وتحكمه بعقله، وقله أدبه، وسوء فهمه، فأغنى ذلك عن شرح بقية ألفاظه الحسنة، وجمل من كلماته المستحسنة، ثم نسأل الله جل وعلا ـ بجاه سيد الخلق عنده ـ ان يختم لجميعنا بالحسنى، وأن يسامحنا أجمعين، ولا يواخذنا بما قلنا، وعملنا وظننا، انه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، وصل أولا وآخراً، وظاهراً وباطناً، على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله، خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وشفيع الملأ المذنبين، وأن يعم بهذا الدعاء والدينا، وجميع المسلمين آمين، آمين يا رب العالمين.

ثم بعد فراغي من هذا المجموع، نبهني بعض الفضلاء، أن يقع الجواب عن المسألة ـ وهى قوله في المسألة الثانية، (كما وقعت من القاضي أيضا غفلة، حيث ضعف قول الشافعي وابن المواز)، ثم قال: (وهذا لا يليق بما قصده من تعظيم الصلاة عليه ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلى قوله: (ثم نقول وهذا الصواب،

ولو كان حيا لم يسعه إلا الموافقة على ما قلناه والسلام).

فأقول ـ والله سبحانه المستعان ـ: إن الجواب عن هذه الجملة التي اكتنفت طرفي المسألة الثانية: أولها وآخرها هو أن يقال لهذا المعترض: إن نظرت بعيني بصيرتك وأنصفت، لم تجد منافاة بين ما قصده ـ رضي الله تعالى عنه ونفع به ـ من تعظيمه الصلاة على رسول الله ﷺ، وبين تضعيفه قول الشافعي، وبيان ذلك: أن قصده لتعظيم قصد صحيح، لأن تعظيم الصلاة عليه ـ ﷺ ـ تعظيم ذاته ومحبته، واتباع سنته، وسنة السلف الصالح بعده، واتباع هديهم القويم ـ سراً وإعلاناً، ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١] فيجب اتباعهم ـ على كل حال فيما نقلوه، وقعدوه وأصلوه، وحسنوه أو وهنوه، فإنكار المعترض على القاضي ـ رحمه الله تعالى ـ تضعيف قول الشافعي وابن المواز ـ اعتماداً منه على ما حسنه له عقله ووهمه، وانتهى اليه فكره وفهمه، جهلاً منه أن الاجماع انعقد من السلف الصالح قبل الشافعي وابن المواز على صحة ما قاله القاضي ـ رضي الله تعالى عنه ـ واختاره وأمضاه، وعلى إبطال ما أشار إليه المعترض وحسنه وارتضاه، وإن كان الشافعي وابن المواز ـ رضي الله تعالى عنهما ـ وأفاض علينا من بركاتهما، قد بلغا هناك من العلم والاجتهاد، المبلغ العظيم، ولكن كما قال مولانا في كتابه الكريم: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[1]، فلما جعل المعترض ذلك، ونظر في المسألة بفرد عين، لم ير بها الاجماع منصوصاً مسطراً، فمن أجل ذلك، صير المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، ثم إنه بكيسه، وحسه وحدسه، ولم يقنع بهذا كله، ولم يحتشم مما قال حتى أشلى[2] القاضي ـ رحمه الله تعالى ـ على نفسه، مع

---

(١) يوسف: ٧٦.

(٢) أشلاه: أغراه ودعاه.

جلالة قدره، وعلو منصبه، أن ينقض ما أخذه الله تعالى من العهد والميثاق، على الذين أولوا العلم ليبينه للناس، ولا يكتمونه[1]، بأن يوافق المعترض عن قوله وفهمه، فيحبسه عليه الكرام الكاتبون ويكتبونه، فيقوله بذلك قول الزور، ويوقعه في المحذور، وحاشاه ثم حاشاه أن يوافقه على مثل هذا، فيكون متلاعباً بالدين عمدا واعتمادا، ويحرف الكلام عن مواضعه قولاً واعتقاداً، وهنا انتهى الجواب عن هذه الجملة المنسي الكلام عليها.

وبعد كتب هذا الجواب، عرضت لي مسألة أخرى، فأجبته هنا، وذلك ان المعترض ذكر في المسألة الثالثة ما نصه: (وعندي أن ما ادعاه ابن مرزوق غير متعين، وما استدل به غير بين، وذلك أن ليلة مولده ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ظهرت فيه أمور خارقة. الى قوله: (فاضمحل هذا الدليل، ولم يبق له أين)، انتهى الجواب عنها.

فأقول والله سبحانه المستعان: محل الحاجة من هذا الكلام، هذا الالزام، وذلك أن قوله ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ لسائله عن صيام يوم الاثنين مجيبا: **(فيه ولدت، وفيه أنزل علي)** ـ تعظيم وتشريف لذلك اليوم، وان الفضائل التي نفاها المعترض عن ذلك اليوم، هي بكمالها كامنة في ذلك اليوم لولادته فيه، كما أخبر ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد تقدم الجواب عن هذه المسألة بكمالها، وأن الزمان الذي ولد فيه سيد الخلق، فضل جميع الأزمان إجماعاً.

فقال هذا المعترض: هذا كلام لا يقوله قائل، ويعني بذلك أن تلك الفضائل، لا تكون في ذلك اليوم؟ وقوله: لا يقوله قائل، معناه قائل يعتبر قوله،

---

(١) يشير إلى قوله تعالى ـ في سورة آل عمران ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾ [الآية: ١٨٧].

ويلاحظ علمه ونقله، كان هذا الكلام عنده في حيز القطع والتحقيق، ومن قال غيره فهو عنده في غاية الضعف والتلفيق، هذا هو الظاهر البين من كلامه، فلما عم هذا النفي ولم يخص، جاء الإشكال والتلبيس والإجمال، فيحتمل أن يكون الكلام المنفى عنده، قول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ويحتمل أن يكون الكلام المنفي كلام غيره،

فإذا تقرر هذا وسلمه كل ذي عقل سليم تعين الوقوف، وجاءت الحيرة، وتردد النظر، واشتدت الفكرة: أيهما يغلب، هل حرمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيكشف ظهر المعترض، ويبالغ فيه بالضرب الوجيع، لأن الجاه عظيم، وحماية كريم عرضه حق واجب على كل مسلم سليم، وإلى هنا بلغت إذايته، وكادت تنكشف للمسلمين سريرته، من إطلاقه العنان، وعدم ضبطه الكلام وإمساكه اللسان، فكيف بمن دون هذا النبي، من الأولياء والعلماء والصلحاء، فمنهم الصديق الأكبر، أبو حامد الغزالي[1]، والولي الصالح أبو بكر بن العربي، والفقيه الإمام العالم العلم الشهير، أبو عبد الله بن مرزوق ـ رحمهم الله تعالى أجمعين، ونفعنا ببركاتهم، فما منهم واحد إلا وقد أهانه، وغض من منصبه العظيم.

قال أحمد المقري ـ وفقه الله ـ: كتب هنا الشيخ الونشريسي ما نصه: **قلت:** ويرحم الله الشيخ أبا القاسم ابن عساكر[2] حيث يقول: اعلم يا أخي أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم مشهورة معلومة،

---

(١) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي حجة الإسلام (ت٥٠٥هـ) انظر طبقات الشافعية ٤/١٠١، وشذرات الذهب ٤/١٠.

(٢) أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر الدمشقي المؤرخ الشهير (ت٥٧١هـ)، انظر: البداية والنهاية١٢/٢٩٤، وطبقات الشافعية ٤/٢٧٣.

وإن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب، بلاه الله قبل موته بموت القلب ـ انتهى.

رجع الى كلام المؤلف المذكور، قال ـ بعد قوله العظيم ـ **ما نصه**: فانظر عاقبة أمره، هل تزيد اعوجاجا، او يتداركها ربنا عَزَّوَجَلَّ فتستقيم؟ غير أن الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ لم أقف على نص معارضته اياه، ولكن ذلك شائع عند أهل الفضل من علمائنا، وذكر لي بعض الأكابر من أهل العلم، أن الصمم الذي أصابه، إنما كان من وقوعه في الغزالي، قبل هذه السنة ـ أعنى سنة كتب هذا المجموع.

قال أحمد المقري ـ وفقه الله: كتب الونشريسي على قوله من وقوعه في الغزالي ما نصه:

ستعلم ليلى أي دين تداينت وأي غريم للتقاضي غريمها

انتهى.

رجع، قال المذكور: فبعد ما فرغ من معارضته، أصابه ـ والعياذ بالله ـ ما أصابه، فإن قال هذا المعترض: أشققت على قلبي في دعوى العموم، وأن ذلك يعم المعصوم وغير المعصوم؟ وهذا من سوء الظن المنهى عنه، إن بعض الظن إثم، وما أشرتم اليه، لم أقصده ولم أنوه، ولم يخطر لي ببال؟

قلت له في الجواب: فسألتك هذه، هي من باب خطاب الوضع، فلا نتعرض لنيتك وقصدك، ولا نسألك عنهما، ولكن حيث وجد هذا اللفظ أو مثله منك أو من غيرك، وجد ما يقابله من أدب في الظهر، او حد في العنق، وقضية سيدي عمر الرجراجي[1] ـ رحمه الله تعالى ونفع به ـ مشهورة، وذلك أنه كان

(١) أبو حفص عمر الرجراجي خطيب جامع الاندلس بفاس، وكان زاهدا قوالا للحق=

مولعاً بسوق الكتبيين في كل جمعة، فجاءه الدلال بكتاب فيه سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان خط الكتاب ركيكاً جداً، فقال رجل ـ إلى جنبه ـ: ما هذه إلا سيرة سوء.

فسمعه من حضر، وأدوا عليه، فأفتى فقهاؤنا بقتله، فحلف الرجل أنه لم ينو، ولم يقصد عيبا، ثم حلف الشيخ رضي الله تعالى عنه ـ بعد أن توجه إلى القبلة: إنه لصادق في يمينه، وما أغنى عنه ذلك شيئاً، إن ضربت عنقه في الوقت.

فكما وجب القتل هنا على هذا مع كونه لم يصرح بسب هذا النبي الأمي، فكذلك يجب الأدب الوجيع على من غض قلامة ظفر من منصبه العلي ـ أن كانت القضية مثل هذه، وإلا فلا فرق في القتل بين من تعرض لسبه، أو غض غضا بينا من منصبه ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشرف، وكرم، وسواء كان ذلك في قوله ـ كما في هذه القضية، أو فعله أو خَلقِه، أو خُلُقه أو دينه، أو نسبه أو ضحكه أو مزاحه ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسواء كان ذلك تلويحاً أو تصريحاً، أو تغلب حرمة الظهر، فإن ظهر المؤمن حمى، وفي الصحيح **(ادرءوا الحدود بالشبهات)**[1]، وهذا كله موكول إلى القضاة والحكام، فرب شخص يكفي في

= (ت٨١٠هـ)، انظر درة الحجال ٣/٢٠٢، ونيل الابتهاج ص١٩٥، وشجرة النور ٢٥٠.

(١) أخرجه بهذا اللفظ الحارثي في مسند الإمام أبي حنيفة من حديث ابن عباس، كما أخرجه البيهقي في الخلافيات من حديث علي بن أبي طالب، عزاه لهما الحافظ ابن الملقن في تخريجه على أحاديث مختصر ابن الحاجب المسمى غاية مأمول الراغب: (٤٦). قلت: وقد أخرجه الترمذي في السنن: (١٤٢٤) وغيره بلفظ: (ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم). وأما قول المصنف وفي الصحيح فيعني تلقي الأمة له بالقبول، وليس يقصد أن الحيث مروي في الصحيحين أو أحدهما، وربما عنى أن أصل الحديث مخرج في أحد الكتب الستة، وكان من العلماء من يطلق عليها لفظ الصحيح وهو عند المحدثين من=

زجره فتل أذنه، وآخر ألف سوط على قول العوام؟ انتهى.

وحكايته مع الفقيه الإمام، العالم المفتي، أبي العباس أحمد بن زكري التلمساني الدار،[1] معروفة مشهورة، وذلك أنه وصل إلى مدينة فاس بعض كلامه، فوضع عليه المعترض المذكور بطاقة كلها مفقرة، وحملني مع رجل إلى منزله، وقرأها علينا كلها، لا يدري من سمعها أهي هجو أم غيره؟ فكان يقرؤها علينا والعسل والسكر يقطر من فمه، وعاب كلامه كله، ثم بعد ذلك، لقيه رجل من طلبة الفقيه أبى العباس أحمد المذكور، فتكلم معه في مسألة من علم الكلام، وطال الكلام بينهما، وسمعت من وراء الناس أن الطالب ظهر على المعترض المذكور بالحجج والدلائل، وربما شنعوا في ذلك الوقت عنه شيئاً قبيحاً، وتمشى ذلك في الألسنة.

ثم إن يوماً بعد صلاة العصر، قامت الأولاد وصبيان المكاتب في صحن جامع القرويين، يصيحون صيحة واحدة بكلمتين مفقرتين، يقولون في الكلمة الاولى: عمر، ثم يكملون القافية الأخرى على وزنها فقر ترتعد منها الفرائص، بقي كذلك إلى أن جن الليل، فخرجوا وكتبوا الكلمتين على غلق حانوته في الشهود بحجر أبيض، غلظ الأصبع، يقرؤه كل أحد، وبقيت حانوته مغلقه أياماً حتى محا ذلك جيرانه وغيرهم، ولم يعلم أن انتصار الله تعالى لهؤلاء السادات، أتم انتصار لهم من انتصارهم لأنفسهم، فلما فقر عليهم، وعرض قوافيه على

= التساهل، قال الحافظ العراقي في ألفيته:

ومن عليها أطلق الصحيحا ... فقد أتى تساهلا صريحا

(١) أبو العباس أحمد بن محمد بن زكري التلمساني، الفقيه الاصولي (٨٩٩هـ)، انظر نيل الابتهاج ٨٤، البستان ٣٨، كشف الظنون ١١٥٧، تعريف الخلف، ٣٨/١، شجرة النور ١٦٧.

الناس في الأسواق، فقر عليه، وكتبت تلك القوافي على بابه في الأغلاق ـ جزاء وفاقا؟

قال أحمد المقري ـ وفقه الله: كتب الامام الونشريسي على هذا المحل، ما نصه:

قلت: ولقد أحسن القائل في هذا المعنى ما شاء: (ومن يمت فله الرحمن ينتصر) انتهى.

رجع الى كلام المؤلف المذكور، قال: فاهتد أيها المعترض بهدي ساداتك ومن تقدمك، وأنصف أصحابك كإنصافهم، واعترف بخطئك الظاهر البين، فان الاعتراف، يمحو الاقتراف وان لم تعترف وتقر لمن هو دونك في المنزلة والمكانة، وغلبك الهوى والشيطان ولم تعصهما، فشمر عن ساعد جدك، واجب عما كتبته بخطك، وقل ما شئت من هجوك ونوعه من نثرك ونظمك، وامل ذلك على حفظتك، تجده غضا طريا قريبا من خاتمتك.

ثم إن هذا المعترض لما بلغه كلامنا وكتبنا الذي في هذا المجموع، فلما قرأه وتبين له خطؤه وسوء أدبه على العلماء، وقلة حيائه عليهم، واشتد نكير غير واحد من علماء الوقت عليه ضجت نفسه من ذلك، وانفت وضاقت، وأخذ يكتب الرد علينا في ألفاظ يغفلها الكاتب، ولا يحسبها كل سيد فاضل إلا طغيان قلم، فيعظم هو شأنها، ويشنع أمرها، ويطوف بها على الحوانيت، ولا يقتصر على القول وحده، بل يكتب في ذلك كتباً مفقراً، ويقرؤه على الناس في حوانيتهم بنفسه.

وقد فعل ذلك مع الفقيه العالم المحقق، مفتى مدينة تلمسان، سيدي أحمد بن زكري ـ رحمه الله تعالى، وقد رأى لذلك أعجوبة عظيمة تقدم

ذكرها، وهو يعلم أو لا يعلم ان ذلك من الغيبة المتفق على تحريمها، ورحم الله الشيخ أبا القاسم بن عساكر حيث قال: اعلم يا أخي إن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله تعالى في هتك أستار مستنقصيهم مشهورة معلومة، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب، ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب.

ومقصوده بهذا الطواف على الحوانيت، وأعلام الناس بأني كتبت المحظور ـ بالضاد، فأسقطت قرن الظاء في الكتب، ويكتب الكلمة في آخر السطر، وتكميل بقيتها في السطر الثاني ـ تنفيراً للناس عن النظر في هذا الكلام، وتقبيحه في أعين الناس، وإطفاء نور الله الذي أظهر منه حقوق اولئك العلماء والسادات المعترض عليهم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره على رغم أنفه ولو كره، وقد صرحت في هذا المجموع في مسائل، أنه يلزمه فيها خلع لسانه، وثقب أشداقه، وهد أركانه ـ وكشف ظهره للأدب الوجيع، ولم يتكلم على مسألة واحدة منها، ولم يعتذر وكأنه لم يرها أصلا، وتعامى عنها، ومن هذا المعنى ما كتبه بخطه، ولم يدر فيه ما يقول، ولو حضر بين يدي السلطان، او من بيده تنفيذ الأحكام الشرعية، لا وجب عليه الأدب الوجيع، للعبة بالأحكام الشرعية كيف يشاء.

قال بخطه: إن يوم الجمعة أفضل جميع الأيام، بالكتاب والسنة والاجماع، وليت شعري ما هو هذا الكتاب؟ ومن نقل هذا الإجماع؟ ثم قال أيضا بخطه: لا خلاف أن يوم الجمعة أفضل من يوم الاثنين، ثم قال: وأما الزمان الذي ولد فيه سيد الخلق، فقد فضل جميع الازمان، ولا خلاف في ذلك بين المسلمين، وهو يزعم أنه أحدهم، فتدخل الليالي والايام الفاضلة عند الناس، كيوم عرفة، ويوم الأضحى، وليلة القدر، وعشر ذي الحجة، الاشهر الحرم، وغير ذلك حتى يوم الجمعة، وقد نص المعترض عليه أنه أفضل من يوم

الاثنين من غير خلاف، ومن جميع الأيام بإجماع، فيدخل يوم مولده ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ لأنه عنده مفضول بإجماع.

فانظر إلى هذا التناقض والتدافع والتهاتر، فيجب عليه أن يبين من قاله من العلماء ويعين اسمه، فإن قال المعترض لم نزل نسمع العلماء والخطباء، أن يوم الجمعة هو سيد الأيام، ومظنة انحطاط الذنوب والآثام، وقد شاع في الإسلام حظه وخطره، وانتشر في العالمين وذكره، فمن ثم أخذت أنه أفضل من يوم الاثنين، قلنا له في الجواب: هيهات، لقد حكيت، ولكن فاتك الشنب!

وها هو الكون كله من العرش إلى الثرى، وما تحت الثرى، وجميع ما في العالم كله، علوه وسفليه، من ملك وجن وإنس، وجميع الحيوانات كلها، والجمادات وغيرها، تخبرك أن لا يوم أفضل، ولا أشرف، ولا أعظم خطرا، ولا أعلى قدرا، من يوم الاثنين، الذي ولد فيه سيد الثقلين، وقلت أنت ـ وقولك هذا الحق: لا يعادل زمان ولادته ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ في الفضل شيء أي زمان وكتبت بخطك، وقلت ـ ولا يخالف في هذا أحد من المسلمين، وأن المسلمين كلهم متفقون على هذا، ونحن نعتقد أنك أحد المسلمين، فكيف تعد نفسك منهم، وتقول إن يوم الجمعة أفضل من يوم الاثنين من غير خلاف، فيوم الجمعة ـ وإن كان معظماً قديماً وحديثاً، وخصه الشرع بخصائص لم توجد فى يوم سواه، وتلك الخصائص لا تحصى كثرة، وأعظمها فريضته المعلومة، وما يتبعها من السنن والآداب وخصال الفطرة، كما خصت بساعة الإجابة، وكون ميتها لا يروع ولا يسأل، وقيام الساعة، وغير ذلك، فالخصوصية التي خص بها هذا اليوم العظيم، لا توذن بأفضليته من كل الوجوه.

وقول الخطباء والوعاظ: هو سيد الانام، وخير يوم طلعت عليه الشمس،

محمول على التحريض منهم على القيام بحقه، وتعمير أوقاته كلها بما يليق بكل وقت من العبادة، وليس ليوم الجمعة مزاحم عند المعترض إلا يوم الاثنين، وها هو يدعى ان المسلمين كلهم متفقون على أفضلية يوم الاثنين، إذ فيه ولد سيد الثقلين، وبإقراره في كتبه ـ بخطه، انتفت المزاحمة عن يوم الاثنين، واستقل ـ والحمد لله ـ بالأفضلية التامة على كل حال، التي أجمع عليها المسلمون كافة، وباستقلاله وانتفاء المزاحمة عنه، انتفت حجة المعترض وانقطعت واضمحلت، ولم يبق لها وجود لمن أنصف، ورجع إلى الحق واعترف.

وما خصت به الجمعة من البركات والخيرات، وتضاعف الحسنات، ومحو السيئات، استمدت ذلك كله ـ جداولها وأنهارها من البحر العظيم ـ وهو بحر يوم الاثنين، ومن فيضان بحر نور ذلك اليوم العظيم، كان سبب قبول توبة آدم حين توسل بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوجد محمد صلى الله عليه وسلم ـ سر وجود آدم، عليهم أجمعين صلوات الله تعالى وسلامه.

ثم إن المعترض ذكر في هذا المجموع بخطه ـ مسائل جملة، وجزم بالحكم فيها، ولم يعين صاحب ذلك الحكم، ولم ينسبه لأحد من العلماء، فاردت تجريدها هنا، وحصرها وتبيينها، واطلب من المعترض ما يخلصه ويبريه من الجواب عنها، فأقول ـ مستعينا بالله سبحانه وتعالى عليها ـ:

* **المسألة الاولى:** ذكر ـ بخطه تصريحاً ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد ليلاً، وتلك الليلة صادفت ليلة اثنى عشر من ربيع الأول، وأن هذا هو المشهور، فيجب عليه أن يعين من شهره من العلماء.

* **المسألة الثانية:** ذكر أن الليلة التي ولد فيها سيد الخلق، خصت بفضائل: ظاهرة وباطنة، فشرح الفضائل الظاهرة وسكت عن الباطنة لم يشرحها

ولم يذكرها ولم يصفها، ـ غير أنه جزم عليها بالحكم، وان الملك القدوس استأثر بها في علم غيبه، ولم يظهرها لأحد من خلقه، فيجب عليه أن يعين من أين علم هذا، فان هذا الحكم الذي حكم به، لا يعلم إلا من طريق النبوة، لأنه من الأمور التوقيفية، ولا سبيل له إلى الحرز والتخمين فيها.

* **المسألة الثالثة**: ذكر عن ابن مرزوق ـ رحمه الله تعالى ـ أنه يقول هذه الفضائل التي خصت بها ليلة مولده ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ تتكرر، وتستدام في كل ليلة اثنى عشر من ربيع في كل سنة آتية، وقلتم: هذا الذي عول عليه هذا الامام، فيجب عليه أن يعين من أين نقل هذا عنه، وهو ـ رضي الله تعالى عنه ـ روى حديث يوم الاثنين وولادة النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فيه، فنسب كلامه ـ رضي الله تعالى عنه ـ إلى التدافع والتناقض، وهو لا يليق بمقامه.

* **المسألة الرابعة**: وذكر أيضا عن القاضي أبى الفضل ـ رحمه الله تعالى ـ أنه نقل عن الإمام الشافعي وابن المواز ان من لم يصل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصلاته باطلة، فيجب عليه أن يعين من أين نقل هذا عنه.

* **المسألة الخامسة**: ذكر أيضا ـ بخطه ـ أنه لا خلاف أن يوم الجمعة أفضل من يوم الاثنين، ثم ذكر أيضا في الكتوب الثاني، أن افضل الأيام يوم الجمعة بالكتاب والسنة والاجماع، فيجب عليه أن يعين من قال هذا الكلام، ومن نقل هذا الاجماع.

وذكر لي رجل من أصحاب المعترض وأهل سره، أن شيخنا البركة سيدي أحمد يحيى الونشريسي ـ حمد الله عاقبته ـ وجبر صدعه، وأمن روعته، وجرت بينه وبين المعترض مسألة، وذكر المعترض أنها مجمع عليها، فطلبه شيخنا بالمستند، فراغ المعترض عن الجواب، واستعمل طريق الحيدة، وألقى عليه

مسألة ـ وكأنه يلقمه فيها حجراً يشغله بها عن طلب حقه بالمستند، ومضمن المسألة أن يبين له أي اليومين أفضل: أيوم الجمعة، أم يوم الاثنين؟ فإن كان الامر على ما ذكر لي هذا القائل، الذي هو صاحب المعترض ومن أهل سره فأنا أكون بينه وبين سيدنا، كالحاجز بين المتنازعين في حق من الحقوق، فأبلغه غرضه ـ إن شاء الله ـ بالجواب عن مسألته في عين نازلته، جوابا يشفى علته، ويقطع حيدته، على أن يبلغ شيخنا غرضه، بتعيين المستند، ومن نقل ذلك الإجماع، ويناجزه بأحد جوابين:

أما أن يدعي أنه وهم في دعوى الإجماع، وأما أن يشمر عن ساعد جده، ويلح على علماء الوقت في السؤال، عسى أن يفتح عليه منهم فيما يبريه، ويظهر صدقه في دعوى الإجماع، وأن لم يفعل شيئا من هذا، نسب إلى الظلم والكذب، والروغان عن الحق، وذلك لا يليق بطالب العلم، سيما وقد بلغ هذا المعترض من السن تسعين عاماً أو قاربها.

والجواب عن المسألة التي ألقاها على شيخنا البركة ـ والله سبحانه الموفق للصواب بمنه ـ: أن جماعة من أكابر أئمتنا وعلمائنا المحققين المحدثين، اتفقوا على ولادة النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يوم الاثنين، **فإن قلت:** اليوم إذا أطلق ـ هكذا عم الدورة كلها، فمن أين تتحقق أحد زماني الدورة؟

قلت: القرينة هنا تمنع من إرادة الليل، لأن جوابه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ لمن سأله عن صيام يوم الاثنين، فقال له: فيه ولدت وفيه انزل علي، أخرجه مسلم في صحيحه في آخر كتاب الصيام[1]، فتعين صرفه إلى محل الصوم، لا إلى الليل الذي هو محل النوم، كما عينت القرينة أيضا قول الفقهاء: وأجاز مالك

---

(١) انظر ج٣/١٦٨.

صوم يوم الجمعة منفرداً. فكما عينت القرينة هنا الزمان المنحصر فيه الصوم، وهو ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس، فكذلك عينته في جوابه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لمن سأله عن صيام يوم الاثنين، إذ لا فرق بين المسألتين، فاذا تقرر هذا عند السائل، وفهم شرح هذا الحبيب، وسلم صحته تعينت القضية أنها نهارية ـ لا محالة، ولا يكابر في هذا الكلام وصحة نقله، إلا رجل مصاب في عقله، ويبقى المعترض على حقه في سؤاله: أي الزمانين أفضل؟

فنقول ـ والله سبحانه المستعان ـ: قال بعض العلماء من فقهائنا وأئمتنا الماضين، المسلم له في فقهه، المشهود له بثقته وأمانته وحفظه، ـ ما نصه: أعملت النظر في ظواهر النصوص الواردة في هذا الباب، فاذا هي أكثرها تشهد لولادته ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ نهار يوم الاثنين، ولم يبق ليوم الاثنين مزاحم إلا يوم عرفة، ويوم الجمعة، فموجب أفضلية يوم الجمعة، نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي ولادة آدم فيه، وقبول توبته، وهبوطه إلى الأرض، وقيام الساعة، فيه رحمه لامته، لئلا يطول مقامهم تحت الارض، وهو العيد الذي اختصت به أمته كرامة له.

كما اختصت اليهود بالسبت، والنصارى بالأحد، ويوم عرفة جاء فيه ما رويناه في الصحيح من قوله: «ما رئي الشيطان يوما هو فيه اذل ولا أحقر من يوم عرفة»[1] لما يرى من نزول الرحمات، وتجاوز الله ـ تعالى ـ عن الذنوب العظام والسيئات، فيوم عرفة ويوم الجمعة، من المواهب الربانية، التي منحها وأنعم بها على نبينا ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتثبتت أفضلية يوم الاثنين، قال: وفضله باق مستمر. ثم قال: إذ لا نزاع في الحديث الوارد في يوم الاثنين وصحته، ولا يرد عليه شيء من الأسئلة الواردة فيما تقرر من المتون، وعند الأصوليين وأهل النظر. انتهى.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز ص ٢٩١ طبع دار النفائس.

قلت: وبانتفاء اليومين المزاحمين اللذين هما: الجمعة وعرفة، استقل بالأفضلية يوم الاثنين، الذي ولد فيه سيد الثقلين، وثبتت أفضليته على سائر الايام، وبطلت حجة المعترض، وانقطعت واضمحلت، ولم يبق لها وجود، ومشى إجماعه الذي لا مستند له في هبوب الرياح، عندما بدت رايات النصوص تقفو اثره بالعويل والصياح، فإن كانت المسألة التي جرى فيها الكلام بين سيدنا وبين المعترض، التي ادعى فيها الإجماع، هي مسألة يوم الجمعة هذه، فها هو قد سمع المعترض فيها ما قد سمع، وإن كانت غيرها، فالمعترض مرتهن بالمستند، فإن أتى به معزواً لعالم مرضى أمين على علمه، مسلم له في علمه ودينه، فقد بريء، وعلم صدقه وأمانته، وكان مأمونا في نقله، معمولاً بقوله، وإن بقي على روغانه وحيدته، ظهر وهمه أو كذبه على العلماء.

وقد كنت حين فرغت من هذا المجموع، اطلعت عليه الأستاذ الفقيه، الخطيب البليغ، أبا عبد الله محمد بن غازي[1]، فرآه وأعجبه واستحسنه، وربما دعا لي بخير، ثم بعثت به إلى شيخنا وسيدنا، البركة العالم، العلم الشهير، سيدي أبى العباس أحمد الونشريسي أبقى الله تعالى بركته، فبقى عنده أياماً عديدة ينظره ويتأمله، وقد كنت بعثت به إليه ـ ومعه ورقتان منفصلتان منه، تكلمت فيهما على بيت جلبه المعترض، ليضعف به كلام القاضي أبي الفضل عياض ـ رحمه الله، وهو البيت الذي ذكره في الشفا ـ وهو قوله: لو لا الأعادي والعوادي. ـ البيت.

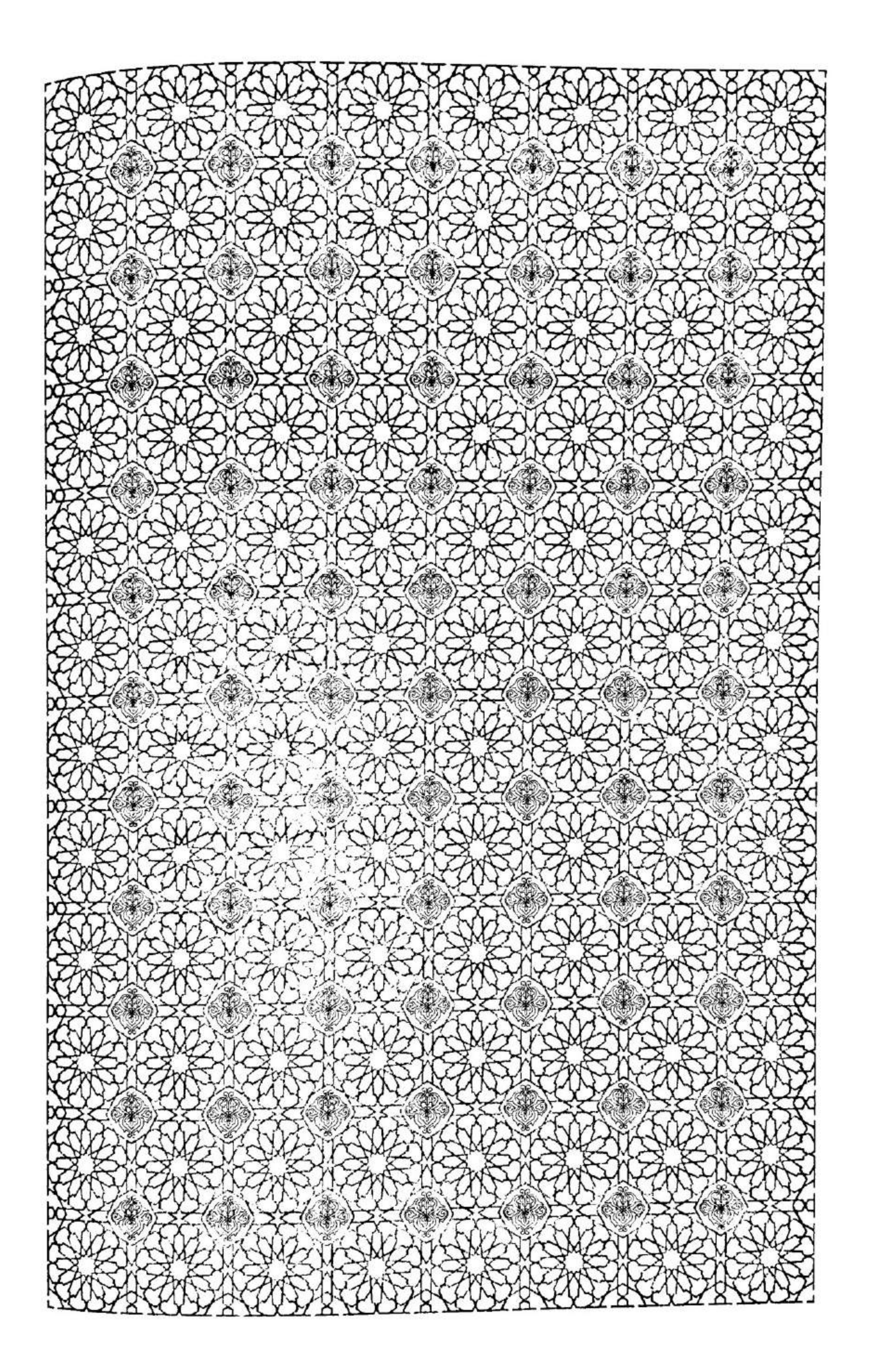
قال أحمد المقري: هنا انتهى التأليف المذكور.

---

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن غازي الفقيه المؤرخ الراوية (ت ٩١٩هـ). انظر نيل الابتهاج: ٣٣٣، فهرس الفهارس: ١/٢١٠، شجرة النور: ٢٧٦.

الفهارس العامة

* فهرس الآيات القرآنية
* فهرس الأحاديث الشريفة
* فهرس الأعلام
* فهرس المصادر والمراجع
* فهرس الموضوعات



فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
سورة القدر		
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾	١	-٧٧-٧٤ ١٩٦-٨٨
﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾	٢	٧٩
﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾	٣	-٢٦٦-٧٩ ٢٧٠
سورة الكوثر		
﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾	١	٧١
سورة الكافرون		
﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾	٦	٦

** ** **

فهرس الأحاديث الشريفة

** ** **

فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
إسحاق بن إبراهيم الختلي= أبو القاسم	١٦٨هـ
إسرافيل (عليه السلام)	٧٥، ١٦٢
الإسكندر	٢٣٢
إسماعيل (عليه السلام)	١١٣، ١٦١
إسماعيل العجلوني	٢٥٦هـ
إسماعيل بن كثير (ابن كثير)	٧١هـ، ٨١هـ، ١٢٦هـ، ١٢٨هـ
الأسود بن عوف	١١٧
الأسود بن المطلب بن أسد	١٣١
أشهب بن عبدالعزيز	٣٧،٣٨
الأصمعي	٢٣١
أفلاطون	٢٤٣
افريذون	١٤٧
الأكثم بن صيفي	٢٢٨، ٢٣٠
الياس (عليه السلام)	١١٣
الأمدي	٢٠٣هـ
آمنة بنت وهب (السيدة آمنة)	٤٥، ١١١، ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٥، ١٥١، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧
أمية بن أبي الصلت	١٣٠، ١٣٣
أنس بن مالك = أنس	٨٢هـ، ٨٤، ٩٠هـ، ١١٨هـ، ٢١٣، ٢١٧، ٢٣٨، ٢٣٩هـ، ٣٢٧
أنوشر	١٦١

** ** **

المصادر والمراجع

١ ـ الآجري: محمد بن الحسين. ت: ٣٦٠هـ الشريعة. ت: محمد حامد الفقي. ط. الأولى: ١٩٨٣م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢ ـ الآمدي: علي بن محمد. ت: ٦٣١هـ الإحكام في أصول الأحكام ط. الأولى: ٢٠٠٨م ـ دار ابن حزم ـ بيروت.

٣ ـ ابن إسحاق: محمد بن إسحاق المدني. ت: ١٥١هـ السيرة النبوية. ت: أحمد فريد المزيدي. ط. الأولى: ٢٠٠٤م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٤ ـ ابن أبي الدنيا: أبو بكر عبد الله بن محمد. ت: ٢٨١هـ كتاب المطر والرعد والبرق والريح ت: طارق محمد العمودي ط. الأولى: ١٩٩٧م ـ دار ابن حزم ـ بيروت.

٥ ـ ابن الأثير: أبو السعادات المبارك بن محمد. ت: ٦٠٦هـ النهاية في غريب الحديث ت: الطاهر الزواوي ومحمود الطناحي. ط. الأولى: ١٩٩٧م ـ المكتبة التجارية ـ مكة المكرمة.

٦ ـ ابن أبي حاتم: عبد الرحمن الرازي. ت: ٣٢٧هـ التفسير بالمأثور ت: أحمد الحجازي ط. الأولى: ٢٠٠٦م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٧ ـ ابن أبي عاصم: أبو بكر عمرو بن أبي عاصم. ت: ٢٨٧هـ الآحاد والمثاني ت: د. باسم فيصل الجوابرة. ط. الأولى: ١٩٩١م ـ دار الراية ـ الرياض.

٨ ـ أحمد بن حنبل: أبو عبد الله الشيباني. ت: ٢٤١هـ المسند. ط. الأولى: ١٩٩١م ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٩ ـ الأصبهاني: أبو القاسم إسماعيل بن محمد. ت: ٥٣٥هـ الترغيب والترهيب ت: أيمن بن صالح بن شعبان ط. الأولى: ١٩٩٣م ـ دار الحديث ـ القاهرة.

١٠ ـ أمية بن الصلت. الديوان ت. د. سجيع جميل الجبيلي. ط. دار صادر ـ بيروت.

١١ ـ الأيوبي: محمد عبد الباقي المناهل السلسلة في الأحاديث المسلسلة ط. الأولى: ١٩٨٣م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٢ ـ الباجي: أبو الوليد سليمان بن خلف. ت: ٤٩٤هـ. سنن الصالحين وسنن العابدين. ت: إبراهيم عبد المجيد. ط. الأولى: ٢٠٠٣م ـ دار ابن حزم ـ بيروت.

١٣ ـ البخاري: محمد بن اسماعيل الجعفي. ت: ٢٥٦هـ التاريخ الكبير ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت. الصحيح ت: د. مصطفى ديب البغا ط. الأولى: ١٩٨١ ـ دار القلم ـ بيروت.

١٤ ـ ابن بشكوال: خلف بن عبد الملك. ت: ٥٧٨هـ القربة إلى رب العالمين في الصلاة على سيد المرسلين ت: سيد محمد خلاف عبد السميع ط. الأولى: ١٩٩٩م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٥ ـ البصري: محمد بن محمد بن محمد التميمي. ت: القرن السادس الهجري تلقيح العقول في فضائل الرسول ﷺ ت: د. طارق طاطمي ط. الأولى: ٢٠١٢م ـ الرابطة المحمدية للعلماء ـ المغرب.

١٦ ـ البغوي: عبد الله بن محمد بن عبد العزيز. ت: ٣١٧هـ ـ حديث مصعب الزبيري. ت: رضا الجزائري ط. الأولى: ٢٠٠٣م ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ معجم الصحابة ت: محمد المنقوش، إبراهيم القاضي. ط. الأولى: ٢٠١١م ـ مبرة الآل والأصحاب ـ الكويت.

١٧ ـ البقاعي: برهان الدين إبراهيم بن عمر. ت: ٨٨٥هـ. بذل النصح والشفقة للتعريف بالسيد ورقة. ت: د. محمد طريفي ط. الأولى: ٢٠٠٣م ـ دار الفكر العربي ـ بيروت.

١٨ ـ البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز. ت: ٤٨٧هـ ـ المسالك والممالك. ط. دار الغرب الإسلامي. ـ معجم ما استعجم. ت: مصطفى السقا. ط: عالم الكتب ـ بيروت.

١٩ ـ البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين. ت: ٤٥٨هـ ـ دلائل النبوة ت: عبد الرحمن محمد عثمان. ط. الأولى: ١٩٦٩م ـ المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة. ـ السنن الكبرى. ط. دار المعرفة ـ بيروت. شعب الإيمان ت: د. عبد العلي حامد ط. ٢٠٠٨ ـ إدارة الشئون الدينية ـ قطر. ـ فضائل الأوقات. ط. دار ابن حزم ـ بيروت.

٢٠ ـ القازي: عبد الهادي جامع القرويين. ط. الأولى: ١٩٧٩ ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت.

٢١ ـ الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة. ت: ٢٧٩هـ الجامع (سنن الترمذي) ت: د. بشار معروف عواد ط. الثانية: ١٩٩٨م ـ دار الغرب الإسلامي.

٢٢ ـ تقي الدين الفاسي: محمد بن أحمد. ت: ٨٣٢هـ ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ت: محمد صالح المراد ط. جامعة أم القرى ـ المملكة العربية السعودية.

٢٣ ـ التنبكتي: أحمد بابا. ت: ١٠٣٦م ـ كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ت: محمد مطيع ط. ٢٠٠٠م ـ وزارة الأوقاف المغربية. ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج ت: د. علي عمر ط. الأولى: ٢٠٠٤م ـ مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة.

٢٤ ـ ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم الحراني. ت: ٧٢٨هـ مجموع الفتاوى ت: عبد الرحمن بن قاسم ط. المملكة العربية السعودية.

٢٥ ـ ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن. ت: ٥٩٧هـ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك. ت. محمد ومصطفى عبد القادر عطا ط. الأولى: ١٩٩٢م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٦ ـ الجوهري: إسماعيل بن حماد. ت: ٣٩٣هـ. الصحاح في اللغة ت: خليل مأمون شيحا ط. الثانية: ٢٠٠٧م ـ دار المعرفة ـ بيروت.

٢٧ ـ الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله. ت: ٤٠٥هـ المستدرك على الصحيحين ت: عبد السلام علوش ط. الأولى: ١٩٩٨م ـ دار المعرفة ـ بيروت.

٢٨ ـ ابن حبان: محمد بن أبي حاتم البستي. ت: ٣٥٤هـ الصحيح (الإحسان) ت: شعيب الأرنا ؤوط ط. الثانية: ١٩٩٣م ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٢٩ ـ ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني. ت: ٨٥٢هـ ـ الإصابة في تمييز الصحابة. ط. دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ـ فتح الباري في شرح صحيح البخاري ت: محمد شحاته، عادل عبد الباسط ط. الأولى: ١٩٩٩م ـ دار المنار ـ القاهرة.

٣٠ ـ الحكيم الترمذي: محمد بن علي المؤذن. ت: ٢٨٥هـ نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول ﷺ. ت: توفيق تكله ط. الأولى: ٢٠١٠م ـ دار النوادر ـ بيروت.

٣١ ـ الحنائي: عبد العزيز بن محمد. ت: ٤٥٦هـ الفوائد ت: خالد أبو النجا ط. الأولى: ٢٠٠٧ ـ أضواء السلف ـ السعودية.

٣٢ ـ الختلي: إسحاق بن إبراهيم. الديباج ت: إبراهيم صالح ط. الأولى: ١٤١٤هـ ـ دار البشائر.

٣٣ ـ الخرائطي: أبو بكر محمد بن جعفر. ت: ٣٢٧هـ هواتف الجنان.

٣٤ ـ الخركوشي: عبد الملك بن أبي عثمان محمد. ت: ٤٠٦هـ شرف المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ت: السيد عاصم الغمري باعلوي. ط. الأولى: ٢٠٠٣م ـ دار البشائر الإسلامية ـ بيروت.

٣٥ ـ الخطابي: حمد بن محمد البستي. ت: ٣٨٨هـ غريب الحديث ت: عبد الكريم العزباوي. ط. الأولى: ١٩٨٢م ـ جامعة أم القرى. ـ معالم السنن ط. الثانية: ١٩٨١م ـ بيروت.

٣٦ ـ الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن على. ت: ٤٦٣هـ تاريخ بغداد. ت: مصطفى عبد القادر عطا. ط. الأولى: ١٩٩٧ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣٧ ـ ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي. ت: ٨٠٨هـ رحلة ابن خلدون. ت: محمد بن تاويت الطنجي. ط. الأولى: ٢٠٠٤م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣٨ ـ الخلال: أبو بكر أحمد بن محمد. ت: ٣١١هـ السنة. ت: الحسن بن قطب. ط. الأولى: ٢٠٠٧ ـ الفاروق الحديثة ـ القاهرة.

٣٩ ـ الخضيري: محمد بن محمد الشافعي. ت: ٨٩٤هـ اللفظ المكرم بخصائص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المعظم ت: د. الشيخ محمود عبد المحسن ط. الأولى: ٢٠٠٧م ـ دار المعرفة ـ بيروت.

٤٠ ـ أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني. ت: ٢٧٥هـ السنن ت: محمد عوامه ط. الأولى: ١٩٩٨م ـ مؤسسة الريان ـ بيروت.

٤١ ـ ابن دقيق العبد: تقي الدين. ت: ٧٠٢هـ إحكام الأحكام ط. دار ابن حزم ـ بيروت.

٤٢ ـ ابن دريد: محمد بن الحسن. ت: ٣٢١هـ جمهرة اللغة.

٤٣ ـ الذهبي: محمد بن أحمد الدمشقي. ت: ٧٤٨هـ ـ تذكرة الحفاظ ت: الشيخ زكريا عميرات ط. الأولى: ١٩٩٨م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت. ـ سير أعلام النبلاء ت: شعيب الأرناؤوط. ط. الثالثة: ١٩٨٥م ـ مؤسسة الرسالة. ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال. ت: علي محمد البجاوي. ط. دار المعرفة ـ بيروت.

٤٤ ـ الرازي: فخر الدين عمر. ت: ٦٠٤هـ مفاتيح الغيب ط. الأولى: ١٩٨١م ـ دار الفكر ـ بيروت.

٤٥ ـ الزبير بكار. ت: ٢٥٦هـ ـ جمهرة نسب قريش وأخبارها ت: محمود شاكر ط. الثانية: ١٩٩٩م ـ مجلة العرب ـ السعودية.

٤٦ ـ الزركلي: خيرالدين. الأعلام قاموس تراجم. ط. السابعة: ١٩٨٦م ـ دار العلم للملايين ـ بيروت.

٤٧ ـ زكريا الأنصاري: أبو يحيى السنيكي الخزرجي. ت: ٩٢٦هـ المطلع شرح إيساغوجي في علم المنطق ت: خالد الزاهدي. ط. الأولى٢٠١٢م ـ دار ابن حزم ـ بيروت.

٤٨ ـ الزيلعي: عبد الله بن يوسف الحنفي. ت: ٧٦٢هـ تخريج أحاديث وآثار تفسير الكشاف ت: سلطان بن فهد الطبيشي ط. الأولى: ١٤١٤هـ ـ دار ابن خزيمة ـ الرياض.

٤٩ ـ السبكي: علي بن عبد الكافي. ت: ٧٥٦هـ شفاء السقام في زيارة خير الأنام. ت: حسين شكري. ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٥٠ ـ سحنون بن سعيد التنوخي. ت: ٢٤٠هـ المدونة الكبرى. ط. الأولى ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة.

٥١ ـ السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن. ت: ٩٠٢هـ القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع. ت: محمد عوامة. ط. الأولى: ٢٠٠٢م ـ مؤسسة الراية ـ السعودية.

٥٢ ـ ابن سعد: محمد. ت: ٢٣٠هـ الطبقات الكبرى ت: إحساس عباس ط. دار صادر ـ بيروت.

٥٣ ـ السمعاني: أبو سعد عبد الكريم بن محمد. ت: ٥٦٢هـ الأنساب ت: عبد الله عمر البارودي ط. الأولى: ١٩٨٨م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٥٤ ـ ابن السني: أبو بكر أحمد بن محمد الدينورى. ت. ٣٦٤هـ عمل اليوم والليلة ت: عبد الله حجاج ط. مكتبة التراث الإسلامي ـ القاهرة.

٥٥ ـ السهيلي: عبد الرحمن بن عبد الله. ت: ٥٨١هـ الروض الأنف ت: طه عبد الرؤوف سعد ط. ١٩٨٩م ـ دار الفكر ـ بيروت.

٥٦ ـ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن. ت: ٩١١هـ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. ت: محمد أبو الفصل إبراهيم ط. ١٩٩٨م ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ الخصائص الكبرى ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت. ـ مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا ت: سمير القاضي ط. الأولى ١٩٨٨م ـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت.

٥٧ ـ السيناوني: حسن بن الحاج عمر الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع ط. الأولى ـ مطبعة النهضة ـ تونس.

٥٨ ـ ابن الشماع: محمد بن أحمد الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية. ت: د. الطاهر المعموري. ط: ١٩٨٤م ـ الدار العربية للكتاب ـ تونس.

٥٩ ـ أبو الشيخ: عبد الله بن محمد بن جعفر. ت: ٣٩٦هـ العظمة ت: محمد فارس ط. الأولى: ١٩٩٤م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٦٠ ـ الشيرازي: أبو إسحاق إبراهيم بن علي. ت: طبقات الفقهاء ت: د. عمر محمد عمر. ط. الأولى: ١٩٩٧م ـ مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة.

٦١ ـ ابن الصديق: أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الحسني. ت: ١٣٨٠هـ ـ الاكتفا بتخريج أحاديث الشفا مخطوط (خاص) ـ فتح الوهاب بتخريج

أحاديث الشهاب. ت: حمدي السلفي ط. الأولى: ١٩٨٨م ـ عالم الكتب ـ بيروت.

٦٢ ـ ابن الصلاح: عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري. ت: ٦٤٣هـ وصل البلاغات الأربعة في الموطأ. ت. عبد الفتاح أبو غدة. ط. الأولى: ٢٠٠٢ ـ مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب.

٦٣ ـ الضياء المقدسي: محمد بن عبد الواحد الحنبلي. ت: ٦٤٣هـ المختارة ت: د. عبد الملك بن دهيش ط. الرابعة: ٢٠٠١م ـ دار خضر ـ بيروت.

٦٤ ـ أبو طالب: عقيل بن عطية الطرطوشي. ت: ٦٠٨هـ تحرير المقال في موازنة الأعمال وحكم غير المكلفين في العقبى والمآل. ت: مصطفى باجو ط. الأولى: ٢٠٠٦م ـ دار الامام مالك ـ أبو ظبي.

٦٥ ـ الطبراني: سليمان بن أحمد اللخمي. ت: ٣٦٠هـ ـ المعجم الكبير. ت: حمدي السلفي. ط. الدار العربية للطباعة ـ بغداد. ـ المعجم الأوسط. ت: محمد حسن الشافعي ط. الأولى: ١٩٩٩م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت. ـ المعجم الصغير ط. ١٩٨٣م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٦٦ ـ الطبري: محب الدين أحمد بن عبد الله. ت: ٦٩٤هـ غاية الأحكام في أحاديث الأحكام ت: د. حمزة الزين. ط. الأولى: ٢٠٠٤م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٦٧ ـ الطبري: محمد بن جرير. ت: ٣١٠هـ. تاريخ الأمم والملوك ت: نواف الجراح ط. الأولى: ٢٠٠٣م دار صادر ـ بيروت.

٦٨ ـ الطيالسي: أبو داود المسند. مصور عن طبعة دائرة المعارف النظامية في الهند.

٦٩ ـ العباس بن إبراهيم: الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام. ت: عبد الوهاب بن منصور ط. الثانية: ١٩٩٣م ـ المكتبة الملكية ـ الرباط.

٧٠ ـ ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري. ت: ٤٦٣هـ ـ الاستيعاب في أسماء الأصحاب ط. دار الكتاب العربي ـ بيروت. ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. ت: مجموعة من العلماء ط. وزارة الأوقاف والشئون المغربية ـ المملكة المغربية ـ تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٧١ ـ عبد الرزاق بن همام الصنعاني. ت: ٢١١هـ المصنف. ت: المحدث حبيب الرحمن الأعظمي. ط. الثانية: ١٩٨٣م ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٧٢ ـ ابن عدي: أبو أحمد عبد الله بن عدي. ت: ٣٦٥هـ الكامل في الضعفاء ت: د. سهيل زكار، يحيى مختار غزاوي. ط. الثالثة: ١٩٨٥م ـ دار الفكر ـ بيروت.

٧٣ ـ ابن العربي: أبو بكر محمد بن عبد الله. ت: ٥٤٣هـ. عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي ت: حمال مرعشلي ط. الأولى: ١٩٩٧م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت. ـ القبس في شرح موطأ مالك بن أنس. ت: د. محمد عبد الله كريم ط. الأولى: ١٩٩٢م ـ دار الغرب الإسلامي.

٧٤ ـ الغزالي: محمد بن محمد بن محمد الطوسي. ت: ٥٠٥هـ المستصفى في الأصول ت: عبد الله محمود محمد عمر. ط. الأولى: ٢٠٠٨م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٧٥ ـ العز ابن عبد السلام. ت: ٦٦٠هـ قواعد الأحكام الكبرى ط. الأولى: ٢٠٠٣م ـ دار ابن حزم ـ بيروت.

٧٦ ـ ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن. ت: ٥٧١هـ تاريخ دمشق. ت: مجموعة ط. دار الفكر ـ دمشق.

٧٧ ـ ابن عطية: عبد الحق بن عطية الأندلسي المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ت: مجموعة. ط. الثانية: ٢٠٠٧م ـ وزارة الأوقاف ـ قطر.

٧٨ ـ العقيلي: أبو جعفر محمد بن عمرو. ت: ٣٢٢هـ الضعفاء الكبير ت: د. عبد المعطي قلعجي. ط. الأولى: ١٤٠٤هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٧٩ ـ ابن العماد الحنبلي: عبد الحي. ت: ١٠٨٩م شذرات الذهب في أخبار من ذهب. ـ منشورات دار الآفاق الجديدة ـ بيروت.

٨٠ ـ عياض بن موسى اليحصبي السبتي. ت: ٥٤٤هـ ـ إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم. ت: د. يحيى إسماعيل. ط. الأولى: ١٩٩٨م ـ دار الوفاء ـ مصر. ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ت: د. أحمد بكبير ط. ١٩٦٧م ـ مكتبة الحياة ـ بيروت. ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ت: د. عبد السلام البكاري. ط. الأولى: ٢٠١٢م ـ دار ابن حزم ـ بيروت.

٨١ ـ الفاسي: أبو عبد الله محمد الصغير. ت: ١١٣٤هـ المنح البادية في الأسانيد العالية والمسلسلات الزاهية والطرق الهادية الكافية. ت: محمد الصقلي الحسيني ط. الأولى: ٢٠٠٥م ـ منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ـ المملكة المغربية.

٨٢ ـ ابن فرحون: إبراهيم بن علي. ت: ٧٩٩هـ ـ الديباج المذهب في تراجم علماء المذهب. ت: مأمون الجنان ط. الأولى: ١٩٩٦م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٨٣ ـ ابن فرحون: عبد الله بن محمد المالكي. ت: ٧٦٩هـ نصيحة المشاور وتعزية المجاور. ت: حسين شكري. ط. الأولى: ١٩٩٦م ـ دار المدينة المنورة للنشر والتوزيع.

٨٤ ـ الفسوي: يعقوب بن سفيان. ت: ٢٧٧هـ ـ المعرفة والتاريخ ت: د. أكرم ضياء العمري ط. الثانية: ١٩٨١م ـ مؤسسة الرسالة.

٨٥ ـ ابن القاضي: أحمد بن محمد المكناسي. ت: ١٠٢٥هـ درة الحجال في

غرة أسماء الرجال ت: مصطفى عبد القادر عطا ط. الأولى: ٢٠٠٢م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٨٦ ـ القرشي: عبد القادر بن محمد الحنفي. ت: ٧٧٥هـ الجواهر المضية في تراجم علماء الحنفية. ت: د. عبد الفتاح الحلو. ط. ١٩٧٨م ـ مطبعة عيسى الحلبي ـ القاهرة.

٨٧ ـ القرطبي: أبو العباس أحمد بن عمر. ت: ٦٥٦هـ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ت: مجموعة من المحققين. ط. الأولى: ١٩٩٦م ـ دار ابن كثير.

٨٨ ـ القرطبي: محمد بن أحمد. ت: ٦٧١هـ الجامع لأحكام القرآن ت: إبراهيم اطفيس ط. دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٨٩ ـ القشيري: عبد الكريم بن هوازن. ت: ٤٦٥هـ لطائف الإشارات. ت: د. ابراهيم بسيوني. ط. الثانية: ١٩٨١م ـ الهيئة العامة المصرية.

٩٠ ـ ابن القطان: أبو محمد حسن بن علي. ت: منتصف القرن السابع البشارات والأحكام مخطوط. دار الكتب المصرية.

٩١ ـ ابن قنفذ: أحمد بن حسن. ت: ٨٠٩هـ الوفيات ت. عادل نويهض ط. الرابعة: ١٩٨٣م ـ دار الأفاق الجديدة ـ بيروت.

٩٢ ـ ابن القوطية: أبو بكر محمد بن عمر. ت: ٣٦٧هـ تاريخ افتتاح الأندلس ت: إبراهيم الأبياري ط. الأولى: ١٩٨٩م ـ دار الكتاب المصري اللبناني.

٩٣ ـ القنوجي: صديق حسن خان. ت: ١٣٠٧هـ أبجد العلوم ط. الأولى: ٢٠٠٢م ـ دار ابن حزم ـ بيروت.

٩٤ ـ القيسي: أبو الحسن علي بن محمد بن فرحون القرطبي: ٦٤٦هـ ـ الزاهر في بيان ما يجتنب من الخبائث الصغائر والكبائر. ت: محمد بن حسن الشافعي ط. الأولى: ١٩٩٧م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٩٥ ـ الكتاني: محمد عبد الحي. ت: ١٣٨٢هـ. فهرس الفهارس والأثبات ت. د. إحسان عباس ط. دار الغرب الإسلامي.

٩٦ ـ ابن كثير: عماد الدين إسماعيل. ت: ٧٧٤هـ تفسير القرآن العظيم ط. الثانية: ١٩٨٣م ـ دار الفكر ـ بيروت.

٩٧ ـ الكلاعي: لأبي الربيع سليمان بن موسى. ت: ٦٣٤هـ الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والثلاثة الخلفاء ت. د. محمد كمال الدين. ط. عالم الكتب ـ بيروت.

٩٨ ـ لسان الدين ابن الخطيب. ت: ٧٧٦هـ. الإحاطة في أخبار غرناطة. ت: محمد عبد الله عنان ط. الثانية: ١٩٧٣م ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة.

٩٩ ـ اللخمي: أبو الحسن علي بن محمد التبصرة ت: د. أحمد عبد الكريم نجيب ط. الأولى: ٢٠١١م ـ وزارة الأوقاف ـ دولة قطر.

١٠٠ ـ ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني. ت: ٢٧٥هـ السنن ت: د. بشار عواد معروف ط. الاولى: ١٩٩٨م ـ دار الجليل ـ بيروت.

١٠١ ـ مالك بن أنس. ت: ١٧٩هـ الموطأ ت: د. بشار عواد ط. الأولى: ١٩٩٧م ـ دار الغرب الإسلامي.

١٠٢ ـ محفوظ: محمد تراجم المؤلفين التونسيين. ط. الأولى: ١٩٨٢م ـ دار الغرب الإسلامي.

١٠٣ ـ محمد بن نصر المروزي. ت: ٣٩٤هـ مختصر قيام الليل ط. الأولى: ١٩٨٣م ـ باكستان.

١٠٤ ـ مخلوف: محمد بن محمد. ت: ١٣٦٠هـ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ت: د. علي عمر ط. الأولى: ٢٠٠٧ ـ مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة.

١٠٥ ـ ابن مرزوق الخطيب: محمد بن أحمد بن محمد التلمساني. ت: ٧٨١هـ ـ تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام. ت: د. سعيدة بحوث. ط. الأولى. ٢٠١١هـ ـ دار ابن حزم بيروت. ـ المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن. ت. د. ماريا خيسوس بيغيرا. ط. الأولى: ١٩٨٠م الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر. ـ المناقب المرزوقية. ت: أ. سلوى الزاهري. ط: الأولى. ٢٠٠٨م ـ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ـ المملكة المغربية.

١٠٦ ـ ابن مريم: محمد بن محمد بن أحمد البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ت: محمد يوسف القاضي ط. الأولى: ٢٠١٠م ـ مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة.

١٠٧ ـ المسعودي: علي بن الحسين. ت: ٣٤٦هـ مروج الذهب ت: محمد محي عبد الحميد. ط. الرابعة: ١٩٦٤م ـ المكتبة التجارية ـ القاهرة.

١٠٨ ـ مسلم بن الحجاج النيسابوري. ت: ٢٦١هـ الصحيح. ـ مع شرح إكمال المعلم.

١٠٩ ـ المصعب الزبيري. ت: ٢٣٦هـ نسب قريش ت: ليفى بردفنسال ط. الرابعة ـ دار المعارف ـ القاهرة.

١١٠ ـ المقري: أحمد بن محمد التلمساني. ت: ١٠٤١هـ. ـ نسيم الرياض في أخبار عياض. ت: سعيد أعراب ومحمد بن تاويت الطنجي. ط. اللجنة المشتركة بين المملكة المغربية ـ ودولة الإمارات العربية المتحدة ـ نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب. ت: د. إحسان عباس. ط. ١٣٨٨هـ ـ دار صادر ـ بيروت.

١١١ ـ ابن الملقن: عمر بن علي الأنصاري. ت: ٨٠٤هـ الإعلام بفوائد عمدة الأحكام ت: عبد العزيز المشيقح ط. الأولى: ١٩٩٧م ـ دار العاصمة ـ السعودية.

١١٢ ـ المنذري: عبد العظيم. ت: ٦٥٦هـ ـ الترغيب والترهيب ت: محمد عمارة. ط. دار الفكر ـ بيروت.

١١٣ ـ ابن منظور: محمد بن مكرم. ت: ٧١١هـ لسان العرب ط. ١٩٦٨م ـ دار صادر ـ بيروت.

١١٤ ـ ابن ناصر الدين: محمد بن أبي بكر. ت: ٨٤٠هـ جامع الآثار في مولد النبي المختار ﷺ ت: حسين شكري. ط. الأولى: ٢٠٠٩م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١١٥ ـ النسائي: أحمد بن شعيب: ت: ٣٠٣هـ ـ السنن الصغرى ط. دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ السنن الكبرى. ت: مركز بحوث دار تأصيل ط. الأولى: ٢٠١٢م ـ وزارة الأوقاف ـ دولة قطر. ـ عمل اليوم والليلة ت: د. فاروق حمادة ط. الأولى: ١٩٨١م ـ مكتبة المعارف ـ المغرب.

١١٦ ـ النقاش: محمد بن علي الحنبلي. ت: ٤١٤هـ فنون العجائب ت: مصطفى عبد القادر عطا ط. الأولى: ١٩٩٠م ـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت.

١١٧ ـ ابن نعمان: محمد بن موسى المزالي. ت: ٦٨٣هـ ـ مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام ت: حسين شكري. ط. دار المدينة المنورة.

١١٨ ـ أبو نعيم: أحمد بن عبد الله الأصبهاني. ت: ٤٥٨هـ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. ط. الأولى: ١٩٧٤م ـ مطبعة السعادة ـ مصر. ـ دلائل النبوة. ت: عبد الرحمن محمد عثمان ط. الأولى. المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة.

١١٩ ـ النووي: محي الدين بن شرف. ت: ٦٧٦هـ المجموع شرح المهذب. ت: محمد نجيب المطيعي. ط. دار الفكر ـ بيروت.

١٢٠ ـ ابن هشام: عبد الملك بن هشام الحميري. ت: ٢١٣هـ السيرة النبوية ت: طه عبد الرؤوف سعد ط: ١٩٧٥م دار الجيل ـ بيروت.

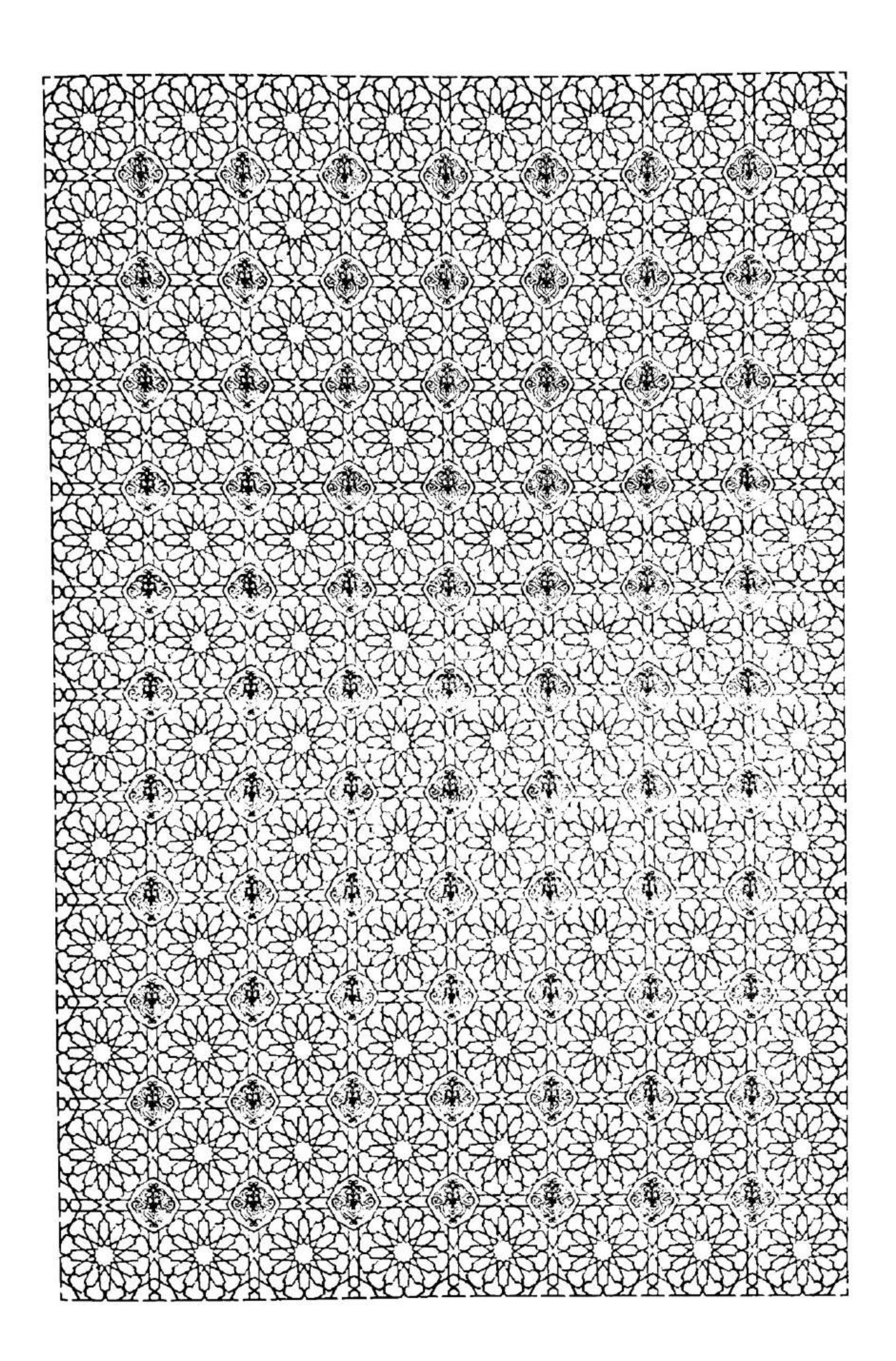
١٢١ ـ الهيثمي: علي بن أبي بكر. ت: ٨٠٧هـ ـ بغية الحارث بزوائد مسند الحارث. ت: مسعد السعدني. ط. دار الطلائع ـ القاهرة. ـ كشف الأستار عن زوائد مسند البزار ت: المحدث حبيب الرحمن الأعظمي. ط. الأولى: ١٩٧٩م ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

١٢٢ ـ الواقدي: محمد بن عمر. ت: ٢٠٧هـ فتوح الشام ط. المكتبة التجارية.

١٢٣ ـ الونشريسي: أبو العباس أحمد بن يحيى. ت: ٩١٤هـ المعيار المعرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب. ت. جماعة من الفقهاء ط. ١٩٨١م ـ دار الغرب الإسلامي.

١٢٤ ـ أبو يعلى: أحمد بن علي الموصلي. ت: ٣٠٧هـ المسند ت: حسين سليم أسد. ط. الأولى: ١٩٨٨م ـ دار المأمون للتراث ـ دمشق.

** ** **



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

** ** **

